المرأة في القرآن

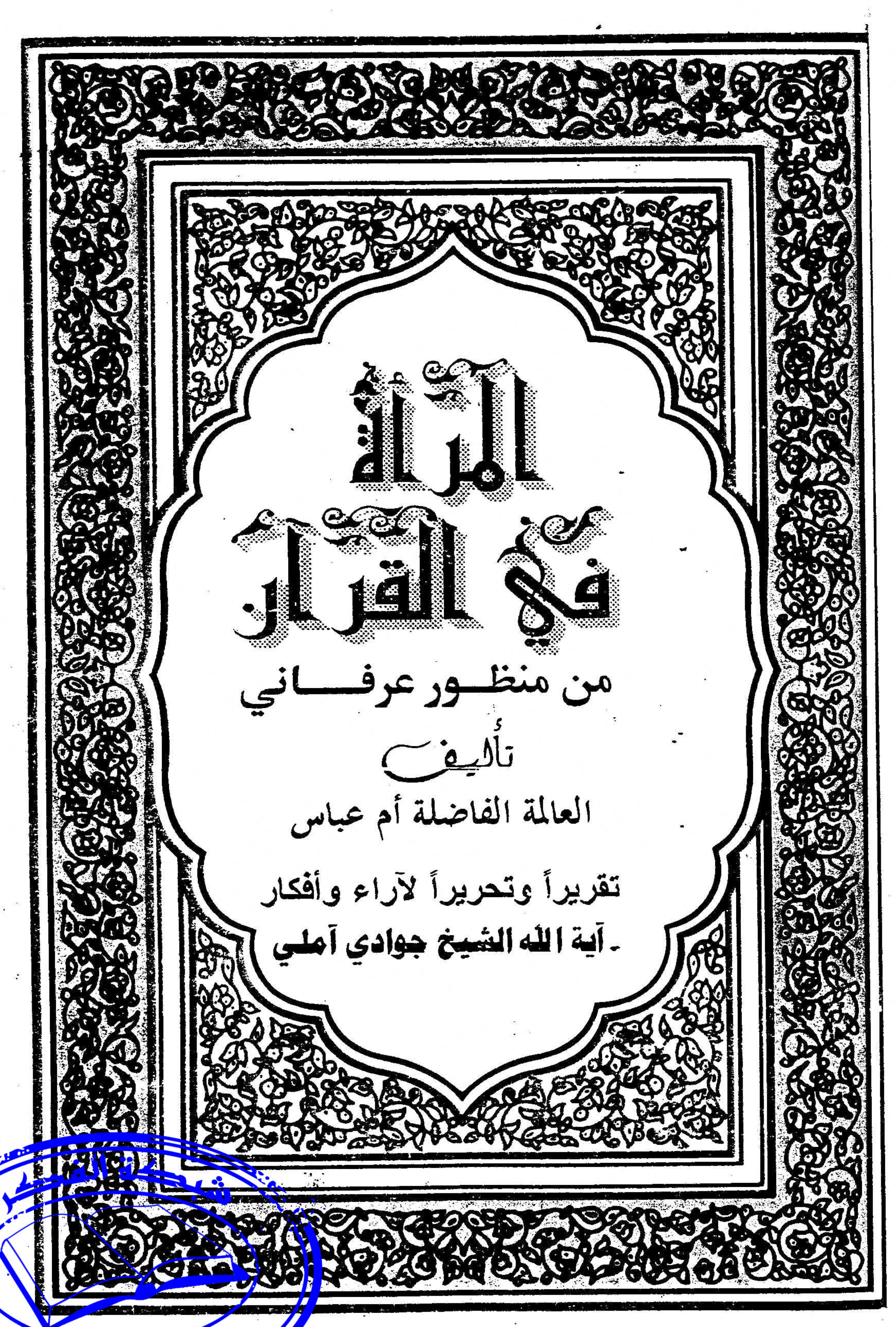
من منظور عرفاني

تأليف

العالمة الفاضلة أم عباس

تقريراً وتحريراً لآراء و أفكار

آية الله الشيخ جوادى آملى



المرأة في القرآن

من منظور عرفاني

تأليف

العالمة الفاضلة أم عباس

تقريراً وتحريراً لآراء وأفكار

آية الله الشيخ جوادي آملي



مقدمة الكتاب

هل عقل المرأة أقل قدرة من عقل الرجل ؟

هل الرجل أعقل من المرأة ؟

(النساءُ ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ) قولٌ للإمام علي (ع) ، فهل يشمل هذا الحكم كلَّ النساء ؟ أم أنّ هناك مناسبة تُقيّد إطلاقه ؟

أسئلة طرحناها على الأخت الفاضلة العالمة (أم عباس) فتفضلت بالاجابة عليها على شكل سلسلةٍ من المحاضرات التى طرحتها في جمع كبير من النساء الفاضلات في منطقة الدمام عام ١٤١٥ هجرية .

وكانت محاضراتها تحريزاً لآراء (**آية الله الشيخ جوادي آملي**) في كتابه عن المرأة المعنون بِـ (**المرأة في مرآة الجمال والجلال**) بالاضافة الى رأيها الشخصي في بعض النقاط والامور والذي توصلت اليه بالمباحثة والدراسة والتدقيق .

ونحن إذ نشكر الأخت الفاضلة على جهودها الخيّرة ، رأينا أن نساهم في اكمال جهودها القيمة بكتابة هذه المحاضرات، ومحاولة تنقيحها ، واختصار ماتكرّر ذكره ، وكنّا حريصين على ألاّ نغيّر من عبارات الاخت الفاضلة إلا ماتقتضيه الضرورة ، مع محاولة شرح بعض المصطلحات التى استخدمتها الأخت الفاضلة ، ليسهل فهمه على قطاعٍ كبيرٍ من النساء المؤمنات .

ونحن نعتذر عن كل تقصير أو خطأ قد تجدونه ، وعذرنا في ذلك : أن هذه التجربة هي أول تجربة لنا في هذا المجال ، وكنا نرغب في أن نثبت مصادر الاحاديث والروايات الواردة في المحاضرات ، ولكن تعذر علينا ذلك لنقص المصادر .

ونحن بعملنا هذا نرغب في المساهمة في أن لاتضيعَ هذه المحاضرات وتُنسى ، بل تبقى متداولة يستفيد منها أكبرعددٍ من النساء ، لعلنا نترُكُ الدِعةَ والخمول ، ونشمِّرُ عن سواعدِ الجدِّ بعد أن نرى كيف قدَّرَ الإسلامُ المرأةَ ، وماهي منزلتها عندالله !

وفي الختام نهدي هذا الجهد المتواضع الى سيدة نساء العالمين الزهّراء البتول (ع) وبضعة النبي المصطفى (ص) راجين من الله أن يرزقنا شفاعتها يوم القيامة ، يوم لاينفع مالٌ ولا بنونٌ إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم ، إنه سميع عليم .

مقدمة البحث

مادة الكتاب مأخوذة من مجموعة من البحوث التي ألقاها : (**آية الله الشيخ جوادي آملي**) أحد مدرسي الحوزة العلمية في قم المقدسة ، ومن أبرز علمائها الافاضل في مجال الفلسفة والعرفان ، ألقاه على جمع كبير من طلبة بحث الخارج ومرحلة السطوح في الحوزة ، وتتميز هذه البحوث له عن غيرها من البحوث والإطروحات الإسلاميّة الأخرى التي طرحها المفكرون والعلماء عن المرأة .

ولا يوجد بحث حول المرأة في مثل تمام هذا الكتاب ، وكماله ، وبعد نظره ، وعمق مطالبه ، وشمول أبحاثه ، وفي البحث الأول يتحدث الشيخ في الفصل الأول منه : عن المرأة في القرآن من حيث كونها في مقابل الرجل مرة ، وكزوجة وأم وابنة وأخت مرة أخرى ، ويثبت بالدليل البرهاني المباشر والظني موقعها ، والكمال الذي يمكن أن تصل إليه ، وينتهي إلى نتيجة رجع فيها إلى الأدلة العقلية والروائية والبرهان والإجماع مفادها : **أن المرأة اعقل من الرجل .**

وهذا غير مستبعدٍ من روح الشريعة ، والشيخ جوادي آملي عالمٌ مجتهدٌ في علوم القرآن والأصول والفقه والأخلاق والعقائد ، وأحدُ أعضاءِ مجلسِ الخبراءِ في الجمهورية الاسلامية ، فكلامه إذن ليس مجردَ رأيٍ شخصيٍ إنما هو بمستوى الفتوى .

هذه النظرة القرآنية الشاملة لم ينتهِ إليها أحدٌ قبل الشيخ - حفظه الله - لأنّ أبحاثاً كثيرةً في هذا المجال لم تطرح إلا بعد انتصار الثورة الإسلامية ، وظهور نساءٍ عالماتٍ فاضلاتٍ داعياتٍ ، إستطعنّ أن يدرسِنَ ويصِلنَ في دراستهِنَ إلى مراتب علميةٍ عاليةٍ لم تصلها المرأة من قبل ، وأتيحت الفرصة للمرأة أن تُظهِرَ كلَّ قدراتها ، كما يستعرض الشيخ أثناء بحثه مجموعة من الشبهات التي يمكن أن تطرح من الروايات ويشتَمُّ منها استنقاص المرأة أمام الرجل وغيرها من الشبهات .

وفي نهاية البحث يصل الشيخ إلى نتيجة مفادها :

١- أنّ الكمال الإنساني الذي يمكن للإنسان أن يصل إليه ، عرفناه عن طريق أهل البيت والائمة (عليهم السلام) لأنهم (عليهم السلام) هم صور الكمال الإنساني مجسدة على الأرض .

٢- أنّ المرأة مجهزة للوصول إلى القرب من الله أسرع من الرجل ، وتقبّلها للأخلاقيات والفضائل أسرع من الرجل وسيرها في مجال العرفان والفضائل أسرع واقرب .

قد يعتقد البعض أنّ هذه النتائج مبالَغ فيها ، ولكن بالتدرج في البحث ، سنرى أيَّ مكانة للمرأة عند الله وأيُّ منزلة ، وهذه المنزلة لم يدركها الكثير من الناس حتى الآن ، وبرغم تعدد تفاسير القرآن سنرى أنّ تفسير الشيخ للآيات والروايات ألصق من غيره ، وأكثر انطباقاً عليها ، وأقرب إلى الذهن من التفسيرات الأخرى ، فشرح الشيخ نفسه للمعاني هو شرح روائي .

المحاضرة الأولى

« المرأة في ميزان الجمال والجلال الإلهي »

قال أمير المؤمنين (ع) : (**عقــولُ النســاءِ في جمــالِهنَّ ، وجمــالُ الرجــالِ في عقولِهم**)

لكي يشرح الشيخ جوادي هذه الرواية قدم لها عشر مقدمــات نذكـر ثلاثــاً منهن:

المقدمة الأولى :

إنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٍ في هذا الكون هو مظهرٌ لأســمٍ مـن أسمـاء الله تعـالى ، لأنّ الخلق – الذي هو من الأوصاف الفعلية الإلهية – هذا الخلق هو : عبارة عن تجلي الله في مرآة المخلوقات ، و هذه المخلوقات مختلفة ، وبيان الامـام علي (ع) من الطف التعابير العرفانية ، حيث عبّر عن هذا بـالتجلي بقولـه : (**الحمدُ للهِ المتجلي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِه**) .

فتجلي الله باعتباره من المقولات المشككة غير المتواطئة ، له مراتب مختلفة ، فبعض هذا التجلي شديدٌ وقـويٌّ وظـاهرٌ جـداً بحيـث يكـون سـبباً لتلاشـي الجبال ، والتي هي في الحقيقة مراسٍ حافظـةٍ لـلأرض ، و مـع ذلـك هـي لا

تحتفظ بوجودها أمام تجلي الله : ﴿ فلما تجلّى ربه للجبلِ جعلَه دكّا ﴾[١]
وبعض هذه التجليات سببٌ لرفع المستضعفين من حضيض الذلة إلى أوج العزة .

كما يتحدث الله عن الانتصارات التي حققها رسول الله (ص) وهي مجيء نصر الله فيقول : ﴿ إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتح ﴾[٢] إذا : التشكيك المنسوب هنا إلى درجة التجلي مَردُّهُ إلى تفاوت مراتب الظهور ، و التي معانيها عرفانية ، والتي لا يُبحث عنها في الحكمة ولا في الفلسفة ، لأنَّ عالم الخلق بكل شئونه أقلُّ من أن يكون البحث فيه مساوٍ للبحث في أصل الوجود .

نحن نعرف الله بما أبدعه وصوّره وبرءه من مخلوقات ، وندرك هيمنته تعالى من إهلاكه ورزقه وقدرته ، فأسماء الله الأفعالية تتجلى منها معرفة أسمائه الفعلية ، فالله عزّ وجلّ له نوعين من الأسماء والصفات :

أولاً : الأسماء الذاتية :

مثل (العلم ، الحي ، المريد ، القادر) وتُسمى أيضا بالصفات الجمالية ، فهي صفات مُثبتة لجمالٍ في الموصوف ذاته وافعاله . وهي تنقسم أيضاً إلى قسمين :

الصفات الثبوتية الذاتية :

وهي : الصفات المشيرة إلى كمالٍ في فعل الموصوف ، وتُنتزع من ملاحظة أفعاله سبحانه وتعالى : كالتكلم والحكمة .

---

[١] سورة الأعراف - مكية - أية ١٤٣

[٢] سورة النصر - مدنية - أية ١

الصفات الجلالية :

وسُمِّيت بالجلالية : لأنها صفاتٌ يجلّ الخالق عن الاتصاف بها ، وهي : كلُّ صفةٍ تُفيد نقصاً في ذاته ، أو حاجةً في فعله .كالشريك له ، والجسمية ، و الاتحاد ، فيقال : إنّ الله تعالى يتصف بأنه لاشريكَ له ، وليسَ بجسمٍ ، ولا متحدٍ مع غيره ، فهذه الأسماء تصف ذات الله ، والذات أكمل من ذلك ، فهي لايقيّدها قيد ، ولا يحدّها حد ، ولا يمكن الفصل بين هذه الصفات و ذات الله .

ثانياً : الأسماء الفعلية :

هناك أسماء تنتزع من مقام الفعل : كالرازق ، والخالق ، والعليم ، فأفعال الله التي تُنتزع منها أسمائه ، تتجلى لنا بها الصفات الإلهية ، ومنها نفهم معنى قول الإمام علي (ع) : (**الحمدُ للهِ المُتجلي لِخَلْقِهِ بخَلْقِه**) فنحن إذا نظرنا إلى مخلوقات الله من امرأة ورجل أو طفل أو زرع أو غيره ، نرى فطرة الإنسان مبرءةً من كل عيب ، ونفكر : من الذي جعل روح الإنسان تنسجم مع المعنويات ، وجعل أرواحنا لا ترتاح إلاّ إذا تبرئنا من النقص؟ إذا لاحظنا ذلك وفكرّنا بعمق ، سنصل إلى الحقيقة وهي : (أن الله هو الذي برء وخلق أبدع) .

المقدمة الثانية :

أنسب شيء للتعبير عن الشيء الممكن الوجود : أنّه آية وعلامة على الموجد ، وهذا مستفادٌ من ثقافة القرآن ، ومن وعي القرآن ، لأن كلَّ موجودٍ ممكنٌ بكمال ذاتياته وصفاته وافعاله ، هو علامة وآية على الله الذي لا

علامة له ، والذي ليس كمثله شيء ، ولا من دالٌ على ذاته ، ولا من رسمٍ لذاته ، ولا من موضّحٍ لها .

وكل الأشياء وجودها الممكن بكمال ذاتياته وصفاته ، هي علامة على هذه الذات ، فالإنسان مثلاً : إذا نزعناه من نفسه ومن حيثياته ، لا يبقى منه إلا كونه آية وعلامة على وجود الله، اما إذا نظر لنفسه سيكون هناك حاجب ، ولن يكون هو آية ، لأن أي شيء مستقل لا يشير إلاّ إلى نفسه ، وكذلك الإستقلال حجاب وستار عن الشهود والعرفان .

ونحن بأيِّ اتجاهٍ نظرنا ففيض الله موجودٌ في ذلك المكان وواضح : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله إن الله واسع عليم ﴾[٣] ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾[٤] ولكن الإنسان لأنه مختالٌ بنفسه متخيلٌ متوهمٌ ، لذلك يرى الأشياء ويحسبها مستقلة ، كالطفل الصغير الذي ينظر إلى صورة الشيء في المرآة ، ويحسب – لضيق افقه – أن هذا الشيء وجوده الواقعي هو هذه الصورة المرآتية ، وبناءاً على ذلك يحرم من رؤية الحق .

والانسان إذا تكامل ونمى وتخلى عن اهتماماته الشخصية ، وأوقفَ نفسه على الاهتمام بما أراد الله، سيكون هو نفسه كلمة الله كما كان عيسى (ع) كلمة الله : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[٥] أيُّ شخصٍ يعاشر عيسى (ع) يراه كأنّه كلمة وراءها معنى وهي مرتبطة بالله تمام الأرتباط ، ولذلك كلُّ أعمال عيسى (ع)

---

[٣] سورة البقرة – مدنية – ١١٥

[٤] سورة القصص – مكية – آية ٨٨

[٥] سورة النساء – مدنية –آية ١٧١

كاشفة عن وجود رب لهذا الإنسان ، لأنّه (ع) ذاب في ربوبيته لله ، كذلك الائمة (ع) في الدعاء : (**نحنُ كلماتُ اللهِ التامة**) وفي دعاء رجب : (**لافرقَ بينك وبينهم إلاّ أنّهم خلقك**) أي أنَّ كلَّ ما فيهم فهو منك ، لأنهم الناس الذين اجتمعت وتجلّت فيهم أسماء الله، فالإمام عندما يلعن إنساناً ما ، فإنّ هذا الانسان يطرد من رحمة الله ومن الجنة، وإذا أحبَّ الإمامُ شخصاً ما فأن محبته تعني محبة الله.

الإنسان إذا جُرِّدَ عن ارتباطاته الإجتماعية سوف يبقى عبداً لله فقط ، و الشيء الحقيقي في ذات الأشياء هي : عبوديتها لله ، فالدنيا علم الكثرة والخلط ، والمهمات الواقعية وغير الواقعية ، وهذه العلوم تحجب النظرة الصائبة ، وإلاّ فكلُّ شيءٍ هو آيةٌ لوجود الله، وكلُّ شيءٍ لولا حاجته لله وفقره له لما وُجِد ، أي شيء في الكون حقيقة وجوده هي كاشفة عن فقره لله ، ومن لا يشعر بهذا الفقر يكون محجوباً عَنَ الله .

في دعاء كميل نقرأ هذا المقطع : (**اللهمَّ ارحمْ من رأسُ مالِهِ الرجاءُ ، وسِلاَحُهُ البُكاء**) الدعاءُ فقرٌ وحاجةٌ وكشفٌ للمسكنة ، وكشفُ المسكنةِ كمال ، ولكي يكشف الإنسان فقره لله يحتاج للعلم ، ولكي يعرف من هو رافع حاجاته ، يحتاج إلى علمٍ يرفع عنه كلَّ الحجب ، ليرتفع عن كلِّ هذه الكثافات ، لذلك يقول صاحب كتاب الجواهر : (قول : بحولِ اللهِ وقوتِهِ أقومُ وأقعدُ ، ألطف من قولنا : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون) لأنه لولا حول الله وقوته وقدرته ، وإعطائه لنا القدرة على كشف فقرنا وضعفنا ، لما أدركنا هذه النعمة .

وهذه العلاقة هي التي تبين حقيقة ارتباط الإنسان بالله، فإذا رفع الإنسان القشور المحيطة به ، يبقى وجوده الأصيل وفقره وحاجته ، فترتفع الحجب

وتنتهي إلاّ الرابط الأكيد بينه وبين الله ، و هذا أكمل ما يمكن أن يصل إليه الإنسان ، فالشيء يكون كاملاً عندما يتمخّضُ عن حقيقته .

المقدمة الثالثة :

حقيقة الذات الإلهية واحدة ، وهناك اتحاد بين الذاتي وصفاته ، أي أن وجوده واحد ، ولكن صفاته متكثرة في الخارج ، فمثلاً : إذا كان إنسانٌ ما كريماً فإنَّ وجوده ذاتيٌ وكرمه صفةٌ عارضةٌ عليه ، فلو افترضنا أنّه إتّحدَ مع كرمه ، يمكننا نظرياً أن نفصل بينه وبين كرمه ، أما صفات الله فهي عين ذاته ولا يمكن الفصل بينهما ، مما يعني : أنَّ كلَّ إسمٍ للهِ هوَ مستجمعٌ لكلِّ الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية ، و ما الاختلاف بين الأسماء من جهة الإحاطة والظهور والخفاء والكمال إلامن هذه الجهة .

فالجلال والجمال التي هي من الأسماء الألهية لها مظاهر مختلفة ، فجمالُ اللهِ مختفٍ في جلالِهِ ، وكذلك جلالُ اللهِ مستورٌ في جمالِهِ ، فالشيء الذي هو مظهرٌ لجمالِ الله هو واجدٌ لجلال الله ، وكلُّ صفةٍ جماليةٍ لله في باطنها صفةٌ جلاليةٌ له ، وكل صفةٍ جلاليةٍ للهِ في باطنها صفةٌ كماليةٌ له .

القرآن يقول : كلُّ الاوصاف وماترونه وصفاً وإسماً للهِ هو فى باطنه وذاته إسمٌ جلاليٌ لله، وكلُّ ما يكون في نظركم وصفاً جلالياً و قهرياً لله فهو ينطوي على جمالٍ ، ومثالٌ على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[6] القصاص الذي هو إعدامٌ وإراقةٌ للدماء ، ومظهرٌ من مظاهرِ سلطنةِ الله ، وبسطٌ ليدِ جنودِ الجلالِ الإلهي ، في باطنِهِ حياة ، وهذا القهر العابر الزماني ووراءه رحمةٌ مستترة ، وهذا ليس فى جزءٍ واحدٍ من

[6] سورة البقرة –مدنية –آية ١٧٩

الشريعة ، بل هو نافذٌ في كل الشريعة ، وإن كنّا لانرى إلاّ الجوانب الظاهرية .

مثالٌ آخرٌ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنّه إليه تحشرون ﴾[٧] لإن الحياة في القسط والعدل ، وهذا الأمر لايكون إلا بالقيام ضد الظلم والجد والاجتهادِ والتضحية ، وليس بالكسلِ و الخمولِ الذي تتصورون أنّ فيه حفظكم ، ليس هذا هو الحفظ ، ونداء الحركة الصادر من الله الذي تعتقدون أنّ فيه هلاككم إنّما هو حياتكم .

مثالٌ آخرٌ :

النبي محمد (ص) مع زوجاته : ﴿إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أسرحكنّ سراحاً جميلاً وإن كنتنّ تردن الله ورسوله واليوم الآخر فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً ﴾[٨] الطلاق قطعٌ وفصلٌ ، ولكن عندما يصدر من رسول الله ففي باطنه كمالٌ ولطفٌ ، ونحن نأخذ بظاهر الاشياء ، لذلك لانرى ماوراء الاشياء الجليلة من جمال ، والجميلة من جلال .

مثالٌ آخرٌ :

عندما يكون الإنسانُ كاملاً ومطيعاً للهِ تمام الطاعة ، تكون اعماله الجلالية فى باطنها الرحمة ، فالقرآن يتحدث عن إتحاد الجلال والجمال فى شخصية الرسول محمد (ص) في تعامله مع الناس حيث يقول : ﴿ فاصبر على مايقولونَ

---

[٧] سورة الأنفال – مدنية – آية ٢٤

[٨] سورة الأحزاب – مدنية – آية ٢٨

واهجُرهُم هَجَراً جَمَيلاً ﴾[٩] فكيف يكونُ الهجرُ جميلاً ؟ أليسَ الهجرُ هو القلى والإبتعاد ؟ كيف يكون الهجرُ جميلاً إلاّ أن يكون فعل رسول الله(ص) ممزوجاً فيه الشيئين : الهجر الذي هو مظهرٌ للشدة ، و الجمال الذي هو مظهرٌ لمحبة رسول الله (ص) الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، كما قال القرآن الكريم عندما وصف أخلاق الرسول (ص) حيث أنَّ عُصَارَةَ أخلاقِ الرسولِ هو القرآنُ الكريم ، و القرآن يعبرُ عن نفسه أنَّهُ شفاءٌ ورحمةٌ لأناسٍ ، وعذابٌ ونقمةٌ وزيادةٌ في العمى على آخرين ، فالهجران الصادر عن هذه النفس المحبة لكل الناس ، هذا الهجران بنفسه جميل .

فالقرآن الذى هو عديل اهل البيت (ع) ، هو أيضاً جامعٌ للجلال والجمال ، فهو شفاءٌ للمؤمنين ، وخسارةٌ وتتبيّر للكافرين ، لأننا قلنا أن ذكر الخلق فى القرآن ممزوجٌ بالجمال والجلال ، والجمال له عدة أقسام منها : الجمال النفسي ، والجمال النسبي سواءً فى حدود الموجودات المادية أو الموجودات المجردة .

والجمال النسبي يعني : جمالٌ نسبةً إلى غيره ، والجمال النفسي يعني : جمالٌ في نفسه ، وهناك أيضاً : الجمال المعنوي وهو يعني : جمالُ كل موجودٍ في نفسه ، فالله تعالى يقول : ﴿ الذيأحسَنَكُلَّشَيءٍخَلَقَه ﴾[١٠] كلُّ شيءٍ جميلٌ في حد نفسه ، وكلُّ شيءٍ فيه جمالٌ فيه جلالٌ ، فليس هناك نقصٌ في شيءٍ من الخلق ، في ذاته ليس هناك نقص ، أيضاً بالنسبة للجمال النسبي نقول : بعض الموجودات بالنسبة الى البعض الآخر هي أجمل ، لذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّاجَعَلْنَامَاعَلىالأَرضِزِينَةًلَهالِنَبلُوَهُمأيُهمأحسَنُعَمَلاً

---

[٩] سورة المزمّل - مكية - آية ١٠ مدنية

[١٠] سورة السجدة - مكية - آية ٧

﴾[11] و ﴿ إنّا زيّنّا السّماءَ الدّنيا بزينةٍ الكواكبِ ﴾[12] و ﴿ واعلموا أنّ فيكم رسولَ اللهِ لو يطيعكم في كثيرٍ من الأمرِ لعنتّم ولكنّ اللهَ حبّبَ إليكم الإيمانَ وزيّنه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ أولئك هم الرّاشدون ﴾[13] أي كما أنَّ هناك جمال نسبي ظاهري ، فزينة السماء هي هذه الكواكب ، كذلك هناك جمال نسبي معنوي هو : تزيين الإيمان للقلوب ، كما أنَّ ما على الأرض هو زينة للأرض ، ثمَّ يقول : ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ لأنَّ روح الإنسان مجردة ، والإيمانُ أمرٌ معنويٌ وليسَ مادياً ، فالأيمانُ هو زينةُ هذا الامر المجرد .

كما أنَّ القرآن ميَّزَ بين الزينة التكوينية والزينة الاعتبارية ، وميَّزَ بين الزينة الرحمانية والزينة الشيطانية التي ظاهرها زينة ، فكلُّ مخلوقٍ موجودٍ رجلاً كان أو امرأة ، هو مظهرٌ لإسمٍ من أسماءِ الله : ﴿ ولا تدعُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ لا إلهَ إلّا هو كلُّ شيءٍ هالكٌ إلّا وجهَهُ لهُ الحكمُ وإليهِ ترجعون ﴾[14] هالكٌ : إسمُ فاعلٍ مشتق ، أي كلُّ شيءٍ هالكٌ من حينه ، لأنه غير مرتبط بالله سبحانه وتعالى .

ما هو الجمال المطروح في الروايات والقرآن ؟

تكلم القرآن عن الجمال المادي والجمال المعنوي ، و كذلك أهل البيت (ع) فالإمام علي (ع) قال : (**جَمَالُ الظَّاهِرِ حُسْنُ الصُّورَةِ ، وجَمَالُ**

---

[11] سورة الكهف – مكية – آية ٧

[12] سورة الصافات – مكية – آية ٦

[13] سورة الحجرات – مدنية –آية ٧

[14] سورة القصص – مكية –آية ٨٨

الباطِنِ حُسْنُ السَرِيرَة) فحسن النية هو جمال السرائر ، لذا حثّ الشارع المقدس على الجمال والعمل الجميل ، وهذا واضحٌ في لسان القرآن والعترة (ع) .

الجمال إمَّا جمال ظاهري أو جمال باطني ، أمير المؤمنين علي (ع) يقول : (**عقولُ النساءِ في جمالهِن**) فهو يتحدث عن الجمال الظاهري الذي هو حسن الصورة ، والجمال الباطني الذي هو جمال السريرة ، وكلاهما لنا حديثٌ عنه في القرآن والروايات ، وفي القرآن آيات كثيرة تدعو إلى حسن الباطن ،كما نرى ذلك في أحاديث الأئمة (ع) أيضاً ، فالإمام علي (ع) عند حديثه عن أهل التقوى والعلم يقول : (**مَعرِفةُ العِلمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يكسبُ الإنسَانُ الطَاعةَ في حَيَاتِهِ ، وجميلَ الأُحدُوثَةِ بعدَ وَفَاتِـه**) .

فالتجمل كما جاء في الروايات هو من أخلاق الأنبياء ، والتجمل المقصود به بالدرجة الأولى- ظاهراً - هو الجمال الباطني والظاهري في نفس الوقت ، ولعله أنسب إلى جمال الباطن ، وهو مأمورٌ به من قبل الشارع ، لذا نرى هذا القول : (**التجمُّلُ مِن أخلاقِ المُؤمِنين**) وهو شاملٌ لكلا القسمين ، وإن كان شمول التجمل المعنوي اكثر ظهوراً وموافقة للسان الأئمة (ع) ، لذا الإمام علي (ع) يطلب من إبنه الحسن (ع) في وصيته : (**فَلْتكُنْ مَسْأَلَتُكَ للهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى فِيمَا يَبْقَى لَـكَ جَمَالُـهُ ، وَيَنْفِـي عَنـكَ وبَالُهُ**) فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له على حد تعبير الإمام (ع) .

فهناك كمالات ظاهرية كالمال والبنون ، وهي جمالٌ غير باق لا يبقى لك ولا تبقى له ، فاطلب من الله ما يبقى لك جماله : كالعلم والمعرفة وطهارة النفس ، فجمال الإنسان في معارفه وفضائله ، فما يبقى جماله وينفى عن الإنسان وباله يكون تعبه وقتياً ، ثم يبقى بعد ذلك جمالٌ ممتد .

ولكن هذه الجمـالات لا تبـدو علـى صورة الإنسـان ، بـل هـي كامنـةٌ في سريرته ، ونحن مأمورون أن نعرف ونكشف هذه الفطرة في أنفسنا ، وذلك بأن نستمع إلى فطرتنا وننصت لها ، لأنَّ في المعارف والفضـائل ليس هنـاك فرق بين الرجل والمرأة ، لأنَّ الإنسان هو محورها ، ولا خصوصية للذكـورة والأنوثة في حقيقة الإنسان - كما سنبرهن علـى ذلـك فيمـا بعـد - ولا في الإيمان ولا في الفضائل .

و يمكننا أن نفهم من حديث الإمـام : (**عُقُولُ النِسَاءِ فِي جَمَالِهِنَّ**) أنّه لسانَ أمرٍ وإرشادٍ وليـسَ لسـانَ توصيـف ، فـالحديث ليس بصـدد شـرح ووصف صنفين من الإنسان ، فنقول : أنَّ المرأة عقلها يتلخـص في جمالهـا ، وهذا فيه جنبة ذم واستنقاص . أو نقول : أنَّ جمال الرجل في عقله ، وهـذا فيه جنبةِ مدح وثناء ، بل يعني أنَّ جمالَ المرأة ظاهره لطـفٌ وباطنـه عقـلٌ ، وعقلَ المرأة يكمن في باطن سـريرتها ، فـالمرأة موظفـة ، تسـتطيع أن تظهـر عقلها وتعقلها وفكرها الإنساني في لطف عاطفتها ، وجمال ظرافة ادائهـا ، وجمال حديثها وقولها وتصرفاتها ، وكيفية محاوراتها ومناظراتها ومواجهتها للمسائل وكـل شئونها في الحيـاة ، وبهـذا تسـتطيع أن تظهـر العقـل بهـذه اللطافة التي متّعها الله بهـا ، وكمـا أنَّ الرجـل موظـفٌ يسـتطيع أن يتجلـى ويظهر قدراته وفكره الإنسـاني وتفكـره العقلـي ، فـالمرأة كذلـك يمكـن أن تظهر هذا التفكر ولكن بلباس الجمال .

فمعنى كلامه (ع) : ليكن داخل جمالك الباطني أيتهـا المـرأة عقـلٌ وتفكـرٌ وعلمٌ ، فتكون عقول النساء في جمالهن ، فيتحد الجمـال والجـلال ، وذلـك عندما يكون العقل ظاهره حسن السريرة ، وصفاء ومعرفة للنفس ، وهـذان من ورائهما فكرٌ نيّرٌ الهي ، وإلا فلا يمكن الحصول على صفاء السـريرة بـلا عقل وتعقل .

هناك فرق بين العاطفة الفارغة من الفكر والتعقل ، والعاطفة الممتلئة هيجاناً لله وموجاً روحياً ، خلفه فكر ثاقب وعقائد حقّة ومعرفة عميقة ، وسلاحه - أي الفكر - سيكون البكاء ، والبكاء لا يكون سلاحاً إلاّ إذا كان ورائه معرفة وعلم ، فالسلاح يستخدم للحدة والصلابة ، والبكاءُ سلاحٌ أمام الله ، وجمال المرأة في حسن استخدامها لهذا السلاح .

البكاء الخالي من معرفة فقر الإنسان الذاتي لله يكون نتيجة لحالة عاطفية تأتي وتذهب ، ولكن البكاء أو الدعاء السرمدي يكون ناتج عاطفة جلال ومعرفة وعلم وعقائد ، عندما تنتاب الإنسان حالة الخضوع التام لمعرفته بأسماء الله معرفة إلهية .

نلخّص المطلب فنقول : أن الإمام علي (ع) في كلمته هذه ، إمّا أن يكون :

في مقام وصف : فيكون معنى كلامه أنَّ المرأة تستطيع أن يكون وراء جمالها عقل .

أو **في مقام أمر** فحواه : ليكن في باطن جمالك أيتها المرأة عقل ، ولتكن وراء عاطفتك عقل .

أو **في مقام مدح** للمرأة : بحيث إنها يمكن أن تصل بجمالها إلى طاعة الله بشرط أن تعتمد على عقل وعلم .

مقصد الأمام (ع) : أن الجمال المعنوي هو المأمور به من قبل الشريعة وهو الباقي ، لا الجمال الظاهري ، ولا يتصور الإنسان أن ما وراء هذا الجمال ضعفٌ ، إنّما ورائه عقلٌ ، لانَّ عقلهنَّ كامنٌ خلف هذا الجمال ، فالرواية في مقام إعطاء دستور عملي للرجل والمرأة ، فهي لا تمدح الرجل ولا تذمُّ المرأة ، فالرواية في مقام توزيع الوظائف ،كلٌّ في مجاله ، والمدحُ والذمُّ لا يكون إلا بعد الامتثال أو عدمه ، والرواية كما قلنا جاءت في مقام إعطاء

دستور وأوامر عملية ، والتفاوت بين الرجل والمرأة يكون حينذاك في نحو إرائة هذا الفكر الصائب الصحيح .

إذن : هناك طريق للمرأة ، وطريق للرجل ، وكلا الطريقان مؤديان لله .

نكتة مهمة :

هناك نكتة مهمة أشار إليها الشيخ وهي : أنَّ الأحكام والأوصاف التي ذكرت في متون الكتب الدينية عن المرأة على قسمين :

القسم الأول :

من المتون الدينية ينظر إلى ذات المرأة ويذكر أحكاماً تخص نفس المرأة ، وهي لا تتغير ولا تتفاوت على مر الدهور والأزمنة ، مثل : لزوم الحجاب والعفة ، وغيرها من المسائل العبادية وغير العبادية والأخلاقية التي لا تتغير، فهي جاءت على نحو القضية الحقيقية على حد تعبير الاصوليين والمناطقة ، فهي ناظرةٌ للمرأة على مر الدهور ، ولا يستفاد من هذه الروايات أنّها تخصُّ المرأة في وقت معين ، وهذه الأحكام لاتتغير بمرور الأيام .

القسم الثاني :

من المتون الدينية لاينظر إلى ذات المرأة ، ولكن ينظر إلى التربية والمحيط الذي تعيش فيه المرأة ، التي إذا توفرت فيها التعاليم الحقة والتربية الرزينة ، لأصبح لا فرقَ بينها وبين الرجل ، فإذا وجدَ تفاوتٌ وفرقٌ بين الإثنين فهو من قبيل التمايز بين أفراد كل صنف ، وهو كالتمايز الذي يحصل بين صنف الرجال أحياناً ، كما لو تمايز طلابٌ من الرجال في صفٍّ واحدٍ في تفاوتِ مستوياتهم العلمية وقدراتهم الذهنية ، هذا التفاوت الحاصل بين الرجال أنفسهم حاصلٌ بين الرجل والمرأة ، وعلى ضوء ذلك لا نستطيع أن نحمل

الروايات التي تنهى عن استشارة النساء ، أو التي تتحدث عن نقصان عقل المرأة على لسان الإطلاق ، وأنها تشمل المرأة العالمة المحققة الصالحة ؟

هذه الروايات ليست على نحو القضية المطلقة التي لا يمكن أن تقيد ، لإنَّ لسان حالها مخالفٌ للذوق الإسلامي ، هذه القضايا جائت على نحو القضية الخارجية التي ليس لها الامتداد على جميع أفرادها ، لأنَّ الرأي الواهن موجود حتى في صنف الرجال إذا لم يتربُوا تحت تربية العقل العملي والنظري ، فالإمام علي (ع) يقول لبعض الرجال الذين كانوا معه في حرب النهروان : (**يا أشباهَ الرِجَالِ وَلاَ رِجَال ، حُلُومُ الأطفَالِ وعُقُولُ ربَّاتِ الحِجَال**) تعبير الإمام (ع) هنا بقياس الرجال على النساء ، ليس فيه قضية إطلاق : أنَّ المرأة دائماً ناقصة عقل ، لأنَّ هذا التعبير كان بلحاظ الغلبة الخارجية ، ومردُّ ذلك ومنشئه يرجع إلى ابتعاد المرأة عن التربية الصحيحة والتعليم السليم ، أمَّا إذا هُيئت للمرأة التربية الصحيحة والشرائط المناسبة ، فعلى حد تعبير الشيخ الجوادي ، سوف تكون الغلبة حتماً للمرأة ، لإنَّها أكثر قابلية للفضائل .

إنَّ وهنَ وضعفَ العقل العملي ليس أصلاً مقوماً لذات المرأة ، حتى نقول : كلَّما وجدت المرأة فلابدَّ أن يكون هناك وهنٌ وضعفٌ عمليٌ وعدمٌ عزيمة ، فهو - أي ضعف العقل - في الأصل ليس فصلاً ولا جنساً لها ، ولا يُمَثِّلُ خاصيةً من خواص المرأة ، ولا يُمَثِّلُ حتى حدّاً وصفياً للمرأة ، بحيث لو إنعدم هذا الشيء لما كانت المرأة ، وكذلك ليس هذا الأمر من المسائل الفقهية الملازمة لها مثل الحجاب والعفة ونظائرها ، وليس هو من المسائل الأخلاقية التي تختص بالإستحباب ، مثل : صلاة المرأة في مكان ما مثلاً ، فلسان هذه الرواية كما قلنا ليس لسان تعبُدٍ حتى نحمل الرواية الواردة هنا كالروايات الواردة عن التعبد .

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل المرأة أكثر ميلاً للعبادة والتخضع ، وهـذا الميـل بذاته يوصلها أسرع إلى الله ، فالنبي محمد (ص) يقـول : (كـلٌّ مُيَسـرٌ لِمَا خُلِقَ لَه) والمـرأة بما أعطيـت مـن جمـالٍ في سـريرتها ، ومـا يستبطن هـذا الجمال من جلال ، تستطيع بحسن تصرفاتها أن تحـــفظ مكانتها ، كما في قصة سارة زوجة نبي الله إبراهيم (ع) عندما بشّرتها الملائكة بإسحاق (ع) : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[١٥] أي أنهـا في سنٍّ كبيرة ، ومن حسن التصرف ألاّ تـأتي بعمـل خفيـف ، مع أنّهـا في باطنهـا تشـعر بـالفرح ، ولكنهـا لم تظهـره أمـام النـاس ، وحفـظ الإتــزان الشخصي يتحقق عندما يكون ورائه عقـلٌ وتعقـلٌ، وعندئـذٍ سـوف تكـون المـرأة في كـل مواجهاتهـا تتصـرف بـاللين واللطـف وحسـن الأداء وجمـال التصرف ، وهذا يحتاج إلى ذوقٍ ورقّةٍ وحسنِ تصرف .

أكثر الناس لا ذوقَ عندهم في عرض المعارف الإنسـانية ، المـرأة أقـدر علـى تحسس جزئيات المسائل الدقيقة والفنية لعرض هذه المعارف في كسوة مـن اللطف والجمال والمحبة ، التي هي الطريق الأسرع والأقرب إلى الله ، وهـذه المحبة إذا كان خلفها عقيدةٌ وعلـمٌ ومعرفـةٌ قرآنيـةٌ ، ستكون أكـثر جاذبيـة لروح المرأة لاتحادها مع خلقـتها وسليقتها .

قال الإمام علي (ع) : (**المرأةُ ريحانةٌ وليست بقهرمانة**) أي على المـرأة ألاّ تُكلّفَ بشيءٍ أكثرُ من نفسها ، لأنّها إذا انشغلت بشئون كثيرة إجتماعية أو غيرها ، سيضطرب ذهنها ولن تستطيع التعامل مع المعلومات التي تأخذهـا ، أمّا خالي البال فالمعلومة التي سيأخذها ستكون أوضح وأكـثر إنسـجاماً مـع

---

[١٥] سورة الذاريات - مكية -آية ٢٩

روحه ، أمّا إذا انشغلت الروح بالهموم والناس ، فهي لن تتأثر لأنّها لا تنفرد با لله لانشغالها بغيره .

فإذا كانت الروايات تُلزم المرأة بشئونها ، فليس ذلك منقصةً لها ، بل لأنّه يناسبها ويناسب طبيعتها ، فمثلاً : يُستحبُّ أن تصلي المرأة على سطح دارها خاصة صلاة المغرب : ﴿ ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون ﴾[16] الراحة هنا فيها جمال ، ولو اِلتفتنا إلى هذه الملاحظة : أداء صلاة المغرب وقت الغروب على سطح الدار ، وعدم الإنشغال بغير ا لله ، ورؤية النجوم ، وغروب شمس الأصيل ، فإنّنا سنرى أنّ الإنسان سيشعر بالغم من ذنوبه ، ومن قبيل ذلك أيضاً : إستحباب نافلة صلاة الغفيلة ،ووقتها قصير يذهب بسرعة ، وفيها يهاجر الإنسان من ذنوبه وتقصيره ، فيشعر بالهم والغم لإنتهاء اليوم ، حيث يقرأ هذه الآية في الركعة الأولى : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك نُنجي المؤمنين ﴾[17] هذه اللحظات تتناسب مع هذا الجو ، وهذه الآيات تثير في الإنسان مشاعر العبودية ، وفي الركعة الثانية يقرأ قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب

---

[16] سورة النحل -مكية - اية ٦

[17] سورة الأنبياء - مكية --اية ٨٧ و ٨٨

مُبِين﴾[١٨] عندماننسب كلَّ شيءٍ يقع في الظلمات لله ، فهذا إفراغٌ للنفس عن غير الله، وإعدادٌ للنفس لإستقبال هزيع الليل .

خلاصة البحث في رواية (عُقُولُ النِسَاءِ فِي جَمَالِهِنَّ) :

أنَّ أكمل وأجمل ما في الخلق هو كونه آية من آيات الله ، والشيء إذا أكتمل واصبح خالصاً لله، ليس فيه شيءٌ من نفسه سوف يكون آيةً تامةً لله .

أنّ الذات الإلهية لا يمكن أن تتجلى لأحد ، حتى النبي محمد (ص) في معرفته لذات الله يقول : (**أنَا والنَملَةُ فِي ذَلِكَ عَلَى حَدٍّ سَوَاء**) ولكن هناك جزءٌ من المعرفة يمكن أن يُعرَف به الله ، وهو الجزء الذى يقول عنه الإمام علي (ع) : (**إنَّ الله لَمْ يَحجِب عَنْ خَلْقِهِ وَاجِبَ مَعْرِفَتِهِ**) والغرض مِنَ الأبحاث الإلهية هو : معرفة الجزء الواجب من المعرفة : (**لَمْ يُطلِع العُقُولَ عَلى كُنْهِ مَعْرِفَتِه**) فهذه الذات لايمكن معرفتها ، ولكن يمكن معرفة جزءٍ منها يتجلى بنوع من المعرفة ذات الأبعاد المتعددة ، والإطلاع على القرآن والأدعية يساعد على اتساع هذه المعرفة ، وأسماء الله باعتبارها عين ذاته لا تنفكك ، فكلُّ إسمٍ جماليٍ إذا نُسِبَ إلى الله في باطنه جلالٌ ، والعكسُ أيضاً صحيح ، فأسماء الجمال والجلال لا تنفكّ لأنّها متحدةٌ في الذات .

أنَّ الإمام علي (ع) كما قلنا سابقاً إمّا أن يكون : في مقام مدحٍ ، أو مقام أمرٍ ، أو مقام وصفٍ ، فيكون معنى كلامه إن كان أمراً : أن تهتم المرأة بالجمال الذي ورائه فكرٌ وتعقلٌ ، لتكون العاطفة عاطفة كمال ، وليست

---

[١٨] سورة الأنعام – مكية –آية ٥٩

عاطفة ضعف . وإن كان وصفاً يكون معنـى كلامـه : باستطاعة المـرأة أن تستغلَّ هذه العواطف وتجعلها تـرقُّ وتصفـو أكثر إذا اتّحـدت مـع العقـل ، وكان فيها فكر ومعرفة وعقائد حقة ، فـإذا كُمَـلَ الإنسـان كـالنبي مثـلاً ، فإنّنا نلاحظ توافر هذه الصفات فيه ، وكلام الإمام (ع) توصيـةٌ للمـرأة ألاّ تتحرك إلاّ بذوقٍ وحكمةٍ ، ونحن نسعى أن نوضح ذلك للعقل الذى طلـب القرآن التوجه إليه .

المحاضرة الثانية

﴿ المرأة في القرآن ﴾

عندما نريد أن نعرف قيمة أيِّ موجودٍ بلسان القرآن ، لا بدَّ أن نرى إنسجام هذا الموجود مع القرآن ، القرآن له هدفان :

١-الهداية :

٢-كمال الهداية والنورانية : ﴿ هو الذي ينزِّلُ على عبدِهِ آياتٍ بيناتٍ لِيخرِجَكم مِن الظُّلُمَاتِ إلى النورِ وإنَّ الله بكم لرؤوفٌ رحيم ﴾[١٩] .

وتحت هذين الهدفين تندرج كل الكمالات التي دعى إليها القرآن ، مثل : العلم ، التقوى ، الصبر، الهمة العالية ، الاخلاق .... الخ ، ولكي نأخذ المسألة من جذورها ، نأخذ الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان : ﴿ الرحمنُ * عَلَّمَ القرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَهُ البيان ﴾[٢٠] في هذه الآية نلاحظ تنسيقاً معيناً في النظم الترتيبي لهذه الموجودات الأربع ، بعض الآيات القرآنية التي فيها أوصاف ، يكون الوصف مأخوذاً به في الآية ، وبعض الأوصاف غير مأخوذٍ بها ، لأنّها تكون في مقام التعداد ، مثل قوله تعالى : ﴿ إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ

[١٩] سورة الحديد – مدنية – آية ٩

[٢٠] سورة الرحمن – مدنية – من آية ١ إلى آية ٤

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[٢١] ليس المقصود به هنا ترتيب منزلتهم ، أو أفضليتهم ، ولا يستفاد من هذا الوصف أيهم يسبق الآخر، إنما هو في مقام تعداد مجموعة من صفات المؤمنين والمؤمنات .

ولكن أحياناً يُقدَّمُ ما من شأنه التأخير في الموجودات ، أو العكس ، وهذا ما لاحظناه فيما تقدم من آيات سورة الرحمن فلابدَّ أن تكون هناك غاية وراء ذلك ، لأنَّ حق النظم والترتيب أن يقول : الرحمن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، علم القرآن ، لأنَّ تعليم القرآن يكون بعد خلق الإنسان ، فلماذا قَدَّمَ الله تعليمَ القرآنِ على خَلقِ الإنسان ؟

لأنّ المولى عزَّ وجلَّ يريد أن يقرر حقيقة أكيدة في القرآن ، وهي : أنَّ الإنسان ما لم يسبِق إنسانيته تعلُّمٌ وتتلمذٌ على يد القرآن لايكون إنساناً ، والقرآن إذا كانت له عدة أغراض إلهية مهمة ، فإنه يقدم الأهم بالذكر أولاً، فالمولى عزَّ وجلَّ يريد أن يبين أنَّ الإنسان إذا لم يتعلم القرآن فسوف يكون بحكم البهيمة .

تأخير جملة ﴿علمه البيان﴾ معناه : أنَّ الإنسان إذا صرف حياته في تعلّم القرآن سوف يكون إنساناً ، لأن تعلّم القرآن يسبق إنسانية الإنسان ، فإذا لم يتعلم القرآن لايمكن أن يعلمه الله البيان ، لأن الإنسان حينئذٍ سيكون في حياته كالبهيمة ، فهناك فرق بين الذي يعرف البيان ، فهو على بينةٍ من أمره وبصيرةٍ وهدى ، يعرف دقائق أموره وعلى معرفة في عمله ، وبين الإنسان الذي لا يعرف في أي شيء هو ، وعلى أي حال ، لأنه لم يستفد

---

[٢١] سورة الأحزاب - مدنية - آية ٣٥

من محضر القرآن ، و لم يتأدب بالقرآن ، هذا الفرق مبتنٍ على أنَّ مدار إنسانية الإنسان هو : التعلم من القرآن .

وحتى يتحدث القرآن عن خلق الإنسان ، فلا بدَّ من أن يتحدث أولاً عن تعليم القرآن ، مع أنَّ حق النظم كما قلنا هو : تقديم الخلق على التعليم ، لأنّك تعرف الشخص أولاً ثم تتحدث عن علمه ، إذن : لابدَّ أن هناك إرادة ما من هذا التقديم والتأخير ، وهذه الإرادة هي : أنَّ الإنسان لايصل لمرتبته الروحية والإنسانية إلا بتعلم القرآن ، لذا كان تعلّم القرآن قبل خلق الإنسان .

لقد أوجد الله سبحانه وتعالى المعارف والعلوم قبل الإنسان حتى تنتهي به إلى أكمل المعارف ، والأنسان يلتذُّ بسماع الصفات الأخلاقية الحسنة مثل : النُبل ، والشرف ، والتقوى ، والحلم ، فإذا بُدأت السورة بوصف هذه المعاني ، وكيفية الوصول إليها ، مالت الفطرة في الإنسان إلى السماع والتعلم ، ولأنَّ الله يريد أن يميل بفطرة الإنسان هذا الميل إلى الخير والكمال ، شرَّع الشرائع ، وأوحى الوحي ، ثمَّ خلق الخلق ، الرواية تقول : (**الحجة قبل خلق الخلق**) والأنسان مادام موجوداً ومكلّفاً ، فهو مُخاطَبٌ بأن يتعلّم من القرآن ومدرسة الوحي .

في الدنيا هناك ضجر وفراغ نتيجة جهلنا بالمراتب الإنسانية التي نُدعى إليها دائماً ، فحبَّذا لو فكرَّ الإنسان قبل إنجاب الأطفال بالعلوم والتربية التي يمكن أن يعطيها ويوفرها لهم ، لكي يؤدي واجبه ومسئوليته كاملةً نحو نفسه ونحوهم ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ البيان معناه : إمَّا القدرة على النطق والإفصاح ، أو أنَّ شئونه كلّها بيِّنةٌ عنده وواضحة ، ونتيجةٌ لذلك : من الممكن أن تتصف أعماله وتصرفاته بالحكمة

والبصيرة ، فهو على بينةٍ من ربه ، فالبينة كصهوة الفرس يمتطيها الإنسان لتوصله لغايته ، بعكس الظلمات التي تحيط بالإنسان من كل جانب ، فإذا تعلّم الإنسانُ القرآنَ كان على بينةٍ من أمره ، وسوف تكون شئونه على أكمل وجهٍ وأنسب حالٍ ، وتظهر فائدة الحكمة ونتيجتها في الدنيا ، حيث تكون الدنيا درباً ممهداً لنيل السعادة الكاملة في الآخرة .

كيف يتعلم الإنسان القرآن ؟

التعلم غير التلاوة والقراءة ، وتعلم القرآن يحتاج إلى مقدمات ودروس وأبحاث ، وإلاّ كيف يجرؤ إنسانٌ ما أن يقول : أنه يستنطق القرآن كما قال الإمام علي (ع) : (**استنطقوا القرآن**) لا يوجد من يقول : أنّه يعرف كل نظريات القرآن عن المرأة والطفل والرجل والتربية في القرآن مثلاً !

نحن نرى أنَّ أكثر أعمال الإنسان لا يرضى عنها الإنسان نفسه ، لانَّ بها إبهامٌ وإغلاقٌ يجعله لايستطيع أن يرى الماضي فيرممهُ ، أو يرى المستقبل فيستفيد منه : ﴿ وجَعَلْنَا مِن بينِ أيديهِم سَداً ومِن خَلفِهِم سَداً فأغشَيناهُم فهم لا يُبصِرون ﴾[٢٢] البعض ماضيه غير واضحٍ عنده ولا مستقبله ، ومابين يديه كلُّه غموض وعدم إبصار وعدم سماع ، حتى يتحول كالأنعام : ﴿ أمْ تَحسَبُ أنَّ أكثَرَهُم يَسمَعُونَ أو يَعقِلُونَ إنْ هُم إلاّ كالأنعَامِ بَلْ هُم أضَلُّ سَبِيلا ﴾[٢٣] ثم يصبح كالخشب المسندة .

في القرآن مسألة مهمة وهي : أنَّ الإنسان ذا شعورٍ وإدراكٍ غيرَ متناهٍ ، والإيمان ليس له مرتبة واحدة ، بل هو كلَّ يومٍ يزداد أو ينقص ، فلو سمع

---

[٢٢] سورة يس - مكية - اية ٩

[٢٣] سورة الفرقان - مكية - اية ٤٤

الإنسان كلمةً حسنة ، فقد يعيش حالة نورانية نتيجة سماعه لها لمدة أسبوع مثلاً، وقد يزوره إنسان لمدة نصف ساعة ويستغفر الله لمدة أسبوع عن زيارته .

اثر التربية القرآنية على الشعور :

إذا تربى الإنسان تربية قرآنية ، فإنّ هذه التربية سيكون لها تأثير واضحٌ على شعوره ، فيصبح من أولي الألباب ، وهناك فرقٌ بين الإنسان الذي له لبٌّ والذي فؤاده هوى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢٤] ذو اللب ينفذ إلى دقائق الأشياء ، ويميل إلى أفضل الأشياء و أكثرها إنسجاماً مع نفسه ، فيأخذ اللبَّ ويترك القشور ، فأعماله ذات عقل وتعقل ، والقشور هي : مظهر العمل الخارجي ، أمّا باطن العمل فهو المهم ، وقد يستطيع الإنسان أن يتوصل إلى لب الأشياء ، بل ولب الناس فيعرفهم بمجرد النظر إليهم ، فإذا لم يدخل الإنسان مدرسة القرآن فسوف يتصور هذه العلوم نوعٌ من الخيال ، أمّا من دخل مدرسة القرآن فإنّه يرى مقدرة الأنبياء على تكليم النمل مثلاً ، أو إحضار عرش بلقيس بلمح البصر ، أو ركوب الرياح ، أو تسخير الجن .

بماذا تعرف إنسانية الإنسان ؟

من يدخل مدرسة القرآن يعرف معنى توحيد الله ، وأنّه غالبٌ على أمره وعلى كل الأسباب الطبيعية ، وأنّ العِزةَ والنَّصرَ للهِ وللرسولِ وللمؤمنين، فعلينا أن نصرف نظرنا وتفكيرنا إلى هذه العلوم ، حيث أنّها مدار إنسانية الإنسان ، فبمقدار ما نأخذ من القرآن تكون إنسانيتنا ، بعض الناس

---

[٢٤] سورة القصص – مكية –آية ٥٠

يكونون مخضرمين ، يأخذون مقداراً من القرآن ومقداراً من غيره ، حتى يتغلب أحد العلمين على الآخر ، إمّا علومٌ إلهية أو علومٌ بهيمية ، النبي (ص) يقول بما معناه : (**لولاَ تَكفِيرٌ مِن كَلاَمِكُم ، وتَهزِيعُ في أخلاَقِكُم ، لخَاطَبَتكُم الملائكة ، ولَرَأيتُم النورَ المُمتَدَ مِن السَمَاءِ لِلأرض**) .

فالبيان إن كان النطق معناه ، فالله هو الذي يعطي القدرة على النطق ، وإن كان معناه الإبانة عن الشيء ، وكون الإنسان على بصيرة ، فليس هناك معلم أفضل من القرآن للحصول على هذه البصيرة ، وحَسَنُ البَيَان معناه : أي ذو حكمة وبصيرة في أعماله .

لماذا جاء القرآن باسم (الرحمن) في أول السورة ؟

عندما جاء القرآن باسم الرحمن في أول السورة ، كان له قصد هام يخص به الإنسان، عندما نقول : النحوي عَلّمٌ ، فإننا نقصد : علم النحو ، وكذلك المهندس عَلّمٌ ، أي : علم الهندسة ، والطبيب عَلّمٌ ، أي : علم الطب ، وعندما نقول : الرحمن عَلّمٌ ، أي : أنه في مقام التعليم للرحمة وبواطنها ، وهذه مسألة قرآنية مهمة جداً ، لها ارتباط بصلة الرحم والأخلاق ، فالمعلم الذي سمّى نفسه بالرحمن كان له غرضٌ من هذه التسمية .

قاعدة قرآنية هامة :

القرآن فيه مسألة ضرورية أكيدة وهي : أنّ كلّ ما في الكون يدور مدار المحبة والرأفة القانونية ، فمثلاً : من يحتاج للأخر الشمس أم القمر ؟ القمر يحتاج للشمس طبعاً ، فهو يستمدُّ نوره من الشمس ، ويدور في مدارها ، ومع ذلك نرى في القرآن الكريم هذه الآية الكريمة : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن

تدرك القمر ولا الليل سابق النهار كلٌّ في فلك يسبحون ﴾[٢٥] فالآية توضّح أنَّ الشمس مع أنّها غير محتاجة للقمر ، إلاّ أنّها ملتزمة بمسار القمر وتوقيته حسب قانون الرحمة الإلهي .

مثالٌ آخر : القرآن يصف ملائكة العرش فيقول : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٢٦] الآية مهمة في بيان مقام الرحمة والرأفة النافذة في الكون ، فالملائكة التي تحيط بالعرش تسبح بحمد الله وتستغفر للمؤمنين ، وتطلب من الله أن يقبل توبة التائبين منهم ، ومعنى ذكر الله لطلبهم : أنَّ طلبهم مستجاب . ثمَّ هؤلاء الملائكة يفكرون في المؤمنين المذنبين فيطلبون لهم الوقاية ، والوقاية هنا ليس معناها : أن لاتجعلهم يخطئون ، لأنَّ هذا الأمر غير ممكن ، وإنّما معناها : قِهم من أثر السيئات عليهم ، وأغفر لهم إذا أخطئوا ، فهم يستغفرون للمؤمنين حتى من قبل أن يخطئوا ويعملوا السيئات .

مثالٌ آخر : المؤمنون الإلهيون يصلون الليل ويفكرون فيمن هم دونهم ، ويستغفرون لأربعين مؤمن كحد أدنى يقبل به الدعاء ، فالله يقول استغفر لاربعين مؤمن يهمك أمرهم ، وإرادتك متعلقة بكمالهم ، ويستحب

---

[٢٥] سورة يس - مكية - آية ٤٠

[٢٦] سورة غافر - مكية - آية ٧ و ٨ و ٩

للإنسان أن يستغفر في كل صلاة وفي كل قنوت ، فهذا الإستغفار غير مقتصر على صلاة الليل فقط ، وإنما ذكر الإستغفار في صلاة الليل لأنه وقت المناجاة بين العبد وربه .

إنَّ الله يريد أن يُدخل الإنسان في هذه المدرسة القرآنية ، ويطلب منه أن يتشبه بالملائكة ، ففي دعاء زين العابدين(ع) : (**ولَعَلَّ فِيهِم مَن هُوَ أَسمَعُ مِنّي عِندَكَ لِدُعَائِي**) هؤلاء هم الملائكة ، واستغفارهم مقبول ، هذا الكون قائم على المحبة والرأفة والألفة ، والرحمن يُدّرس الرحمة ، ومن فهم كل القرآن سوف يكون رحمة للمؤمنين ، كما كان رسول الله رحمة لهم ، أي إنك إذا فهمت دروس القرآن كلها وتعلمتها ، ستكون رحمة للعالمين .

إذا أتقن الإنسان فهم القرآن ، لن يفكر في أهله وذوى عمومته فقط ، بل سيفكر في كل من تقع عليه عينه من الناس ، وهذا هو هدف القرآن : أن يربي شخصاً رحماً نبياً كالرسول (ص) الذي استلهم دروسه من القرآن ، فكان رحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[٢٧] الإنسان إذا استلهم كلَّ دروس الرحمة ، واستغفر لشخص من الأشخاص ، قبل الله استغفاره ، إذا تعلم الإنسانُ اللطف ، والرحمة ، والعطف ، والتجاوز ، وعدم الإحساس بمزاحمة الآخرين له وسبقهم عليه، فإن هذا معناه : ارتفاع مستوى إنسانيته ، وأنّه أصبح يجذب الناس لله، وانه صار إنساناً ذا بيان ، أنّه أصبح آيةً وكلمةً لله ، وأي عبد لله لايستطيع أن يدور في هذا الحد إلاّ بتعلم القرآن .

---

[٢٧] سورة النساء - مدنية - آية ٦٤

من الذي يتعلم القرآن ؟

الذي يتعلم القرآن ويجالسه هو : الروح والعقل والنفس والفكر ، لا الإنسان بوصف الذكورة أو الأنوثة ، الذي يجالس القرآن ليس الهيكل الخارجي ، بل الروح ، لأنَّ غرض القرآن هو : التزكية والتعليم ، فهو لا يربي الجسد إلاّ في حدود التكاليف الفقهية ، إنما هو يربي الروح والعقل ، ويخاطبهما مدَّعياً : أنَّ مسيرة الإنسان غير متناهية إلا بلقاء الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ ﴾[٢٨] القرآن لايقول : يا أيها الانسان إنَّك تموت ، فالموت حقيقة معروفة ، إنَّما يقول : أنَّ هناك لقاء بينك وبين ربك ، فأمَّا أن تتربى في أحضان القرآن ، وتلتقي بالله لقاء تلميذٍ تعلم لدى أستاذه ، أو تلتقي لقاء : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[٢٩] أي ما أشدَّ كفره بالله .

القرآن يقول : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[٣٠] أي أنَّهم يتعاملون مع الذكر الذي هو غذاء الروح بالإدهان وبكل سهولة ولين، في حين أن الله طلب منَّا أن نأخذ القرآن بقوة وعزم ، فهناك فرق إذن بين تلميذان يلتقيان الله الأول منهما : يعلم أنَّه لايموت ولاينتهي ، فالقرآن لا يريد أن يقرر حقيقة بديهية نعرفها ، إنَّما يريد أن يُعَرِّفَ لنا الموت ، لا أن يقرر حقيقته : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾[٣١] القرآن الذي هو في مقام المعلم يريد أن

---

[٢٨] سورة الإنشقاق – مكية – آية ٦

[٢٩] سورة عبس – مكية – آية ١٧

[٣٠] سورة القلم – مكية – آية ٩

[٣١] سورة المؤمنون – مكية آية ١٥

يقول : أنَّ الميت يختلف وصوله لله ، فإمَّا أن يلتقي بمعلّمه ومدرسه بعد الموت ، فيراه بعد تعلقه بعلومه ، وإمَّا أن يكون من المدهنين المكذّبين.

وكما رأينا فإنَّ كلَّ هذه الخطابات هي خطابات روحية وعقلية فكرية ، غير ناظرة للهيكل ذكراً كان أم أنثى ، إنَّ الله معلّمٌ مجردٌ من الجسم والهيكل ، لذلك لاينظر إلى صورنا بل إلى ارواحنا وعقولنا ، لإنَّ الجهات المسئولة عن التهذُّب والعلم هي : الروح والعقل والفكر والنفس ، والله لأنّه معلّمٌ مجردٌ عن التأنيث والتذكير أيضاً ، فإنَّ تلامذته هم : الروح والنفس والعقل والفكر في أي جسم كانوا !

إذن : المسألة في بحث قيمة المرأة والرجل في القرآن هي أرفع من البحث عن الذكورة والأنوثة ، إنّما هو بحث عن الروح المجردة عن القيود والحدود المادية وغيرها ، التي تتعلم وتتهذب بالقرآن ، فالغرب يبحث في مسألة مساواة المرأة بالرجل ، أو اختلاف الرجل عن المرأة ، أمَّا القرآن فيقول : أنَّ هذه القضية سالبة لانتفاء الموضوع ، لأنَّ المسألة لاقالب لها ، لأنَّ الروح لا هيكل لها ، إنما هو يبحث في التكاليف والقيم والفضائل التي يمكن أن تكسبها الروح ، وليست المرأة أو الرجل أفضل من بعض في هذا المجال ، إنّما العبرة بالروح ، فهي التلميذة في صف القرآن ، هل تستطيع أن ترتفع إلى فصول أخرى في مدرسة القرآن ؟ أو أنها لم تدخل المدرسة أصلاً ؟

المحاضرة الثالثة

﴿ الروح أم الجسد ﴾

ذكرنا فيما سبق : أنَّ القرآن لا يتحدث مع الجسم والهيكل ، إنَّماحديثه مع الروح ، بل أنَّ القرآن يعدُّ الكمال الإنساني مداد فهم القرآن ، لـذا قلنـا في الآيات السابقة عن التقديم والتأخير : أنَّ ذلك لغايـة مقصـودةٍ في القـرآن ، واختلال النظم قرينةٌ لُبية داخلة في المطلب .

إنَّ لله إرادة في التقديم والتأخير ، وهذا ما دعى إلى اختلال السياق ، ووفقاً لقرائن الحكمة والبلاغة ، يجب أن يُؤتى بالمطلب بحقه من التدرج من الأهـم إلى المهم ، والرتبة من التقديم والتأخير ، وخلاصة ذلك : أنَّ القرآن لا يعتبر الإنسان إنساناً ما لم يتعلم القـرآن ، فيجـب عليـه أن يتعلمـه ليكـون إنسـاناً ويتعلم البيـان .

قاعدة كلية في القرآن :

هناك قاعدة كلّية في القرآن ، وهي : أنَّ الأغراض الإلهية إذا كانت أهم مـن الأغراض البلاغيـة ، يقـدم القـرآن الأغـراض الإلهيـة ، لأنَّ القـرآن في مقـام المربي والمعلم ، وهو يريد أن يوصل شيئاً إلى التلميـذ ، أحيانـاً يـبرز القـرآن الجانب البلاغي ، والبلاغة هي معجزة القرآن ، إلاَّ أن هذا الغـرض - وهـو

الجانب البلاغي – وهو من أهم مميزات القرآن وأحد معا جزه ، ليس المعجز الوحيد للقرآن ، بل أن للقرآن معاجز أخرى غير البلاغة .

هدف القرآن هو التربية التدريجية للإنسان من السهل إلى الأصعب ، حتى يصل بالإنسان إلى العلوم الالهية الراقية ، وهذا الغرض أهم من الحفاظ على نسقٍ بلاغيٍ معين ، فإذا اعترض أحد على هذا النسق نقول : بالرغم من أن البلاغة أحد معاجز القرآن ، إلاّ أنَّ هدف القرآن الأسمى هو : أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهو هدف كما قلنا أسمى وأرفع من أي أسلوب أو طريقة بلاغية أو أدبية يتبّعها الناس ، وهذا ماجعل القرآن ليس معجزاً في الدنيا فحسب ، بل في كل زمن ممتد .

نعم هناك ألفاظ بلاغية ،وعلم للبلاغة ، مع ذلك مهما ارتفع علم البلاغة وتطورت أساليبه وتعبيراته ، تبقى هناك طرق أخرى للتعبير وإيصال المعاني ، ففي يوم القيامة قد لاتكون هناك حاجة للكلام ، حيث أنَّ حال الإنسان تُبينُ عنه : ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾[٣٢] في ذلك اليوم لا حاجة للبلاغة ، فيقال للإنسان : إقرأ القرآن وترقى بمقدار ماتعلمت منه ، من هنا نصل إلى حقيقة هدف القرآن الأسمى وهو : تربية الإنسان الإلهي ، وإلى أنَّ هناك حدًّا للأعجاز وحدًّا للبلاغة (المقصود حد منطقي) .

القرآن يجعل الروح هي الهدف ، ويقول : أنَّ المربي والمدرس هو : الله ، وأمَّا المادة فهي : القرآن ، وأمَّا المتعلم فهو : الإنسان ، بهذا قرَّرَ القرآن حقيقة هي من ألطف الحقائق التي يمكن أن تُدرَس في الحقائق الإلهية ، فلو قلنا : أنَّ المرأة والرجل صنفان متمايزان ، فلابدَّ أن نأخذ الهدف من وجود

---

[٣٢] سورة الفتح – مدنية – آية٢٩

المرأة والرجل ؟ وأيهما أكثر انسجاماً مع الهدف والتربية والتعليم والدراسة والتحصيل ؟!

معنى البيان :

وكما قلنا : إذا لم يتحقق هذا المعنى في ذهن الإنسان فلن يتعلم البيان بمعناه الحقيقي ، البيان ليس هو النطق فقط ، فمشكلة الإنسان ليست في نطقه ، الإنسان مفكرٌ ، مريدٌ ، معتقدٌ ، مدركٌ ، ومجموع كلّ هذا الأمور جمعت في كلمة (الناطق) حتى تكون حدّاً معرفاً للإنسان ، وإلا فالنطق ليس حدّاً داخلاً في ذات الإنسان ومقوماً له ومميزاً له عن غيره ، حدود الإنسانية الحقيقية هي : معرفة الله، وليست القوة الناطقة في الإنسان ، الإمام علي السجّاد (ع) يقول : (**الحمدُ للهِ الذي لو حَجَبَ عن خلقِهِ مَعرِفَةَ حمدِهِ لخرجُوا من حدِّ الإنسانيةِ إلى حدِّ البَهيمِية**) .

فنحن لو أردنا أن نعرّف الإنسان ، فإنّنا نعرّفه بأحد الحدود المنطقية المعروفة مثل : الحدّ التام أو الناقص ، أو الرسم التام أو الناقص ، والإمام السجّاد (ع) يتعرض في كلامه لتعريف الإنسان بالحد التام ، فيقول : إمّا أن يعرف الإنسان نِعَمَ الله عليه ، ويستغرق في حمد الله وشكره ، فيدخل في حدود الإنسانية ، أو أنه لا يعرفه فيدخل في حد البهيمية ، ولا تكون حياته بينة له ، بل يكون بهيمة ، لذا قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ أي أنّه على بينة من أمره ، وبصيرة من أعماله .

حقيقة الحمد وحدوده :

ثم يعبرّ الإمام عن حد الإنسانية والبهيمية فيقول : إنَّ من يسلك طريقاً للدخول في محضر القرآن ، ثم يقطع أشواطاً كبيرة في طلب المعرفة ، فهلو

إمَّا أن يكون إنساناً حامداً يحمد الله ويستغرق في حمده نتيجة لمعرفته ، وإمَّا أن يكون بمنزلة البهيمة ، وحمد الله ليس له حدٌّ واحد بل حدود غير متناهية : (**أول الدين معرفته**) وكل هذا يدور مدار الروح لأن الذي يحمد ليس هو اللسان : (**إذا أنعمَ الله على أحدٍ بنعمةٍ فأدرَكها فقد حَمِدَ الله حتى لو لم يُحرِك لِسَانه**) لأن الثناء يكون بإدراك المُنعِم ونِعَمِه ، والحمد شعور بالضعف أمام نِعَمِ الله وقدرته ، هذه المعرفة وهذا الشعور هو حقيقة الحمد ، وهذا الإدراك ذا حدود كثيرة ، وكلَّما غرف الإنسان من ينبوع القرآن وروايات العترة الطاهرة ، وكلُّما ذاب في القرآن أكثر ، وكلما كان حامداً ولو لم يحرك لساناً - لأنَّ الحمد هو إدراك جمائل الله عليه - كلما أقترب من حقيقة الحمد أكثر فأكثر .

علاقة الحمد بجنس العبد :

هذا الحمد غير متوقف على الذكورة والأنوثة ، بل هو متوقف على الروح المجردة ، والدليل على ذلك : أنَّه لابدَّ أن تكون هناك مسانخة بين الصفة والموصوف ، فعندما نقول : أنَّ الإنسان قد حمد الله ، فالمقصود أنَّ هناك نسبة بين الإنسان ومعرفة الله ينتج عنها هذا الحمد ، لأن الحمد يصدر من الصورة الداخلية للنفس وليس من المادة ، والحمد يصدر من وجود الإنسان بما هو مدركٌ لله ، وهذا الدليل على المسانخة رافع للذكورة والانوثة من الأصل ، فنحن إمَّا أن نقول : أنَّ هناك ذكر وأنثى ، وأنَّهما غير متساويان ، وننشغل بحل الإشكالات الناتجة عن اختلافهما ، أو نقول : أنَّ هناك روحاً مجردة هي مدار البحث والحديث ، فالذي يتزكى هي الروح ، والذي يتنور هو العقل ، وهما ليسا مذكر أو مؤنث ، ونحن ندَّعي أنَّ القرآن في مقام جذب الروح إلى مراتب عليا ، فالقضية إذن سالبة بانتفاء الموضوع ،

أو نقول كما يقول الغرب : أنَّ هناك ذكر وأنثى ، وأنَّ بينهما تساوياً في كل شيء ، ونحاول معهم حل الشبهات الناتجة من هذا القول .

على ماذا تحصل الروح عند دراستها للقرآن ؟

الذي يريد القرآن بيانه من المقدمات هو : أن ثمرة الدراسة في القرآن تعطي شيئاً لا يعطيه إلا القرآن ، لأن الروح إذا درست في محضر القرآن تحصل على أشياء معينة ، فعلى ماذا تحصل الروح بتتلمذها على القرآن ؟

القرآن يسمي نفسه روحاً كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٣٣]

فنحن نرى أنَّ القرآنَ سَمَّى الوحيَ روحاً ، فإمَّا أن يكون هناك تلامذة يأخذون من هذه الروح ويحيون بها حياةً طيبة ، أو لايأخذونها فهم ميتون في ضمائرهم وعقولهم وأرواحهم ، لكنهم يعيشون بأبدانهم حياةً خبيثة ، فالقرآن لا يعتبر الإنسان مؤمناً أو كافراً ، بل يعتبره إما حيَّاً أو كافراً ، فاعتبر الإيمان حياة ، والكفر موتاً ، حسب مفهوم الآية الكريمة : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٣٤] لأنَّ هناك تقابلاً واقعياً بين المؤمن باعتباره يمثّل الحياة الحقيقية ، وبين الكافر باعتباره يمثّل الموت الحقيقي .

ولكي نعرف أي حياة يهبها لنا القرآن ، لابدَّ لنا أن ندخل في خضم هذه الآيات وهي في مقام بيان مطالب دقيقة ، وقد قدمنا فيما سبق أن القرآن

---

[٣٣] سورة الشورى – مكية – آية ٥٢

[٣٤] سورة يس – مكية – آية ٧٠

روح ، وأنه يهب لقارئه ودارسه حياة فوق هذه الحياة الطبيعية : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَى وهوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجزِيَنَّهم أَجرَهُم بأَحسَنِ ماكَانوا يعملون ﴾[٣٥] فلم تقل الآية : ليطيبنَّ حياته لأنَّ الحياة لا تطيب ، وليس هذا غرض القرآن لأنَّ الحياة الدنيوية كلما طابت كانت وبالاً على صاحبها .

إنّما يقول سبحانه وتعالى : أنَّ الذي يطيع الله حقَّ طاعته ، يعطيه الله حياة في باطن الحياة التي يعيشها ، وتكون ثمرة تتلمذه للقرآن هي : أن ينظر إلى حياة واقعية حقيقية لااعتبارية في باطن الحياة التي يحياها ، وذلك بأن يعطيه شعوراً أقوى من شعوره الطبيعي ، وعقلاً فوق عقله الطبيعي ، وإدراكاً فوق إدراكه الطبيعي ، ومحبة فوق محبته الطبيعية ، وهذا ماتبينه هذه الآية الكريمة عن مستوى محبة المؤمنين لله ، ومحبة الكافرين لأنداد الله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ﴾[٣٦] وكل هذا يبدأ من الإدراك ، حيث تجتمع إرادة الإنسان للوصول إلى الكمال عن طريق التولي والتبري .

القرآن يعالج مشاكل الحياة ويصلحها ، والقرآن يقول : أنَّ له عطية فوق هذه العطايا ، فهو يعطي حياة أخرى طيبة ، هذه الحياة لها مواصفات ومميزات وثمرات ، وحتى نعرف هذه الحياة وثمراتها ، لابدَّ أن نعرف معنى الحياة أولاً ؟

---

[٣٥] سورة النحل - مكية - آية ٩٠

[٣٦] سورة البقرة - مدنية - آية ١٦٥

معنى الحياة :

الحياة من المسائل التي لم ينتهِ الفلاسفة إلى تعريف دقيق لها ، إنّما قـالوا : أن الموجود الحي له مميزات لا توجد في غيره وهي : العلـم والإدراك والإرادة والشعور ، وهذه تجعله يعمل ما يريد ، ثم قـالوا : أن هـذه الأشياء ليست الحياة ، إنّما هي من لوازمها ، وأمّا الحياة نفسها فلم يستطيعوا تعريفها .

هل الحياة هي الشعور ؟ قالوا : لا..لأنَّ الحي يشعر والشعور ملازم له ومـن لوازمه !

هل الحياة هي العلم ؟ الجـواب : كـلا..فـالعلم مـن لـوازم الحيـاة وكذلـك الإرادة !

القرآن يدّعي أنه يعطي حياة فوق الحياة ، ووجوداً فوق الوجـود ، وعندمـا يدعي القرآن أنّه يعطي حياة مـا ، فـلا شـكَّ أنّهـا الحيـاة الطيبـة : (**طوبـى شجرة في الجنة اصلها في بيت أمير المؤمنين وفروعها في بيـوت المؤمنـين**)

فإما أن تتعلم من هذه العلوم القرآنيـة وتستقيها مـن منبعهـا الأصلـي وهـي دوحة النبوة وعين الولاية ، وإلاّ فـأنت لا تعيـش الحيـاة الطيبـة ، ومحـالٌ أن تحصل على غصن أو ورقة من هذه الشجرة ، لأنَّ الأصل في الحياة أنْ تنتهي بالإنسان إلى أن يكون موته وحياته لشيءٍ واحد : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣٧] الصلاة لله معروفة ، النسـك لله معـروف ، ولكن الموت لله كيف يكون ؟

[٣٧] سورة الأنعام – مكية – آية ١٦٢

معنى الموت :

الموت هو : المقطع الكمالي الذي نصل إليه ونقصده ، فإذا قصدت وجه الله في كمالك وقصدك ، تتلقاك الملائكة بقولها : ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾[٣٨] حيث أنَّ الله أمَرَ الملائكة أن تسلِّم على المؤمنين عند قبض أرواحهم ، فكما نعيش نموت ، الموت ليس باختيارنا ، ولكن نهايتنا باختيارنا ، الهدف الذي نصل إليه باختيارنا ، باختيارنا أن ندخل في محضر الرسول (ص) أو لانحضر ؟ أن ننتمي لخط الرسول أو لاننتمي ؟!

ومادمنا قد عرفنا معنى الحياة ومعنى الموت ، يتبقى علينا الإجابة على سؤال آخر مهمٌ جداً هو : ماهي ثمار الحياة الطيبة التي وعدنا بها القرآن؟!

ثمار الحياة الطيبة :

الثمرة الأولى :

أن الإنسان لا يتكلف عندما ينوي وجه الله : فعادةً إذا أراد الإنسان أن ينوي عملاً لله تعوقه العراقيل مثل : الخوف من الرياء أو عدم التوفيق أو غيره ، ولكن لو افترضنا أنَّ هناك إنساناً عنده إرادة فوق الإرادة الطبيعية ، وعقلاً فوق العقل الطبيعي ، وفوق العلل الطبيعية ، هذا الإنسان عندما يريد لابدَّ أن تتحقق إرادته ، مثل ما أنَّ علم رسول الله (ص) وإرادته هما شيءٌ واحد .

قد يقول قائل : إنّنا نعلم ونتعلم الكثير من علوم القرآن ولكننا لا نستطيع تحقيقها ؟!

---

[٣٨] سورة الحجر – مكية – آية ٤٦

فنجيب بالقول : ولكن رسول الله (ص) كل ما يعلمه يحققه ، وهذه ثمرة من ثمار الحياة الطيبة التي كان يحياها الرسول (ص) لأنَّ كل دوافعه الطبيعية تريد وجه الله ، والذي يعيش حياة طيبة يتكلف لكي يجامل الناس ، لأنه يتأذى من ضياع وقته ، ولأنّه لا يشعر بالانسجام بينه وبين مجالس البطالين ، حيث أنّه يرى أنَّ شعوره يسمو فوق هذا الشعور الذي تولده هذه المجالس ، وهذا الجو الروحاني هو أحد ثمار الحياة الطيبة .

الثمرة الثانية :

أن يكون علم الإنسان ومعرفته بأسماء الله وصفاته وتوحيده في حالة تكامل : حيث تصبح محبته للموحدين أيضاً في حالة تكامل ، وهذا هو أحد معاني اشتداد المحبة ، أحياناً يحب الإنسان أبنه لأنّه عالِمٌ مثلاً ، وأحياناً يحبه لأنّه عالم ذو خلقٍ حسنٍ ورقةٍ ولطف ، فكل زاوية من هذه الزوايا الإنسانية لهذا الإبن تعطيه الحق لأن يكون محبوباً ، حيث أنّه متكاملٌ من كل الجهات ، ومن هنا تشتد المحبة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[39] ولأولياء الله ، إنّك إذا أحببت شخصاً لعدة حيثيات ، وكانت هذه الحيثيات متوفرة فيه أكثر من غيره ، فإنَّ هذا يعني اشتداد محبتك لهذا الشخص أكثر من غيره ، بينما أهل الدنيا يحبونها حبّاً جمّاً : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[40] ولكن هذه المحبة وهمية ، لأنّها تدور في دائرة ضيقة هي : دائرة اللعب واللهو . أمّا محبة الله فهي ليست في حد

---

[39] سورة البقرة – مدنية – آية ١٦٥

[40] سورة الفجر – مكية – آية ٢٠

الخيال والتصور : ﴿ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[41] فالإنسان إمَّا أن يحب الله وأوليائه ، أو أنه يلعب بـل يخوض في اللعـب ، وحتـى لـو تصور أنَّ هذا الأمر ليس لعباً ، فإنَّ تصوره هذا غير كاشف عن الحقيقة .

الثمرة الثالثة :

تهذيب محبة الإنسان واشتداد محبته بالحق : فهو لا يحب في حد الأوهام بل في حد الواقع والإدراك ، هناك فرق بين محبة عالم الدين مثلاً ومحبـة الابـن ، محبة الابن عاطفةٌ موجودة في الوجدان لكنها لا تشعرك بالقداسة ، أمّا محبـةُ عالم الدين فهي تشعرك بالقدسية وهذه الحالة تعني اشتداد حالـة المشـاعر في الإنسان وهذه هي الحياة لأنها تجمع الإدراك والعلم والإرادة .

إذاً هناك فرق بين قول القرآن لنحيينه حياةً طيبةً أو لنطيبن حياته .

والآن لمـــاذا قدمنا هذه المقدمـــة ؟

إن الإنسـان إمّـا أن يعيـش حيـاة طيبـة ويحصـل علـى ثمارهـا وتشـتد محبتـه للمؤمنين أو أن لا يشعر بهذه الأحاسيس ،وهذه الأحاسيس ليســت وهميـة يمكن حذفها إنها واقعيةٌ إما أن تشعر بها أو إنك ميتٌ كخشب مسندة .

الإيرانيون يعتقدون آن من لا يعشق الخميني لا يعشق المهدي (ع) ، فالإمـام الخميني رضوان الله عليه كـل كلامـه كـان كـالوحي مـن الله ، عـن النبـي (ص) [**علماءُ أمتي أفضلُ مِنْ أنبياءِ بـني إسـرائيلَ**] معـروف عـن الشـيخ جوادي انه لايمدح أحداً أبدا ومـع ذلـك قـال عـن الإمـام (كـل عبـارات الإمام كانت إلهية عندما قال الأمام للمجاهدين أقبلُ أيديكم كان ينظر إلى أن يد الله فوق أيديهم ، وفى الفاجعة عندما قال صبرت علـى كـل شـيء

---

[41] سورة الأنعام - مكية - آية ٩

إلا أنني لا احتمل الصبر على هذا ، صبر علـى الكثـير مـن الآلام والمصـائب والأحداث ولكنه لا يستطيع الصبر على انتهاك حُرَمِ الله كانت عنـده غـيرة على الله ، يقول الشيخ عاشرته خمساً وعشرين عاما و لم أرهُ يغضب لنفسـه أبدا على كثرة الكلام الذي صدر في حقه و لم تتغير ألوانه حتى عندما جـاءه خبر استشهاد أبنه السيد مصطفى لم تتغير ملامحه ولكن في أحد الأيام دخـل عليه بعض الأشخاص وأخبروه أن قاضيا ظلم شخصاً فأحمر وجهه وأرتجف بدنه خوفــا من الله.

نحن عندما نـزور الأئمـة (ع) وأولادهـم نقـول : (**أشـهدُ أنّكـم قَـدْ بلغتـمُ الرسالةَ**) مع أننا لم نرهم ولكننا مأموريــن بالشهادة وأما الإمام فقــد فعـل وبلغ الرسالة وهذه هي الحياة الطيبة .

الثمرة الرابعة :

من ثمار الحياة الطيبة أن يدرك الإنسان الأحداث التي تمـر عليـه ، إمّـا إدراكُ معرفةٍ واشتدادٍ وإلا خشب مسندة وهـذا حـدٌ عـبر عنـه القـرآن ﴿ **قلوبهم كَالحِجَارةِ بلْ أَشَدُ قَسوة** ﴾[٤٣] فبعـض النـاس يسـمعون الكثـير مـن المواعـظ ويرون عظات أكثر ومع ذلك لا يشعرون وهذا مـوت واقعـي لأن أغصـان شجرة طوبى غير ممتدة في بيوتهم وهدف القرآن الوصول بالإنسـان للحيـاة الطيبة ، نعود للآية السابقة مدار البحث ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى** ﴾هذه الآية فيها دليل من أوثق الأدلة والمسائل على نفي الذكورة والأنوثـة وكونها شرطا للحياة الطيبة ، ﴿**من عمل** ﴾ عمل : فعـل مـاض للمذكـر ،

[٤٣] سورة البقرة - مدنية - آية ٧٤

﴿ صالحا ﴾ صفة لهذا العمل وليس في الآية كلمة أخرى تدل على المؤنث فما معنى هذا؟

ثم يقول ﴿ لنحيينه ﴾ والضمير في الجملة (الهاء)يعود على المذكر أيضا فكيف نحل هذا الإشكال ؟ إذا كان قصده الذكر فقط فلماذا جاء با لأنثى ؟وإن كان يقصد أن لكل منهما عمل مستقل وأثر مستقل لهذا العمل لجاء بضمائر تشير وتناسب هذا المعنى .؟

حل الإشكال إنه يريد أن يقول أن العمل الصالح مجرد من الذكورة والأنوثة ،و أن الحياة الطيبة مشروطة بشروط غير الذكورة والأنوثة والآية حذفتها من الأصل إذا القضية سالبة بانتفاء الموضوع ،هذه الحياة ليس شرطها الذكورة أو الأنوثة إنما لها شروط أخرى ،ولقد جاء بالأنثى في مقام تقرير حقيقة .

الفرق بين ذات المرأة وذات الرجل:

وصلنا إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة في الذات أو المقام أو المبداء من الله أو الصراط أو الرجوع إلى الله وذكرنا أن القرآن يدعو إلى حياة طيبة ويدّعي أن لها ثمار ونتائج وعرفنا معنى الحياة، وأن حقيقة الحياة غير معروفة إلى الأن بل عُرفّت بلوازمها من إدراك وشعور ، وأن هذه الحياة غير مشروطة بالذكورة أو الأنوثة ، إنما شرطها الإيمان والعمل الصالح ودللنا على ذلك بأكثر من دليل ، منها :

١- دليل اساسي ضمني من الآية نفسها ﴿ ومن يؤمنُ باللهِ ويعملُ صَالحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوأُنْثَى فَلنُحْيِيَنهُ حَيَاةً طَيبَةً ﴾ فلآية تقرّ إمكانية الذكر والأنثى للوصول إلى هذه الحياة ، لكنها تجرد النتيجة وهي الحياة من ضمير الذكورة

والأنوثة ، لأن الكادح هي الروح وهي التي تصل للمقام ، ويجب أن تكون هناك مسانخة بين لقاء الله المجرد والملتقي بالله وهي الروح المجردة ، وهذا حديث القرآن مع الروح والنفس وقلب الإنسان وصدره وهذه الأسماء في القرآن وإن جاءت بأسماء عدة لأغراض تتناسب مع موارد الألفاظ إلا أنها تحكي عن التي بين جوارح كل شخص منا يقول عن نفسه أنا ،فهو بلا شك لا يقصد جسده وإنما يقصد حقيقة وجوده لذا القرآن إذا يتحدث عن حقيقة الوجود يقول ليست أجسادكم حقيقة وجودكم إنما ما يوجد ويعيش ويموت هي الروح .

القرآن في مقام الرد على منكري البعث حتى يقرر أن حقيقة الإنسان كلها هي الروح ﴿وَقَالوا أَإذا ضَلَلنا في الأَرضِ أَإنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيد ﴾[٤٤] أي إذا متنا وتحولنا إلى تراب وامتزجنا بتراب الأرض وضعنا هل نحن في خلق جديد هؤلاء اشتبهوا بأن حقيقتهم في أجسادهم وكيف يمكن أن تجمع الأجساد بعد الموت واختلاطها بتراب الارض

الآية فيها نحو ين من الاستفادة :

١- أن الإنسان حقيقته ليست في جسده ولا جسدهُ لازمٌ لها ولا جزء من الحقيقة ، أحيانا نقول أن الحقيقة هي الروح والجسد جزء منها ، وأحيانا نقول أن الحقيقة هي الروح فقط ، والآية الشريفة تجيب ﴿ قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكم ثُم إلى رَبِكُم تُرجَعُون ﴾[٤٥] الشيخ جوادي يستفيد من ﴿ يتوفاكم ﴾ أن استيفاء الشيء هو أخذه من كل جهة والموت ليس انعدام

---

[٤٤] سورة السجدة- مكية - آية ١٠

[٤٥] سورة السجدة - مكية - آية ١١

بل استيفاء للحقيقة وانتم تعتقدون أن أجسادكم تضل وتضيع ولكن حقيقتكم يستوفيها الله بقبض الروح وأجسادكم ليست جزء من الحقيقة ولا من لوازمها لأن الاستيفاء أخذ لوازم الشيء والجسد مثل الثوب تلبسه الروح لتظهر أفعالها، والذي يموت كل حقيقته عند الله، إذاً أنتم لا تضلون حقيقتكم عند الله .

٢- يستفيد صاحب الميزان من يتوفاكم (كم) لا تعود على أجسادكم بل حقائقكم أي يأخذ أرواحكم ، فحقيقة الإنسان في القرآن هي روحه ، وروحه يمكن أن تصل بالعلم والمعرفة والكدح والجد والتخطيط وعلو الهمة والتعلق بآل البيت إلى مقامات أعلى من الملائكة .

والقرآن يدقق في هذا المجال فهو أعطى الملائكة مقامات وأعطى الإنسان نفس هذه المقامات ، أحيانا قدم الملائكة على الإنسان ، وأحيانا قدم رتبة الإنسان على الملائكة وحفظ القرآن جنب الإشتراك بين الأثنين وهي : التجرد ، والعلمية ، ومقام العمل .

١-المقامات العلمية :

يتحدث عنها القرآن وينسبها إلى الإنسان ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[46]

حتى يقبل الله شهادة الإنسان بالوحدانية ويكون هذا المقام متحد مع صدق وعدالة الإنسان ويقرنه بالملائكة ،يقول في هذاالمقام أن الله يشهد على وحدانيته ، ولا توجد آية يجمع الله فيها شهادته و الملائكة والإنسان مثل هذه الآية ، تقول الزهراء (ع):[**لا إله إلا الله كلمةٌ ضَمَّنَ القلوبَ**

---

[46] سورة آل عمران- مدنية - آية ١٨

موصولها وجَعَلَ الإخلاصَ تأويلها] هذه المكانة العلمية من الممكن أن يصل إليها الإنسان بحيث يجعل الله شهادة هؤلاء العلماء بمستوى شهادته عز وجل ومستوى شهادة الملائكة وهذا لا يكون إلا بقطع الإنسان مراحل علمية لتقبل شهادته في محضر الحق ، فالقاضي لا يقبل شهادة شخص إلا إذا شهد أثنين على عدالته فكيف با لله ؟

الشهادة لها مقدمات وطريق الشهادة إدراك حضوري بوجود كإدراك ﴿من شَهَدَ منكم الشهرَ فليصمهُ ﴾[٤٧] من يؤمن بوجود الله كمن يرى القمر هذا تقبل شهادته ، القرآن كتاب تعليم يعلم الإنسان كيف أن الشهادة والمقام العلمي يمكن أن يشترك فيهما الإنسان والملائكة ، فيشهد الله على الوهيته والملائكة وأولواالعلم.

٢-المقام العملي :

ذكر القرآن من تخلى عن نصرة الرسول (ص) فقال ﴿إن تتوبا إلى اللهِ فقدْ صَغَتْ قلوبُكماوإن تظاهَرَا عليه فإن اللهَ هوَ مَوْلاهُ وجبريلُ وصَالحُ المؤمنينَ والمَلائكة بَعْدَ ذَالِكَ ظَهيرٌ ﴾[٤٨] هنا تقدم مقام الإنسان على الملائكة لأن الإنسان تحمل رسالة القرآن ونصرته والجهاد ، والذي ينصر الرسول مقدم على الملائكة ويأتي بعده في الرتبة ، في مقام العلم قرنهما الله وفي مقام العمل قدم الإنسان لإن الإنسان معلم الملائكة والتلميذ لا يتقدم على استاذه ،فبعد صالح المؤمنين تأتي الملائكة ظهيرا وهذا من المقامات التي يتساوى فيها الأثنان

---

[٤٧] سورة البقرة -مدنية - آية ١٨٥

[٤٨] سورة التحريم -مدنية - آية ٤

٣-مقام التولي والتبري :

إذا قويت جاذبة الإنسان وشفّت ورقّت وكانت في احسن مواقعها ستكون تولي لأنه سيقدم رسول الله على نفسه ﴿ إن اللهَ وملائكتَهُ يُصلّونَ عَلى النّبي يا أيها الّذين آمَنُوا صَلّوا عَلَيه وَسَلِّمُوا تَسْلِيما ﴾[٤٩] في مقام الولاية الملائكة تصلي على الرسول وتسلم عليه والمؤمنين مأمورين بالصلاة والسلام عليه .

وفي مقام التبري ﴿ إنّ الّذِين كَفَرُوا وَماتُوا وهُم كُفّارٌ أُولَئكَ عَلَيهم لَعنَةُ اللهِ والمَلائكة والنّاسِ أجمعين ﴾[٥٠] بنفس الترتيب السابق في التسليم على الرسول تكون البراءة من اعداءة وهذه سنة الله ، في زيارة الحسين (ع) نسلم على الحسين (ع) ونلعن قتلته (**اللهم العن اول ظالم ....**) حتى تقوى القوى الجاذبة وتشتد القوى الدافعة للمبطلين نَسب هذا العمل للناس والملائكة ، فلابد أن تكون هناك جنبة اشتراك بينهما ،للتبري والتولي جانب مهم في شخصية الإنسان حيث يطرد عدو الله مهما كان .

هذه المقامات المشتركة بين الملائكة والإنسان غير مقيدة بذكورة أو أنوثة لأن من يقوم بالعمل هو الوعي والإدراك والفكر ، وإذا اعتدلت هذه القوى في الإنسان شارك الملائكة في كل حياته فقويت محبته الجاذبة للرسول (ص) وزاد بغضه لأعدائه وهذه صفة مشتركة للملائكة وعباد الله الصالحين .

في المباحث الفقهية هناك شرط في بعض الأعمال للذكورة أو أنوثة ، ولكن ذلك لكونها أعمال إجرائية مدارها مدار الجسد وهذه مباحثها في الفقه

---

[٤٩] سورة الاحزاب -مدنية -آية ٥٦

[٥٠] سورة البقرة - مدنية -آية ١٦١

وليس في الإلهيات والفلسفة مثل الساتر في الصلاة لايهم أن يكون لونه اصفر أو أحمر أو ابيض المهم أن يستر البشرة ، أي ليست في مقام الذات .

هناك إشكال أورده البعض : أن القرآن يتحدث بضمير المذكر السالم في اغلب الأحكام -ياأيهاالناس - ياأيهاالذين امنوا -بأستثناء بعض المواضع التي يكون الحديث فيها خاص بالمؤنث ،هل معنى هذا أن القرآن يحدث الرجل و لا يحدث المرأة؟

أحد مفسري القرآن من السنة وهو الألوسي يقول : نعم إن القرآن يحدث الرجل ولا يحدث المرأة لأن القرآن كتاب رفيع المستوى يخاطب من هو في مستواه والرجل أرفع مستوى من المرأة ، هذه النظرة الجاهلية ليس لها أساس من الصحة .

الأصل في القرآن ان يتحدث بلسان الحوار الطبيعي الذي تتحدث به العرب ،فنحن إذا أردنا أن نتحدث عن المجتمع مثلا نقول الناس تقول كذا ، الناس تفعل كذا ،وهذا من باب التغليب ، وهذه طريقة القرآن ، وإلا كيف نفسر الآيات التي تحدث الرجال والنساء ثم تجعل الثواب للرجال فقط ،مثل آيات الهجرة فالذين هاجروا هم مجموعة من النساء والرجال ﴿**أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم من ذَكَرٍأو أُنثَى** ﴾[٥١] نلاحظ أن الضمائر في الآية كلها للمذكر السالم فإذا كان المقصود هم الذكور فلماذا جاء بالأنثى ؟ القرآن كتاب لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه وليس فيه لفظ زائد لا حاجة له.

[٥١] سورة آل عمران – مدنية –آية ١٩٥

القرآن يتحدث بلسان العرب ويستحدم طريقتهم في التعبير ويرى المسألةسالبة بانتفاء الموضوع ، وفي القرآن مسألة أدق من هذه ففي بعض الاحيان يقصد القرآن أن يتحدث عن المرأة ويخصها بالحديث .

وهناك قاعدة عامة في القرآن انه جاء ليعالج مشاكل اجتماعية خطيره مثل الشرك الذي كان مستشريا في المجتمع أو مكانة المرأة في الجاهلية ، فالاسلام أهتم ببيان مكانة المرأة في الإنسانية ، وليس ذلك لأن هناك ذكورة وانوثة بل لأن المجتمع كان ينكر مقام المرأة وكان القرآن يريد علاج هذه المشكلة ، فمثلا في الإرث كانت المرأة في الجاهلية لا ترث بل تورث كالمتاع ولما جاء الإسلام شرع لها حقاً ثابتاً ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[٥٢] الاصل أن للأنثى حظاً مثل الذكر لكن مختلف من حيث الكمية، وحتى هذه الكمية قابلة للتغير فترث الأنثى كالذكر فالجد مثلا إذا توفي وورثه احفاده ترث بنت الولد حصتين ويرث أبن البنت حصة واحدة .

مثال اخر من قصص القرآن عن الأولياء الصالحين ﴿ تلك الرسل فضلنا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾[٥٣] نلاحظ :

١- أن مقامات الرسل متفاوتة عند الله مع أنهم جميعا مرسلون معصومون والله رلضي عنهم ولكن مستواهم مختلف.

٢- القرآن إذا تحدث عن الأنبياء وقصصهم فهو ليس كتاب قصة بل كتاب تعليم ويأتي في نهاية كل قصة بقاعدة كلية ففي قصة نبي الله يوسف (ع) في نهايتها يبين الله كيف يوصل المحسنين إلى النتائج ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ

---

[٥٢] سورة النساء- مدنية -اية ١٧٦

[٥٣] سورة البقرة- مدنية - اية ٢٥٢

المحسنين ﴾[٥٤] وذكر القرآن هذه القصة للتعليم ولكي نعرف جزاء المتقين ولتوضيح مجموعة من القواعد عن طريقها ، فالقرآن ليس كتاب تاريخ بل يقدم ويؤخر في سرد احداث القصة ، وعندما يتحدث القرآن بخصوص المرأة فلكي يؤكد مقامها كقصة مريم(ع)وقصة يوسف (ع) كلا الشخصيتين واجهت خطرا من جهة العفة والطهارة ، ففي قصة يوسف (ع) تبداء القصة من القائه في الجب إلى اخر الآيات﴿ فَهَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِهِ وَكَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ ﴾[٥٥] يوسف ليس مصروف عنه السوء فقط، بل السوء والفحشاء مصروفان عن يوسف (ع) ليس لهما الجرأة للوصول لمحضر يوسف ، يوسف لم يهم بالمعصية و لم يقم بالفعل ، و لم يفكر فيه بالرغم من أن زوجة العزيز همت به وعزمت وأغلقت الأبواب ، ولكن يوسف (ع) كان في محضر ربه ومحاط ببراهينه يراها أينما توجه والشيطان ليس له قدرة عليه .

أما مريم(ع) فالقرآن عندما يتحدث عنها يتحدث عن اصل تكوينها، فيتحدث عن آل عمران وكيف اصطفاهم الله على العالمين حتى يصل الحديث عن امها التي يُشم من كلامها الوحي ثم يقول﴿ وَتَقَبَلَهَا رَبُهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَنَاً ﴾[٥٦]أي تقبل الله ذاتها وليس اعمالها فقط وانبتها نباتاً حسناً ،وعندما وضعتها امها قالت ﴿ قَالَتْ رَبِ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَكَرُ كَالأُنثى ﴾[٥٧]إني وضعتها أنثى قالتها في مقام

---

[٥٤] ...

[٥٥] سورة يوسف- مكيه -آية ٢٤

[٥٦] سورة آل عمران - مدنية-آية٣٧

[٥٧] سورة آل عمران-مدنية- آية ٣٦

التحسر لأنها كانت تريد أن يخدم ولدها الله لذلك نذرته ولعلها كانت تعلم من عمران أو غيره أنه سيأتي عيسى(ع) من صلبها ولكن لا تعرف كيف ،ولكي يرفع الله هذا التحسر ﴿ واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾وهنا موضع استشهادنا ، كلام أم مريم كلام تحسر ولكن الله لم يجعلها في مقام التحسر فقال ﴿والله اعلم ﴾ البعض قال أن ﴿ليس الذكر كالأنثى ﴾ تشبيه معكوس ، ولكن الآية صريحة لا فصال بين الآيات فيها ، ومعناها ان هذه التى وضعتِ انثى ليس كمثلهاذكر قادر على أن يقوم بالمسؤلية المناطة بها .

في القرآن تفريق بين رسالات الانبياء كرسالة موسى (ع) وعيسى (ع) مثلاً ، موسى تربى في حضن الفرعون ليطلع على جبروته وظلمه لبني اسرائيل ، وهياء الله الأسباب ليربيه الفرعون في بيته ثم يكون عدوا له وحزناً عليه واعتقد فرعون أن موسى قرة عين له ولكنه اخطاء ، لأن موسى كان حربا عليه ، حركة موسى تستطلب هذا النوع من التربية لأن فرعون فصل بين الأقباط بني اسرائيل ، ولكن موسى كان يذهب لبني اسرائيل ليرضع فرأى الظلم الذي يعانون منه.

امّا عيسى (ع) فرسالته روحانية إلى جانب الرسالة الجهادية ، فاحتاج إلى أن يتربى فى احضان امرأةتضرب بينها وبين الناس ستراً وحجاباً فلا تختلط بما يشوب طباع الناس من فساد ، فتربى عيسى (ع) في احضان العفاف والإنقطاع .

والله اعلم بما وضعت والذكر الذي تريدينه لا يوجد إلا من هذه الأنثى ولا يتربى إلا في حضنها ، ونحن نريده ونريد أن يكون نقيا وينقي الناس ،

لذلك يجب أن تكون له حالة من العفاف بحيث تؤثر مناجاته في بني اسرائيل ، وهذا مثال لموضع الفرق والإختلاف بين رسالات الأنبياء .

المحاضرة الرابعة

قوى الإنسان

﴿ وما كُنْتَ لدَيهم إذ يُلقُونَ أقلامَهم أيُّهم يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيهم إذ يَخْتَصِمُونَ ﴾[٥٨] وصلنا في البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الكمالات التي ينسبها القرآن للإنسان غير مشروطةبذكورة او انوثة ،لذلك سيكون بحثنا على مستويين :

١- فاحيانا نتحدث عن ذات المرأة أي على تعبير الإلهيين الفقه الأكبر

٢-و أحيانا عن الوظائف والمسئوليات .

ذكرنا أن أي موجود إذا أردنا أن نعرف مرتبته الوجودية نبحث عن المقوم الذاتي للموجود ، والقرآن يعتبر العلم بآيات الله هو المقوم لإنسانية الإنسان وإلاّ فهو ليس بإنسان ، وان الكمالات تبداء إما بمعرفة المبداء (الله) أو الصراط أو المنتهى.

والآيات التي تتحدث عن معرفة المبداء لا تشترط الذكورة أو الأنوثة لإن المبداء هو الله ومعرفة الشيء تقتضي مناسبة وتسانخ بين العارف ومعلومه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[٥٩]و إذا قلنا أن الإنسان يعرف الله لا نقصد جسمه أو بدنه لأن البدن محض وسيلة وآلة غير منظور إليها لأنه ليس من الحقيقة و لا من لوازمها ،حقيقة الإنسان الذي يخلقه الله ويتوفاه هي روحة

---

[٥٨]سورة آل عمران – مدنية –آية ٤٤

[٥٩]سورة ص–مكية–آية ٧٢

التي يستوفيها عند الموت ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[٦٠] أي الملائكة لا تفرط بشيء عند قبض الروح .

ذكرنا سابقا أن القرآن يتحدث بصيغة جمع المذكر السالم مراعاة للعرف عند العرب ، لأن القرآن يحدث الناس بلسانهم بل أن بعض الحقائق العرفانية يتحدث عنها كما يفهمها عامة الناس ﴿ إِنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٦١] الناس تعودوا أن يشيروا للقلب بالصدر مع أن المقصود غير ذلك .

كما تحدثنا عن المرأة بشكل خاص لأن غرض القرآن تأكيد مقام المرأة في الإسلام واستدللنا على ذلك بقصة يوسف (ع)ومريم (ع) عندما صاغ القرآن النتيجة التي وصلت لها مريم (ع) على شكل قصة ، وعلماء البيان يرون انك إذا أردت أن تصوغ معلومة على شكل قصة فأنت تخرجها من حد الإمكان إلى حد القوة والفعل .

وهذه المطالب التي تحدث عنها القرآن حدثت فعلا في قصة مريم واعتبر القرآن هذه القصص أمثال لتعليم الناس وضرب المثل لتأكيد المثل وإبقاءه على امتداد الإنسانية كحقيقة باقية يمكن أن تعاد مرة ثانية ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾[٦٢] وهذه دعوة من القرآن لنكون كمريم التي أحصنت فرجها ، ولو دققنا في قصص القرآن لرأيناها ملىء بالعلوم لإلهية مثل التقديم والتأخير في سرد قصة موسى (ع).

---

[٦٠] سورة الانعام –مكية– آية ٦١

[٦١] سورة الحج –مدنية–آية ٤٦

[٦٢] سورة التحريم –مدنية ١١

والقرآن يجعل مدار التاريخ مدارا معنويا ويجعل الأنبياء هم مدار التاريخ ، ففي قصة موسى (ع) مع قومه بعد أن خرجوا من مصر إلى فلسطين طلبوا منه أن يحضر لهم الثوم والبصل والعدس بعدما ملوا من المن والسلوى ، قال لهم﴿ اهبِطُوا مُصْرًا ﴾[٦٣] موسى كان يدعوا قومه إلى مطالب إنسانية راقية ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٦٤] ولكنهم طلبوا منه مطالب دنيوية ، فقال اهبطوا مصر اهبطوا من مقامكم ، لأن لا فرق على المستوى الجغرافي بين ارتفاع أرض مصر عن أرض فلسطين .

هناك أمر مهم وهو مدار بحثنا اليوم وهو أن الإنسان بقواه الثلاث :

١- الجاذبة والمحبة والميولات

٢- القوى الدافعة

٣- القوى الفكرية التي يشارك فيها الملائكة والتي فيها كمال الإنسان

هذه القوى هي مدار كل الأبحاث الأخلاقية ، وفي مدارها يطرح القرآن المرأة كموجود اكتملت فيه القوى الثلاث كما اكتملت في الرجل .

١- التولي والتبري :

أ- القوى الجاذبة :

علماء الأخلاق يطرحون عنواني الشهوة والغضب للتعبير عن قوى الجذب والدفع، فالشهوة تنتج نتيجة للقوى الجاذبه عندما تتعلق بالمادة ، ومعنى الشهوة أعم مما يتبادر إلى الذهن ، كل تعلق بالطبيعة شهوة ، ولكنها إذا

---

[٦٣] سورة البقرة -مدنية-آية ٦١

[٦٤] سورة الاعراف - مكية- آية١٢٨

تعدت إلى ما وراء الطبيعة سميت محبة ، و إذا لَطُفت وسمت وتعـدت للدين صارت تولي ، و إذا تربت هذه القوى تحت إطار الفكر والعقل والتصقت بالدين وعشقت كل الدين سميت ولاية ، ما الذي يليك ؟ أي ما الصق الأشياء بك ؟

إذا قيل فلان الصق شيء فيه دينه عندها يكون متولياً ومتبرياً ، التولي والتبري قوتان تنتظمان تحت العقل .

القرآن سمى مريم بالصديقة ، والصديق يُحشر مع الأنبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ،ولكن للأسف نحن نصرف القوة الجاذبه في تعلقات مضرة بإنسانيتنا عندما لا نتربى بشكل إلهي نخسر هذه القوى التي تفتح امامنا ابواب كثيرة.

ب - القوى الدافعة :

من بغض وكره وحنق : كيف يؤدب القرآن هذه القوى في الإنسان ؟

حتى نوضح آثار هذه القوى نضرب لذلك مثلاً بشخصين حدث بينهما خلاف أو وجه أحدهما إهانة للاخر ، إن المُهان سيشعر بالغضب الشديد في هذه الحالة ، فإذا كانت الحالة في حدود ما هو مرتبط به كانت غضبا ، ولكن الغاضب قد يتجاوز في غضبه في أكثر الأحيان هذه الحدود فيسخط على هذا الشخص وأهله وقراباته فيخطيء عليهم ويتجاوز في كلامه،الغضب والسخط إن كان على من سخط الله عليه وكان تأثرنا على ديننا ومبادئناعندها تقترب من الدين وتكون تبري .

كيف يحل القرآن عداوته مع المؤمنين وغير المؤمنين ؟

يربي القرآن الإنسان ويعلمه كيف يحل مشاكله فيقول إذا اختلفت مع مؤمن فادفع نفس الاختلاف والعداوة ، ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، لا تصرف قواك الغضبية التي ربيتها بالحكمة في العداوة مع المؤمنين ، الحكمة

حسن التصرف ، ادفع العداوة لا العدو ، ادفع السيئة لا المسيء ، لا تفكر أن تدافع عن نفسك لأن الله يدافع عنك ، وأنظر هـذا الخلاف إلى أي درجة يمس دينك .

هذا الاختلاف قد يضطرك أن تغضب وتغتاب من حولك وهذا ليس دفعا للعداوة بل أنت تزداد حنقا عليه ، وهذا أقل الامراض التى يمكن أن تصيبك ، قواك الغضبية لم تتربى لأن داخلك شحنة وطاقة تريد الأنفجار ، وهذه الطاقة إذا رُبيت تحت علم الله تجعلك تستطيع أن تغضب نفس هذا الغضب لدين الله ومن اعداءه .

عملية الدفع ليست سهلة ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٦٥] الذي يستطيع أن يملك قواه فلا يخرج عن حد الشرع شخص قليل الوجود ،وهذه مشكلة من اشكل المشاكل التي تفسد صلاح الإنسان بالعداوات المضرة التي يدخلها على نفسه ، احرق السيئة ولا تحرق أخاك المؤمن .

امّا إذا اختلفت مع اعداء الله ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[٦٦] أي احرقهم وادفعهم واطردهم ﴿ جاهد الكفار والمنافقين ﴾ في الواقع نحن نجامل الاجانب كثيرا ونحترمهم فى داخلنا [**إذا احْتَرَمَ رجلٌ رجلاً لغناه اذْهَبَ الله ثُلثي دينه**] في مفروض الرواية أن يقول كل دينه ، ولكن الدين تلفظ بالسان وعمل بالجوارح والقلب ،إذا احترم الغني بالجوارح ذهب ثلثي دينه ، اما إذا احترمه علماً وعملاً وقلباً ذهب دينه كله

---

[٦٥] سورة فصلت –مكية–آية ٣٥

[٦٦] سورة التوبة– مدنية –آية٧٣

، الذي احترم غير المتدين لغناه او قوته او غير ذلـك تفسـد جوارحـه [**مـن نظرَ إلى غني نظرةً يحترمه بها لا يزال عند ا لله ساخطاً عليه**]

لكي نربي تعلقاتنا نحترم من ؟ ونطرد من ؟

اقل ما عمله الاستعمار فينا انه جعلنا نحترمه ونحترم بضاعته ، وكل هذا جاء من ضعف القوة الغضبيـة لله، كـل هـذا مبـداءه عداوتنـا لأنفسـنا ، بعضنـا يستطيع أن يعادي ويعبر عن عداوته بالفاظ بلاغية ولكن بالرغم من عداوتنا للغـــرب فلا نستطيع أن نعبر عن عداوتنا لهم كما نعبر عن عداوتنا لبعضنا.

هذه الطاقة إذا نُظمت تحت تربية ا لله وعرفنا كيـف ندفـع السيئة مـن جـو المؤمنين والمتدينين سوف تتحد الجاذبة والدآفعة مكونة شوقا لله.

دين ا لله إذا شرب اولياء ا لله منه طربوا فبعض المطالب العقائديه إذا سمعهـا الإنسان شعر بلذة تبقى لفترة تطول أو تقصر لأن هـذه المطـالب اوسـع مـن معرفته وأعمق ، لذلك إذا أدركها انتشرت في كل قواه .

أي شـيء هو الإنسان ؟

الإنسان فكر و إذا امتلىء فكره وقلبـه بتوحيـد ا لله انتشـرت هـذه المحبـة في قواه، وذاب في محبة ا لله وهذا الذوبـان ينتهـي بـه إلىاشـتداد هـذه القـوىو صرفها في مكانها الصحيح ،هذه البذور رأس مال- العلم والعاطفه والمحبـة والبغض -إذا نميتها نمت وإذا جمدتها جمدت .

المحبة رأس مال ، والبغض رأس مـال : كيـف ينظـم الإنسـان محبتـه وبغضـه وكراهيته بحيث لا يضل ولا يضيع ؟

وتطبيقا لما سبق مـن حديثنـا عـن الجاذبـه عندمـا تـرق و تتحـول إلى ولايـة ،نذكر لهـا مثالاقصـة مريـم (ع) ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

عُمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٦٧] ليس معنى ذرية بعضها من بعض أن هذا أبن ذاك ، انما يريد ان يقول أن هناك اصل إنساني والذي لا يتعلق به فهو خارج عن هذه الأبوة والبنوة عن رسول ا لله (ص) ﴿ **انا وأنت يا علي ابوا هذه الأمة** ﴾

ورد أن رجلا سئل أحد الأئمة (ع) : **احقا قلتم سلمان الفارسي منكم آل البيت ؟**فقال (ع): **نعم ؟**

فقال الرجل : **وكيف ذلك وهو ليس من بني هاشم ؟** فقال (ع) : **أنت ايضا منا آل البيت.**

لو قلت أنا من علي وعلي مني يعني أن مردنا واحد وهو توحيد ا لله عز وجل ، أي كل ما في الأول هو في الثاني، وكل ما في الثاني هو في الأول ، القرآن ينعطف بعضه على بعض ، وكذلك هؤلاء مثاني ينعطفون على بعض .

ثم يتحدث القرآن عن أم مريم والتي لا يستبعد أنها تتلقى الوحي من ا لله وهي امرأة كانت في أشد الحاجة إلى أبن يخدمها بعد موت زوجها ومع ذلك نذرته لله وكأنها كانت تعلم أنها سترزق بأبن ونلاحظ في كلامها شمة من الوحي لأن في كلامها قطع ، ولكن هذا الذكر لم يكن منها بل من مريم (ع) فلقد وضعت أنثى ﴿ ليس الذكر كالأنثى ﴾ انثى كمريم تربي عيسى (ع) ﴿ والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ﴾ مريم سيخرج منها شخص لديه من الكمالات مالا يستطيع أحد أن يعطيه إياها إلا مريم ، ووهبت أم مريم مريما إلى زكريا(ع).

---

[٦٧] سورة آل عمران –مدنية –اية ٣٣

اثر الدعاء والتربية على النفس :

هناك مسألة نحن غافلون عنها وهي أثر الدعاء والتربية على نفس الطفل ، وأثر العبادة على نفس البنت وهذا ما سنتحدث فيه عند الحديث في البحث الفقهي وهو عن سبب تكليف البنت قبل الولد ، نحن لا نحسن تربية البنت فقهيا في مجتمعنا ، البنت في سن التاسعة عندها نوع من الإدراك لذلك يجب أن تكون حافظة للرسالة العملية وفي مجال البحث عن الأعلمية ، ولكن البنت في مجتمعنا تلعب طوال الوقت ولا تهتم بهذه الامور .

عندما يتحدث القرآن عن المقامات يجعل هناك كفيل ومكفل ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أختلف القومَ على كفالة مريم ولكن الله اختار لها زكريا لأنها يجب أن تتربى تحت كفالة نبي ﴿مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾[٦٨]

قاعدة هامة في القرآن :

كل ﴿ ما كنت ﴾ في القرآن تشير إلى أن هناك حقائق لا يستطيع التاريخ أن يحفظها أو ينقلها على حقيقتها ، وأكمل من ينقل هذه الحقائق هو الله ، ﴿ ما كنت ﴾ النبي لم يكن حاضرا ولكن الله علمه علماً وقص عليه قصصاً واقعية لولا الوحي لم نعرف حقيقتها ، ما : النافية هنا تفيد التأبيد .

---

[٦٨] سورة آل عمران – مدنية –آية ٤٤

وقعت القرعة على زكريا (ع) وكفلها ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[٦٩] صلاح مريم (ع)ليس في عبادتها فقط بدليل قولهم ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾[٧٠] مريم ليست أختا لهارون لأنها وحيدة أمها ، ولكن هارون (ع) كان معروفاً بين بني اسرائيل بالعفاف والحكمة والصلاح لوصية موسى (ع) أن لا يتبع المفسدين فكان معروفا أنه تربى بتعاليم موسى (ع) وإذا كان هناك مجال ان تنسب مريم إلى احد فهي تنسب لهارون لأنه ليست له أخت تماثله إلا مريم وليس ذلك لإنقطاعها لله بل لأن الإنقطاع لله يؤدي إلى الحكمة وأعتدال القوى الجاذبة.

حديثنا عن عفة مريم (ع) التي إن لم تكن أكثر عفة من يوسف (ع) فالعفة عندها أوضح ، لأن يوسف لم يَهِم و لم يُفكر بالمعصية ، ولكن مريم لم تكتفي بعدم الهم بل كانت في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[٧١] هذا الموقف له مماثل في القرآن يجعلنا نفهم قولها ومثاله : ﴿ أَنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧٢] هنا الله يخاطب المؤمنين الأتقياء بموعظة منه أن يعودوا لمثله إن كانوا مؤمنين،وموقع هذه الموعظة هي نفس كلام مريم (ع)فهي رأت في الشخص الماثل امامها ملامح التقوى وهذا التوسم عندما تراه في شخص لايكون إلا من شخص خبير بالارواح والأنفس [أي إنك تقي واعيذك من هذا العمل] كانت

---

[٦٩] سورة آل عمران – مدنية –آية٣٧

[٧٠] سورة مريم – مكية –آية ٢٨

[٧١] سورة مريم – مكية– آية ١٨

[٧٢] سورة

مريم تفكر في هذا الإنسان الواقف امامها وتخشى عليه من المعصية ، فوجهت إليه نصيحة مباشرة .

الشيء الثاني : أن مريم كلمتها الملائكة أكثر من مرة ﴿ وإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[٧٣] هناك نوعين من الوحي انبائي وتشريعي ، التشريعي لهداية الناس وإرشادهم والإنبائي للشخص نفسه.

أن تصل المرأة إلى مرحلة تلقي الوحي الإنبائي وتصل إلى مقام النبوة فهذه منزلة عالية ، الملائكة لم تكن تُلقي في روع مريم بل كانت تحادثها محادثة شهود وعيان ، النبوة التي لا تصل إليها المرأة هي النبوة التشريعية وهذه النبوة وظيفةو اجراء،المقام مقام النبوة الإنبائية، الامام الخميني يركز في زيارة الزهراء (ع) على مقطع [يامحدثة] أي هناك من يحدثها وتحدثه وتعرف أنه من قبل الله ، وهذا مقام إنساني يدعو إليه القرآن ويمكن الوصول إليه . -

يروي الشيخ جوادي قصه عن قريبة للسيد كمال الحيدري وهي إحدى محارمه في اوائل شهر رمضان حدثت لها حالة جعلتها ترى الكون كله يسبح وتسمع تسبيحه ، الأرض والحجر والكائنات ، وفي ليلة القدر كانت تصلي وشاهدت كل الموجودات ساجدة لله إلا الناس ، المخلوقات كلها تبكي من خشية الله إلا الناس كانت في حالة تكبر عن الله ثم اصبحت تستطيع أن تعرف حقائق الناس وترى أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار.

---

[٧٣] سورة آل عمران - مدنية -آية ٤٢

هذه القصة وامثالها تخبرنا بأمكانية الوصول إلى هذه المراتب العالية إذا دفعنا السيئة بالتي هي أحسن، والكلام عن مريم وما وصلت إليه ليس من محض الخيال بل هو حقيقة واقعية .

المحاضرة الخامسة

المرأة و الاصطفاء

﴿يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ كان الحديث عن قصة مريم في القرآن ، القرآن يتكلم أحيانا عن المرأة في مقابل الرجل مطلقاً ،و أحيانا يتكلم عن المرأة في مقام الوظائف والمسؤليات في مقابل الرجل ، ولكن ليس من حيث الذات و الكمال الذي هو مدار الأخلاق والعرفان والفلسفة .

لذا البحث ينقسم إلى هاتين الحيثيتين :

١-المرأة في مقابل الرجل عامة والمرأة في مقابل المسؤليات الملقاة على الرجل

٢- المرأة في القرآن والمرأة في العرفان وهي مرحلة لا تتعلق بالمطالب الإجرائية إلا في مدار البحث .

القرآن عندما يتحدث عن اصطفاء مريم يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ ﴾ هنا في الآية اصطفائين ، والاصطفاء : هو أخذ الصفوة من الشيء وهو مقابل لرفض التلوث والكدر .

كل الناس من حيث قربهم وبعدهم من الله إما اخلصوا إلى الله فستخلصهم لنفسه ودينه واجتباهم واختارهم فهم صفوة طاهرة ، وإما مكدرين متلوثين بغير الله ، كلما كان الإنسان لا يأخذ إلا من معتقداته

ودينه ومعارفه فهو صاف ومصطفى ، والاصطفاء يدور مدار الدين لان الله اصطفى الدين الإسلامي ﴿ أنَّ اللهَ اصْطَفَى لكُم الدِّيْنَ فَلاَ تَمُوتَنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾[٧٤] فالإنسان بمقدار قربه من الإسلام يكون صفوا وصفاء في ذاته ، وبمقدار بعده عن الدين يكون كدراً ومتكدراً لبعده عن الله، كلما عرفنا من الدين أكثر ومن العقائد أكثر وكانت عقائدنا منعقدة في نفوسنا أكثر كلما كنا صافين اكثر ، وهذا هو الشرب من منبع الدين من الشريعة .

سميت الشريعة شريعة ، لأن الشريعة مورد الناهلة والشاربة والعرب لا تشرب إلا من موضع معين من النهر لأنه أصفى من بقية الموارد ويسمون هذا الموضع الشريعة ، فإذا أخذ الإنسان ونهل من الشرع فهو يأخذ من أطهر وأفضل مورد ﴿ إن اللهَ يَصْطَفِي من المَلائِكَةِ رُسُلاً ومن الناس إنَّ اللهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ ﴾[٧٥] .

الاصطفاء نوعين :

١ –اصطفاء نفسي :

وهو أن يختار الله إنساناً ما لخاصية في نفس هذا الإنسان ولكن هذا الاختيار ليس اختياراً له على كل الناس يقول القرآن عن إبراهيم (ع) ﴿ ولَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾[٧٦].

٢– اصطفاء نسبي :

وهو أن يختار الله شخصا ما من بين كل الناس كاختيار الله لموسى (ع)، والله سبحانه وتعالى اصطفى مريم (ع) هذين الإصطفائين :

---

[٧٤] سورة البقرة –مدنية– آية ١٣٢

[٧٥] سورة الحج – مدنية –آية ٧٥

[٧٦] سورة البقرة –مدنية –آية ١٣٠

١- تقبلها بقبول حسن وانبتها نباتاً طيباً.

٢- اصطفاها لخاصية فيها لا توجد في أحد من العالمين ، وهذه الخاصية أن مريم لم تكن علة إيجاد عيسى (ع) فقط بل كانت علة إيجاد يحي (ع) عندما يقول سبحانه ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾يقصد هذه الخاصية ويفصّل القرآن هذه المسألة ، نبي الله زكريا كبر و لم يرزقه الله ذرية ، و لم يرد في القرآن أن زكريا طلب من الله أن يرزقه ولداً من قبل حتى كبر ووهن العظم منه وكانت زوجته عاقرا ، وهن العظم يدل على كبر الإنسان كله ،وأنه لا يوجد سبب طبيعي يجعل الله يرزقه ذرية .

كفّل الله مريم لزكريا و لم يكن هذا صدفة غرق كل الأقلام في الماء إلا قلم زكريا ، رباها وهي طفلة وأسكنها غرفة عالية لا يصعد إليها غيره ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيا الِمحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يا مَرْيَمُ أَنى لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ من يَشَاءُ بغيرِ حِسَابٍ ﴾ أول مرة لم يسألها زكريا عن مصدر الرزق ،ولكن لما تكرر ذلك سألها﴿ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ فأجابت ﴿ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مِنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ معناها أن هناك أسباب طبيعية للرزق وأسباب فوق الطبيعية يرزق بها الله من يشاء من عباده ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيا رَبَّهُ قَالَ رَبِ هَبْ لِي من لَدُنْكَ ذُرِيَةً طَيِبَةً إِنّكَ سَمِيْعُ الدُعَاء ﴾[٧٧] ﴿ **هنالك** ﴾ الذي أثار في زكريا محبة الابن وطلب الابن هو رؤيته لمريم في عبادتها ومحبته لها ، وعندما رأى زكريا أيادي الله الخفية توجه بالدعاء وهو نفسه

---

[٧٧]سورة آل عمران –مدنية –آية ٣٨

عندما استجاب الله له تعجب ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[٧٨] .

هناك مسألة يركز عليها القرآن وهي أن هناك أوقات معينة للدعاء ومنها أن يرى الإنسان المؤمن أيدي الله الخفية التي تعمل المعاجز وتتفوق على الأسباب الطبيعية ﴿ ولَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًا ﴾[٧٩] الذي يتعلق بالأسباب الطبيعية ولا يتوقع غيرها هذا شقي ، نحن نقيس تحركاتنا بمقياس مادي ونرجع كل أمورنا لأمور الطبيعة وأسبابها لذلك نحن أشقياء بدعاء الله ﴿ واللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بغيرِ حِسَابٍ ﴾ تؤكد أن الأسباب بيد الله يقلبها كيف يشاء .

في قصة نوح (ع) ﴿ فإِذَاجَاءَ أَمْرُنَا و فَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكَ فيها مِنْ كُلِ زَوْجٍ اثْنَيْنِ ﴾[٨٠] التنور مكان النار لا يفور بالماء ولكن الله يريد أن يقول أن أسباب كل شيء بيده وكل شيء خاضع لقدرته.

وفي قضية يهود خيبر الذين تحضنوا عن رسول الله بحصونهم القوية يقول سبحانه انه كما يرزق من يشاء دون حساب كذلك يهلك من يشاء من الجهة التي اعتقد هو (الإنسان) أنها حاجب بينه وبين الله ، فعندما فتح الأمير باب خيبر وهجم رسول الله وجنوده عليهم كانت حصونهم التي بنوها لتحميهم من رسول الله سبب هلاكهم لأنهم لم يجدوا لهم مخرجا يخرجون منه فوقعوا تحت أسنة السيوف ﴿ فأَتاهُم اللهُ مِنْ حَيثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

---

[٧٨] سورة آل عمران- مدنية- آية ٤٠

[٧٩] سورة مريم -مكية -آية ٤

[٨٠] سورة المؤمنون- مكية- آية ٢٧

﴾[81] كما أن الله يحفظ دينه ببيت العنكبوت ، هذا التصرف بالأسباب لا يعلمه إلا الله سبحانه .

كانت مسئولية أم مريم هي تحرير مريم وإعاذتها من الشيطان الرجيم ونذرتها وأوقفتها لله ،بعد ذلك جاءت مسئولية مريم (ع) وتقبل الله أعمالها ، عندما رأى زكريا أيادي الله الغيبية كيف تعمل مع مريم دعا ربه ،قصة عيسى ومريم خلاف الأسباب الطبيعية وذلك لنعرف أن ذكر الله اكبر وأن الله غالب على أمره ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ذكرك لله يجعل ذكر الله لك أكبر من ذكرك ، لذلك الصلاة لها مردود تكويني على النفس.

- طلب زكريا من الله ابناً وهو في صلاته وجاءته الإجابة فورية من الملائكة وهو في محرابه ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسمه يحيى لم نَجْعَلَ له من قَبْلُ سَمِيًا ﴾[82] أم مريم هي التي أسمتها أما يحيى فقد سماه الله و لم يجعل له من قبل سميا، بعض الأسماء تسمى قربة لله مثل فاطمة ، خديجة ، علي ، محمد ، وبعض الناس لخاصية فيهم يختار الله أسمائهم ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ليس معناها أن أحدا لم يُسمى يحيى قبله ولكن لم نجعل له مسمى مثله ، أي لم نجعل له مثيلاً.

كان يحيى سيداً في قومه وأول من أمن بعيسى (ع) ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ أي بينها ارتباط معنوي ، يحيى كان أشبه الناس بعيسى (ع) .

---

[81] سورة الحشر-مدنية- آية ٢

[82] سورة آل عمران - مدنية -آية ٣٩

اصل الكلام في القرآن انه إذا أراد أن يقيس أناس في عرض بعض أن يقول ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٨٣]أي أن هناك رابط واقعي بينهم إذا لم يكن بينهم رابط نسبي أي قلوبهم تشابهت و إذا تشابهوا قلبيا فهم من بعض[**من احب عمل قوم حشر معهم**] القلوب إذا كانت صافية كان كل منها من الآخر وإذا كانت متباعدة ليس بينها وبين أهل البيت (ع) شبه بل فاصل ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾[٨٤]لأن قلوبهم متشابهة .

يحيى (ع) كان استجابة لدعاء زكريا (ع) الذي لم يكن بدعاء ربه شقيا ، وكان هذا الدعاء علة لوجود يحيى (ع) ،يحيى وعيسى (ع) متشابهان من حيث رسالتهما ودعوتهما ، كان يحيى (ع) رقيق القلب كثير البكاء ، بكى من خشية الله حتى تناثر لحم خديه ،وكان زكريا يخاف أن يذكر إسماً من أسماء الله أمام يحيى لشدة تعلقه وعشقه لله عز وجل، لذلك التشابه الأكيد بين يحي وعيسى دليل على أن عبادة مريم وذكرها علة لإيجادهما .

نحن لا نعلم ما للذكر من أثر في أنفسنا إلا إذا تركنا العبادة يومين مثلاً ، عندها يشعر الإنسان المؤمن أنه ميت فكيف بمن كان هو نفسه كلمة الله !!

ذكر الله موصل بنفسه إلى المراد يكفي أن يقول الإنسان يا الله ،يا الله دون أي اسم أخر وذكر أخر وهذا بنفسه كمال للإنسان ، ولكن مع الأسف الشديد نحن غا فلون عن هذا الطريق ونقرأ القرآن قرأة لا نعرف منها كيف أن الأسباب خاضعة أمام هذا الطريق ،وضرب الله مريم وابنها

---

[٨٣] سورة البقرة-مدنية-آية١١٨

[٨٤] سورة التوبة - مدنية-آية٦٧

مثلاً للذين أمنوا و وجود عيسى كان معجزة ودليل على عبادة مريم وما وصلت إليه.

كان هذا في مقام الذكر، أمّا مقام العفة فأن عفة مريم انتقلت ليحي ﴿ سَيِّداً وَحَصُوراً ﴾[٨٥] الحصور : يعني العفيف والعفة ليست في الحجاب فقط بل هي بتعلق الإنسان بالكمالات وعدم الاهتمام بصغار الأمور والعف عن المحارم والشهوات، والعفيف حتما يكون سيدا وحصورا .

والحصور من حصر هواه وشهواته، والسيد من نظر إلى أرقى المراتب وأعلاها السيادة المقامية ، والسيادة المقامية غير السيادة النسبية ، السيادة المقامية اكتسابية بحسن الأخلاق والاهتمام بالآخرين بالعزم ، بالإرادة ، بالجود وهذه كلها لا تأتي من جهة السيادة النسبية ، فإذا كان سيداً في أخلاقه فهو جواد والجود:[**خذوا من أجسادكم وجودوا بها على أرواحكم**] ،النوم الطويل يفقر الروح والجواد ليس من بذل ماله بل هو الذي روحه تُتعب جسده لكثرة مطالبها فجسده في تعب وقلبه في راحة ، ومريم تربي سيدا يتعلق بالهموم الكبار وهذه التربية التي تحت ظل العبادة والمحراب [**المحراب مكان محاربة الشيطان**] عندما تربي مريم هذا الإنسان ستعف نفسه عن كل مسألة يعف عنها إيمانه ونفسه ، وهذه كانت شخصية يحيى (ع) أيضا التي علتها مريم.

هذا كان في مقام الطاعة والتولي ،و الأسماء الجمالية تقع تحت عنوان التولي التبري:

فيه الغيرة والغضب لله والحركة السياسية في كل أفعال الإنسان كل هذه لا تنفك عن لعن أعداء الله مثله مثل الدعاء يقضي حاجات الإنسان ،

---

[٨٥] سورة آل عمران - مدنية - آية ٣٩

والجهاد نباهة فالإنسان أما نبيه ومنتبه حياته جدية وهو جندي من جنود الله وإما لم يستطع التبري من أعداء الله.

و في مقام التبري : يتحدث القرآن عن أم موسى وتربية موسى (ع) الذي كان من المفروض أن يعرف أسرار فرعون وخصائصه ليحاربه ، ولد موسى (ع) في أجواء من الضغط والتكتم بل أن فرعون كان يقتل الأطفال ويبقر بطون الحوامل ويحاسب الأم المرضعة ، والناظر إلى الأهرامات يعرف مدى جبروت فرعون وتسخيره للناس ، ولكي يقوي الله قلب أمه كانت كل كلماته لها فيها قوة ﴿ القيه ، اقذفيه ﴾.

ثلاث نساء حفظن موسى من الموت : أمه وأخته وآسيا زوجة فرعون .

١- نتحدث عن أخت موسى التي تبعته في رحلته في اليم تقص أثره على ما في ذلك من خطورة على حياتها ، حتى رأتهم متحيرون بأمر موسى وهو يرفض أن يرضع من المراضع ، هنا تدخلت أخته ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[٨٦] وهم له أي لموسى (ع) ناصحون وليس للفرعون لان النصيحة للظالم حرام وخدمته حرام ﴿ وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾[٨٧] ولكن موسى لم يكن قرة عين لفرعون ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾[٨٨].

---

[٨٦] سورة القصص--مكية-آية ١٢

[٨٧] سورة القصص-مكية- آية ٩

[٨٨] سورة القصص-آية ٨

الكلام عن موسى كله قذف وإعدام وثورة ، الكلام لأم موسى (ع) ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾[89] ارضعيه ثم اقذفيه قذفا في اليم يأخذه عدو لي وعدو له .

الانتصار عصارة التعب والجهد والضغط على المشاعر ، عند ذلك قالت لأخته قصيه ،و حرّم الله على موسى المراضع وهي حرمة تكوينية وليست تشريعية لكي يرجعه لامه كما وعدها ولكي تعلم أن وعد الله حق حتى لو كانت الظروف لا تسمح فإن الله غالب أمره .

وألقى الله على موسى محبة منه حتى أن الفرعون احبه ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[90] أي ليصنع على عين الله ، ودلتهم أخته على بيت يكفله وكانت اختهة في كلامها معهم في مقام تورية و لم تكذب ، هامان وفرعون كانا خاطئين في تقديرهما لأن أول من انقلب على فرعون موسى (ع) .

قصص الأنبياء ليست كرا مات للأنبياء بل هي للناس لأنها تطلعهم على أيادي الله وتثبت توجيه الله في قلوبهم بأنه حتى إذا تأخرت استجابة الله للدعاء فإنه لا يخلف وعده وذلك من فضله على الناس .

٢- ضرب الله مثلاً بامرأة فرعون التي كانت علاوة على شدة تبرئها من فرعون امرأة ناضجة الفكر قالت ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾[91] لم تطلب جنة عرضها السموات والأرض إنما أرادت

---

[89] سورة القصص- مكية- آية ٧

[90] سورة طه- مكية- آية ٣٩

[91] سورة التحريم- مدنية - آية ١١

القرب من الله ﴿ عندك ﴾ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٦٢] هناك جنة تجري من تحتها الأنهار ولمن خاف مقام ربه جنتان أدون من هاتين الجنتين ، وكانت آسيا ترغب في أعلى من ذلك ﴿ **ونجني من فرعون وعمله** ﴾من الطبيعي أنها إذا نجت من فرعون ستنجو من عمله لكنها أرادت أن تقول أنها تكره كل ظلم ليس ظلم الحكومات والسياسيين بل كل أنواع الظلم ، أحيانا يظلم الإنسان شخصاً واحداً و أحيانا يكون الظلم اعم ،القرآن يأمرنا بالعدل ﴿ **اعدلوا** ﴾ نحن نأخذ على الحكام قلة عدلهم الإمام يقول [**اعدلوا فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون**] أي اعدلوا في شؤونكم ، يقول علماء الأخلاق كلنا فراعنة ولكن لا نقول أنا ربكم الأعلى ، الإمام الشهيد يقول : **من قال إننا لو أخذنا ملك هارون الرشيد لم نظلم موسى بن جعفر**)من يوهن المسلمين في مسألة صغيرة مستعد أن يظلمهم من اجل الملك ، الظلم يكون حتى بالغيبة والطمع .

ضرب الله آسيا مثلا للتولي والتبري لكل المؤمنين والمؤمنات ليثبت أن التولي والتبري جناحان يمكن أن تكتمل بهما المرأة.

والمثال الثاني الزهراء (ع) نحن نعرف الزهراء كابنة للرسول (ص) وسيدة لنساء العالمين ولكن لا نعرفها في مقام التوحيد والفلسفة والعرفان ، معرفتنا للزهراء في حد ضيق ، من يعرف مقام الزهراء ويعرف أن علة وجود الزهراء وجود رسول الله وأمير المؤمنين، في حديث الكساء عندما سئل جبرائيل الله عمن تحت الكساء فقال **سبحانه [هم فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها]** مدار الكلام هي الزهراء (ع) والشيخ جوادي يستفيد من حديث

---

[٦٢]سورة القمر – مكية –آية ٥٥

الصادق (ع) [لولا علي لم يكن للزهراء كفء] أن الرواية في مورد مـدح الزهراء .

مع الأسف أنه لم يصلنا من أحاديث الزهراء إلا القليل النادر وأكثرها شهرة هو المقطع من خطبتها الذي قالتـه في مسجد الرسـول (ص) بعـد وفاتـه ، هذا المقطع يحتاج إلى ثلاث سنوات من الدراسة لبيان ما فيـه مـن دروس في التوحيد والأخلاق والإرث والخلافة والولاية وغيرها ، ونحن لسـنا في مقـام التشريح للخطبة التي بدأتها (ع) بالحمد وتوحيد الله،كل مقطع من خطبتها يحتاج لبحث عقائدي فقولها(ع)[**ابتدع الأشياء لا من شيء كـان قبلهـا أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ،كونها بقدرته وذرأها بمشيئته من غير حاجة إلى تكوينها ولا فائدة في تصويرها إلا تثبيتا لحكمته وتنبيها على طاعته وإظهارا لقدرتـه**] العـدم لا يخلق منه شيء لأنه محال الكينونة فقولها (ع) لا من شيء كـان قبلهـا ليس من لا شيء لأن هذا ليس حلا للمعضلة الفلسفية كيف أوجد الله الأشياء ؟ [**كونها بقدرته**]صور الله الأشياء وصورة الشيء هـي غـير مادتـه فالمـادة قـد تتشابه ولكن الصور لا تتشابه ، والصورة هي الذات والله يحشر الناس على صورهم لا موادهم (الصورة هي الوجود الواقعي المقوم لذات كل شـيء) ليس هناك شيء قلبّه الله وكون منه الأشياء ، الأشياء إذا تشابهت من كـل الجهات كانت هي نفسها ، هناك ثمان شـروط للوحـدة (يبحـث عنهـا في علم المنطق) إذا اختل أحدها يكونان شيئين مختلفين والصـورة هـي مطابقـة كل شيء بحيثياته ، أشياء الكون وإن كانت لهـا مـادة إلا أن الله صورهـا و ابتكرها و برأها من غير احتذاء امتثلها بقدرته وصورها .

معرفتنا للزهراء في حدود الإيثار والصوم والزهد والعبادة ،الإمام البـاقر (ع) يقول أنهم يحفّظون خطبتها (ع) لبنـاتهم ويطلـب منـا أن نحفظهـا لبناتنـا ،

والغريب أن خطبة الزهراء سلسلة رواتها من النساء ، وفي خطبة الزهراء دروس علمية لا يحفظها إلا من عرف وفهم مضامينها .

الزهراء (ع) مصطفاة كمريم (ع) ولكن مريم تتميز بميزة أنها وابنها آية للعالمين ولكن الزهراء اصطفيت على نساء عصرها السابقين و اللاحقين ، الغريب أن أكثر مفسرين السنة حاولوا إخفاء فضل الزهراء (ع) وتأويل الآيات التي تبين فضلها وصرفها إلى غير وجهها ، هناك رواية تؤكد أن النبي (ص) كان يدخل على الزهراء فيجد عندها رزقا يقول الصادق (ع) أن آل البيت أكلوا منه شهرا وإن بقيته عند الإمام المهدي يأكل منه حتى الآن ، فسئل أحد الأشخاص الإمام (ع) **كيف يأكل النبي ويتمتع بالطعام والناس من حوله لفقراء جياع فقال (ع) الطعام كان معنويا وليس ماديا .**

كان النبي يستأذن قبل أن يدخل منزل الزهراء فلما سألته عن ذلك قال إن الله أمره بذلك، فالزهراء لا يُدخل عليها بلا استئذان ولا يجوز الدخول عليها في حالة نجاسة ولا يجوز مس اسمها إلا على وضوء ، الزهراء لها احترام عند الله حتى أن الرسول عندما عقد عليها لعلي (ع) قال لعلي (ع)

هذه وديعتي عندك هذه أمانتي عندك .

المحاضرة السادسة

المرأة و العرفان

ذكرنا فيما سبق أن الله اصطفى مريم (ع) اصطفائين الأول نفسي فهي بذاتها مصطفاة من الله والثاني نسبي الله اصطفاها وطهرها على نساء العالمين ولا يمكن عطف اصطفاك الأولى على اصطفاك الثانية وذكرنا أن لمريم خاصية لا توجد إلا فيها وهي أنها وابنها آية للعالمين ، وهي مصطفاة لا لأنها أعلى و أكمل أو أكثر قربا من الله من المصطفين فهذا الاصطفاء يشاركها فيه آدم ونوح (ع) ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدم ونُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عمرانَ عَلَى العَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بعضُهَا مِنْ بَعضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ المقطع الأول من الآية تلاه الإمام الحسين (ع) عند خروج علي الأكبر يوم الطف .

الاصطفاء النفسي كما انه لمريم فهو لآل البيت (ع)أما الاصطفاء الثاني فالزهراء (ع) تميزت عن مريم (ع) التي كانت هي وابنها آية للعالمين بأنها (ع) مصطفاة على نساء العالمين من كل جهة فهي أعلم و أكمل و أزهد وأكثر وجاهة عند الله لذلك لا تقارن مريم (ع) بكل عظمتها مع الزهراء (ع) و إذا وردت في الروايات أن مريم سيدة نساء عالمها فهي ليست في مقام إعطاء جواب تام وشرح لمقام الزهراء وإنما لإقناع السامع لمرحلة معينة .

بمناسبة ذكرى وفاة الزهراء سنتحدث عن الزهراء في القرآن وسوف يكون البحث روائياً ليس لأن القرآن ليس فيه إشارة عن حياة الزهراء ومقامها ولكن لأن الأحاديث حاكمة على الأصول القرآنية ، القرآن يعطي صورة

كليه والحديث يوضح ويفرع هذه الأصول ، فتفصيل حياة الزهراء في الروايات وأصله في القرآن لذلك ندخل في بحث المرأة في العرفان ، لابد لهذا البحث من مقدمة توضح لنا أولاً معنى العرفان .

ما هو العرفان ؟

الأدلة التي نفهم منها الإسلام إما من القرآن الكريم وآياته أو قول المعصوم وسيرته وتقريره أو بالأدلة العقلية ، العرفان شيء غير الأدلة العقلية الجافة المحضة ، ينقسم العرفان إلى قسمين عرفان نظري وعرفان عملي :

١-العرفان النظري:

وهوينتهي بالإنسان إلى مراتب الكمال التي خلقه الله من اجلها لذلك يبحث في كل مادة من شأنها أن تساعد للوصول إلى هذا الغرض (وهو معرفة الله معرفة تامة على الأقل نظريا) لذلك يتكلمون في العرفان عن أسماء الله وصفاته والتجلي والتخلي والتولي والتبري ..... الخ

٢-العرفان العملي :

وهو إعطاء برنامج سلوكي للوصول إلى القرب من الله عمليا وهذا لا يتم إلا على يد مدرس سالك لله يعرف آداب السلوك والسير إلى الله سبحانه في كل مرحلة وفي كل حالة ويعرف أنسب الطرق الأخلاقية للانتهاء بالنفس في هذه الحدود والشرائط ويحاول الارتفاع بها إلى مراتب الكمال .

نلاحظ أن هذا الهدف مبثوث في القرآن والروايات وعليه أدلة قرآنية وعقلية وفطرية وغيرها ، وكل مرة يكون الدليل على صحة ما ندعي إما بالنص أو بالإشارة أو بذوق العارف الذي يجعله يفهم الآية بهذه الكيفية، أشرنا في رمضان في شرح ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ

وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [٩٣] الأصولي يفهم من الآية أن تقراء ما تستطيع أو تسنح لك الفرصة بقرأته من القرآن ، أما العارف فيفهم منها أنه كم تيسر لك أن تقراء من القرآن فاقراء ، فالفرق بينهما كالفرق بين الرواية التي تقول [**لا يكلف ا لله نفسا إلا وسعها**]وسعها تنظر إلى الوسع والطاقة ثم تبني حكمها عليه ، الفهم القرآني يقول : القرآن بحر وقلب الإنسان إناء ضيق ولكنه من الممكن أن يتسع وتنشرح ظرفيته وذلك بإلقاء علم أكثر فيه ، العارف يقول القرآن مليء بالعلوم ومن الممكن أن يتسع ظرفك أيها الإنسان لهذه العلوم ، ويعلّم السالك الإنسان كيف يوسع ظرفيته حتى تتسع لهذا البحر ويضرب لذلك مثلا بذكر ا لله فكلما ذكر الإنسان ا لله أكثر كان ذلك سببا للدعوة والميل إلى ذكر أخر .

في المناجاة الشعبانية يقول الأمير (ع) [**الهي ألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك**] كثرة ذكر ا لله توسع هذه الظرفية بحيث يمكن أن تتلقى أكثر فطبيعة ذكر ا لله تؤدي إلى توسيع القدرة والطاقة والإرادة والميل وهذه الأمور هي ظرفية الإنسان ، والإنسان الذي نتصور وقته ٢٤ ساعة في اليوم إذا كانت ظرفيته واسعة يمكن أن يصلي ١٠٠٠ ركعة في اليوم ليس لأن وقته يتمدد إنما لأن رغبته تتمدد .

لسان العارف يقول عن الإنسان إذا أكتمل وبلغ رشده وبلغ الأربعين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

---

[٩٣] سورة امزمل – مكية – ١٥

عَلَيَّ ﴾[٩٤] الآية فيها إشارة إلى أن الإنسان بعد الأربعين يجتّر ما بناه قبل الأربعين فإذا كانت شخصيته بنيت على ذكر الله قبل الأربعين لن يمضي عمره في تحسر بل ستكتمل طاقاته وتنضج وتثمر ، والقرآن في مقام الحديث عن الثمرة والوعي الذي قطعه في الأربعين سنة فقدراته انتهت به إلى هذا الطريق ﴿ **حتى إذا بلغ اشده** ﴾اكتملت إرادته واستوت على سوقها ،اكتملت رغباته وميوله وعلاقاته مع الناس فأما أن يعيش مرارة ما قضاه قبل الأربعين أو يعيش ثمار ما قطعه ،﴿ **قال رب أوزعني أن اشكر نعمتك** ﴾ .

ما معنى الإيزاع ؟

هناك توفيق وهناك إيزاع :

التوفيق: هو التصرف في الأسباب الخارجية فإذا أراد الله أن يوفق إنساناً هياء له الظروف الخارجية من أصدقاء و أهل صالحين وبيئة حسنة، فالتوفيق هو تناسب الظروف والملابسات مع صالح الإنسان، أحيانا تكون الظروف مناسبة لشخص ما ولكنها لا تناسب ظرفية شخص أخر، فالتوفيق موضوع على المجموع الكلي الذي يحيط بالإنسان .

الإيزاع: أدق من التوفيق ،فالإيزاع هو التصرف في الأسباب الداخلية ، هو تصرف في الضمير والقلب الذي يبعثه الله في الإنسان غير ناظر للأسباب الخارجية ، لذا عندما يبلغ الإنسان الأربعين يعرف أن الأسباب الخارجية ليست الهدف إنما هي المساعد الأول والهدف الأخير هو أن يكون هناك وازع في داخل الإنسان فيتصرف الإنسان في نفسه.

---

[٩٤] سورة الاحقاف- مكية- آية ١٥

العارف عندما يفهم الآية يرى أنه إذا وُجد الوازع والميل للطاعة في الداخل لو تظافرت كل العوامل الخارجية لمنع الإنسان واتحدت مع جنود الشيطان لا يوجد في داخل الإنسان إلا ذكر الله ،العارف لا يرى أن قلب الإنسان شيء وذكر الله شيء أخر بل يراهما معجونان وممتزجان ببعض ، فقوام الروح ذكر الله وإذا نسي الإنسان الله فهو قد نسي روحه وليس جزء منها ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾[٩٥] الذي ينسى الله ينسى كل نفسه،ودليل العارف أنك أحيانا تضع في الصندوق بجوهرات فإذا ضاع الصندوق أو سرق تكون المجوهرات والصندوق قد سُرقا ،و أحيانا تصنع صندوقاً من المجوهرات (فإذا صنع الصندوق على عين الله – المقصود القلب – إذا ضاع الصندوق يكون قد فُقد شيئاً واحداً هو صندوق الجوهر .

العارف يرى أن نسيان الله هو نفسه من حيث الحيثية والشدة كإضاعة الجوهر ، الذي يدفن قلبه تحت ولاية الشيطان وغيره هذا لا يشتغل بغير الله بل يشتغل بغير نفسه، لأن روحه معجونة بذكر الله فإذا ابتعدت فأنت قد ضيعت مقوّم حقيقة نفسك لا جزء منها ولا لازم من لوازمها ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ الفاء هنا للتفريع تفيد المباشرة في النسيان لا فصل و لا تريث ولا تعقيب بين النسيانين و لا فرق في المرتبة الوجودية لهذا النسيان فهي تفيد أن هذا نتيجة لذاك .

---

[٩٥] سورة الحشر-مدنية – آية ١٩

من أي نقطة يدخل الشيطان إلى قلب الإنسان ؟

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[٩٦] الشيطان وجنوده يتربصون بقلب الإنسان ومادام ذاكراً لله لا يستطيعون دخول قلبه ولكن إذا نسي ذكر الله في نقطة دخلوا عليه من هذه النقطة ، لا يستطيع الشيطان النفوذ إلا من جهة الغفلة لذلك اسهر على يقظة روحك [**المؤمن قلبه كعبته**] يطوف حولها ولا يغفل عنها ، الشيطان طائف يطوف بالنفس سبعة أشواط محرماً يحاول دخول قلوب المؤمنين ولأن المؤمنين ملتفتين للجوهر فبمجرد مسه لهم يتذكرون فإذا هم مبصرون ، الشيطان لا يأمره بالمعصية مباشرة لأنه يعلم انه لا يستجيب له .

إن الشيطان يركز على عقل الإنسان ومنطقه فيعطيه منطقاً شيطانياً فيكون جندياً من جنوده ،و أحيانا يتفوق هذا التلميذ على الشيطان نفسه فيكون معلماً له ، الشيطان يأتي للمؤمنين بزي الإصلاح الاجتماعي مثلاً فيحلل الغيبة عند الإشارة إلى فساد المجتمع ويكبر المشاكل ، أو عند الاستشارة في أمر من أمور الدين والدنيا مثلاً فيجعل المؤمن يتكلم في مسائل جزئية لا حاجة لها.

الآية تريد أن تقول إما إنسان متوجه بقلبه دائما بحيث لا يؤثر فيه كلام الشياطين من الجن والإنس وإما إنسان متعاون مع الشيطان ، لماذا يستحب قرأة المعوذتين في صلاة الليل ؟

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[٩٧] في هذه السورة

[٩٦] سورة الاعراف –مكية– آية ٢٧ ؛

[٩٧] سورة الفلق – مكية

يستعيذ الإنسان بالله الذي فلق النور من الظلمات ، ويستعيذ بالله من شرار خلق الله من الجن والشيطان والسحرة والحساد كل ذلك مرة واحدة ،أما في سورة الناس ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[٩٨] يستعيذ الإنسان بالله في هذه السورة أكثر من مرة من الناس ، الشيطان لا يأتي من طرق غيبية انه يأتينا ممن حولنا من الناس المحيطين بنا ، لماذا تكثير الناس ؟

نلاحظ أن هناك وحدة في الاستعاذة حتى يركز الإنسان من أين يأتيه الخطر يأتيك الخطر ممن حولك من معاشرتك لهم من حديثك معهم من معاملتك وإياهم ، والإصرار على الناس في الآية دلالة على أن حراسة القلب ليست شيئاً فوق مستوى البشر ، أكثر ما يؤثر فيك هم من حولك فإذا استطعت أن تتخلص من الأسباب الظاهرية سوف تستطيع أن تتخلص من الأسباب الغيبية ، ولكن هذه المسألة تحتاج إلى عزم وإرادة وتصميم لكي تستطيع أن تقطع صلتك بمن لا يتصل بالله [**قطيعة الجاهل أفضل من صلة العالم**] تقول الرواية بما معناه أنه يؤتى يوم القيامة بإنسان قد انتهى من الحساب وأُمر به أن يُدخل النار ، فيسأله الله هل سألت عالماً وجالسته ؟ فيقول : لا ، فيسأله مرة ثانية هل جالست إنساناً عالماً فإذا قال نعم غفر الله له لمجالسته العلماء ، السجاد (ع) يعد الطرد من مجالسة العلماء أحد أسباب الخذلان ، ومجالسة الجهال تودي بالنفس وقطيعتهم تعدل صلة العالم ، إذاً الإحاطة بالقلب من كل جهة تمنع دخول الشيطان إليه .

---

[٩٨] سورة الناس- مكية

وفي مقابلها الغفلة التي هي مدخل الشيطان ولا يستطيع النفوذ إلى داخل النفس إلا منها .

علماء النحو إذا أرادوا إعراب آيات القرآن لا يتحدثون عن ساحة القلب وأي الأمور أشدها ضرراً عليها ، إنما اهتمامهم بالفعل والفاعل وغيره من شئون النحو ، وهناك فرق بين كلام العارف الذي يريد أن يُلقي هذا البحر المتلاطم في هذه الظرفية الضيقة وكلام النحوي ، فهو يبدأ بتوسيع القلب ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[99] الارتفاع بالإنسان هذا هو هدف العارف وغرضه، وهذا الغرض يمكن أن تحققه آية أو رواية أو دليل عقلي أو إشارة وجدانية أو ذوق إلهي فوق حدود العقل والتصورات ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[100] الفؤاد هو الذي يسع العلوم أما العقل فهو يتصور الكليات ، والفؤاد هو الذي يحيط بها لذلك الذي يرى لا يُمارى على ما يرى ، إذا كان هناك شخصٌ يكلمنا من وراء جدار ويصف لنا شيءً لا نراه من كمال أو جمال أو جنة أو نار لا يحق لنا أن نماريه ونقول أنت كاذب ، من حقنا أن نقول نحن لا نرى ما تراه ، عمل العارف هو أن يوسع ظرفية الإنسان ويمكنه أن يستفيد من أي دليل .

لماذا خلق ا لله الإنسان ؟

العنوان الذي يبحث فيه عادة عند الإجابة على هذا السؤال هو مقام الخلافة الإلهية ، الآيات التي تتحدث عن ذات الإنسان يفهم منها وتبين الغاية من الخلق ، فلقد بين ا لله هذه المسألة الفلسفية العرفانية على شكل قصة تبين

---

[99] سورة الشرح – مكية– آية ١

[100] سورة النجم – مكية – آية ١١

علاقة الإنسان با لله والملائكة والشيطان في قصة خلق آدم (ع) وكلام ا لله مع الشيطان ، ومن هذه القصة سيتضح لنا مقام الإنسان وكيف نستطيع أن نطرد الشيطان ،كما تبين علاقة الإنسان بالملائكة وبالكون من حوله ، هذا الكون الذي نعيش فيه مملوء بالملائكة ،فكل ذرة يسوقها ملاك ﴿ فالمدبرات أمراً ﴾[١٠١] هذه العلاقة بين الإنسان وذرات الكون سواء كانت ملائكية أو مادية ، هذه العلاقة من أبدع البيانات القرآنية التي سيقت على شكل قصة ولكي نعرف نبدأ القصة من البداية .

﴿ وإذْ قَالَ رَبّكَ للمَلائكَةِ إنّي جَاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[١٠٢] يفهم علماء التفسير من كلمة جاعل أنها صفة مشبه مشتقة من المصدر فيها معنى الفعل وتفيد الاستمرار ، لم يقل الله أني خلقت آدم خليفة لأن هذا لا يتناسب مع معنى جاعل التي تفيد الوقوع والحدوث والاستمرار و أن ا لله دائما يجعل في الأرض خليفة وآدم مثال على ذلك ، كل مخلوق خلقه ا لله فهو خليفة ، وما أراده ا لله من آدم لم يرده من شخص آدم إنما جعله مثالاً لكل إنسان حتى يعلّم الإنسان ماذا يريد منه ويعرّفه على علاقته بالملائكة والشيطان .

ما معنى خليفة ؟

الخليفة :هو من يأتي ليخلف شخصاً على شيء غاب عنه أو مكان غاب منه ، ولكن ما معنى أن يجعل ا لله له خليفة وهو الذي لا يغيب عن مكان أو زمان أو مرتبة وجودية ؟ وماذا يريد ا لله من قوله ﴿ **جاعل** ﴾ ؟ الذي لا يحوطه مكان ولا يغيب كيف يكون له خليفة ؟

---

[١٠١] سورة النازعات - مكية - آية ٥

[١٠٢] سورة البقرة - مدنية - آية ٣٠

الخليفة لابد أن يكون فيه كل مواصفات المستخلف وهذا قمة المقام الذي يصل إليه الإنسان ، خلافة الله غير خلافة أي إنسان وهذا ما تريد الآيات أن توصلنا إليه وهذا ما ورد في دعاء الأمير (ع) في السفر [**اللهم أنت الخليفة في الحضر والصاحب في السفر ولا يجمعهما غيرك**]هناك شيء يجتمع في الله ولا يجتمع لغيره ، لو صاحبت شخصاً ما في سفرك لا يكون مع أهلك في الحضر لأنه لا يمكن أن يكون في مكانين في وقت واحد وفي زمن واحد ، ولكن الله ﴿وهو مَعَكُم أين مَا كُنتُم ﴾[١٠٣] ليس معنا هذا أنه معنا في البيت أو ذاك المحل .

الآيات التي تتحدث عن معية الله على نحوين، معية كلية ومعية خاصة ،﴿ إنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتَقَو وَالذينَ هُم مُحْسِنُون ﴾[١٠٤] الله معنا في كل حال وفي كل مرتبة روحية وفي كل زمان ومكان سواء كنا متوجهين إليه أو غير متوجهين إليه ولكن معية الله الخاصة فهي للمتقي والمحسن ، وهذا يعني أن لله اهتماماً خاصاً بهما لا تشاركهم فيه بقية الموجودات التي تتشارك في المعية الكلية ، والمعية الخاصة تعني أن جنود الله وكرمه معك في موضع خاص موضع التقوى والإحسان وهذه المعية الخاصة تريد أن تلفت انتباهنا إلى أن هناك إفاضة لله عامة لكل الموجودات ، وإفاضة خاصة للإنسان [**إلهي هبني لحظة من لحظاتك ترفع عني ما أهمني وتعيدني بها إلى أحسن حالاتي**] وعندما يلاحظ الله إنساناً ما بهذه المعية الخاصة يعيده إلى أحسن حالاته عنده .

---

[١٠٣] سورة الحديد- مدنية -آية ٤

[١٠٤] سورة النحل- مكية - آية ١٢٨

نحن نغفل عن الحالات التي تصيبنا في اليوم الواحد على كثرتها وتنوعها حتى أن احسن الحالات التي نمر بها في ذلك اليوم ننساها ولا نلاحظها، إذا كان العمل نتيجة للتقوى كان الله معه وكان لذلك اثر واقعي،، وليس معنى أن الله معه انه يراقبه بل معناها أنه مع نفسه على نفسه ومع نفسه على الشيطان ومعه على الناس والظروف والأسباب ، وإذا كان الله معه في أي مرحلة يكون فيها كان الله هو الناصر والمعين .

العرفان والعارف

من هو العارف ؟

العارف هو : من يفهم من الآيات والروايات ومن الإشارات أو الحركات معنى شهودي يراه ،أو معنى وجداني يقطع به وإن لم يكن لديه دليل عقلي عليه ، العارف لايقراء الآيات كما يقراها الفقيه والنحوي،فمثلاً بعض التفاسير فيها لطائف عرشيه مثل ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾[١٠٥] النحوي يقول : الجدار لا إرادة حقيقة له إنما هو يقع نتيجة لعوامل داخلية ، أما العارف فيقول : الخضر (ع) يعرف الحركة الوجودية للجدار فرأى إرادة الجدار وهو يريد أن ينقض ، هنا الإرادة واقعية وليست مجازية كما يراها النحوي.

مثال أخر : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[١٠٦] غير العارف يقول أن للمؤمن روح وريحان وجنة نعيم ، أما العارف فيقول أن ظاهر الآية حجة و أن المؤمن هو نفسه يصبح روحاً وريحاناً وجنة نعيم ،

---

[١٠٥] سورة الكهف- مكية -آية ٧٧

[١٠٦] سورة الواقعة - مكية -آية ٧٩

لأن الإنسان إذا استحكمت روحه وتصوراته وعقائده ووصلت إلى حد الاستحكام العقلي فسيكتمل عقله وسيشعر بلذة مختلفة لإن العاقل يلتذ باللذائذ المادية والمعنوية، وله لذائذ لقواه العقلية أكثر بكثير من القوى الجسدية كسماعه للمطالب العقائدية خصوصاً إذا كان مؤمناً فشعوره باللذة المعنوية أكثر وادوم وأقوى ، العارف يقول لماذا تقدرون الروح والريحان للمؤمن فسواء ذهب إلى الجنة أم لم يذهب فما دام فيه نفحة من روح الله فهو روح وريحان .

العارف يقول الإنسان المتعلق بالدنيا هو بنفسه دنيا وهو بنفسه يصير جهنم ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[107] أي صيرورتهم جهنم ومصيرهم إليها ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى* الذِي خَلَقَ فَسَوَّى *والذِي قَدَّرَ فَهَدَى * والذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً احْوَى ﴾[108] مسيرة الدنيا مهما اخضرت فهي في الآخرة غثاء والذي يتعلق بالغثاء سيكون هو نفسه غثاء ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾[109] الدنيا حطام و إذا كان الإنسان مُتعلقاً بالحطام فهو نفسه سيكون حطاماً .

العارف يستفيد من الحركات من ضم وفتح وجر فيفرق بين قول المؤمنين والكافرين في عقيدتهم ، الكفار عندما سئلوا عن ربهم ويوم القيامة فقالوا ﴿ و إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[110] أما المؤمنين عندما سئلوا عما فعل الله قالوا : ﴿ و قِيلَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾

---

[107] سورة النساء – مدنية – آية ٩٧

[108] سورة الاعلى – مكية –ألايات ١،٢،٣،٤

[109] سورة القمر – مكية –

[110] سورة النحل – مكية – ٢٤

[111] الكفار قالوا أساطير وهي مبتداء فهم لا يرون أن هنـاك خـالق وأن وراء أفعال هذا الخالق إرادة ومريد ، أما المؤمنين قالوا خيرا والكلمـة مفعـول بـه وهذا الخير له فاعل ومتكلم فهم ينسبون لـه الأيـادي الطـولى فتبـارك اسـم ربك الأعلى .

الفرق بين العارف والفقيه:

هو في غرض كل منهما ، الفقيه غرضه أن يـبرئ ساحة المكلـف مـن كـل تكليف محتمـل أمـام الله ، أمـا العـارف فهـو يريـد أن يجـذب الإنسـان لله ويكشف له ما وراء هذه التكاليف حتى يرى الملكات الحقيقة ، العـارف لا يُعلّم المكلف مبطلات الصلاة وأحكامها إنما يريد أن يريك أن كل أعمـالك تبعاً لصلاتك ويريـد أن يريـك أن للصـلاة وجـود تكويـني يـأمر بـالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذا النهي ليس لفظياً فـالصلاة لا تصرخ في الإنسـان وتمنعه ، إنما هي تنمي حسه التكويني والواقعي بحيث تجعل عنده وازعاً دينيـاً يجعله يحب المعروف ويكره المنكر ، فهي تقوي الصـوت الإلهي فـإذا أذنـب الإنسان وأراد الصلاة سمع صوتاً يصرخ في أعماقه انك خنتني وأعرضت عن ذكر الله فصلاتك لم تأمرك ولم تنهاك .

إذاً الغرضان مختلفان ونتيجة لهذا الاختلاف من الممكن أن يتعلـم أي إنسـان الفقه ويفهم الرسالة ولكن المعرفة والعرفان لا يحصـلان إلا بطهـارة القلـب وصدق العزيمة ليدرك السالك هذه العلوم .

من الأبحاث المهمة في العرفان الحديث عـن خلافـة الإنسـان ، ولقـد تحدثنـا فيما سبق عن الغرض من خلق الإنسان وهو أن يكون خليفة لله في أرضه ، والقرآن عندما طرح هذه الإرادة بين الطريق الذي يمكن أن يسلكه الإنسـان

---

[111] سورة النحل - مكية -آية ٣٠

ليكون خليفة لله ، عندما خلق الله آدم ابتداءً قال ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ذكرنا أن كلمة جاعل تفيد الاستمرارية فهناك فرق في معناها ومعنى قوله تعالى لداود (ع) ﴿يا دَاوُد إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[١١٢] فجاعل هنا اسم فاعل يفيد الوقوع والحدث وجاعل في آية خلافة آدم صفة مشبهة تفيد الاستمرار فالله أراد من آدم وأبنائه أن يكونوا خلفاء الله فهي على غرار آية ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً قَالَ وَمِنْ ذُرِيتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِيَ الظَّالِمِينَ ﴾[١١٣].

هناك فرق بين خلافة داود وإبراهيم ، خلافة إبراهيم فَهَم منها إبراهيم أنها ممتدة لذلك طلب أن تكون في ذريته، لم تكن خلافة الجن والإنس بل خلافة الله لذلك حتى الملائكة طمعت فيها ، لا يوجد إنسان يمكن أن يكون في مقام خلافة الله كما في دعاء الأمير [**أنت الخليفة في الحضر والصاحب في السفر ولا يجمعهما غيرك**] هذا المعنى لا يمكن أن يجتمع إلا في الإنسان الذي يكون مُظهراً لاسم من أسماء الله .

ماذا يعني أن يكون الإنسان خليفة لله ؟

عندما سألت الملائكة الله عن الغرض من خلق آدم (ع) ﴿ أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسَدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[١١٤] إذا كان المدار أن يكون هناك مسبح ومقدس فنحن لا نفتر عن التسبيح والتقديس ، ولكي يريهم الله أن لكل منهم مقاماً معلوماً وأن لكل موجود مقاماً معلوماً ، وإذا

---

[١١٢] سورة ص – مكية –آية ٢٦

[١١٣] سورة البقرة – منية –آية ١٢٤

[١١٤] سورة البقرة –مدنية – آية ٣٠

كان شيئاً ما مادياً فهو يخدم في زاوية من زوايا الكون ، إلا الإنسان الذي مقامه غير معلوم فيمكن أن يكون له وجود مادي فيختلط بالناس ويحدثهم، وتكون له رُتب كمالية ليست للملائكة ويصل لحد أن يكون معلماً للملائكة ، وإذا عرف المعارف الربانية يمكن أن يصل إلى حد يحفظ فيه كل المقامات .

عندما أراد الله أن يُعلّم الملائكة وأن يكشف لها مقاماتها المحدودة المقيدة وكون أن الإنسان ليس له مقام معلوم من الأصل أو يُعلّمه علماً يحفظ به جميع المقامات والأسماء الإلهية في آن واحد ، وهذا من إبداع القرآن الكريم أن يعلم الإنسان ذلك ، فإذا استطاع أن يحفظها سيكون اكمل إنسان وسيكون مُظهراً لكل أسماء الله تعالى ومُعلماً للملائكة .

غرض علم العرفان :

أن يفتح بصيرة الإنسان فيعطيه تصوراً نظرياً عن توحيد الله أولاً ، ويُريه أن وجود الله مبثوث في كل ذرة من ذرات الكون فيتيقن أن لا إله إلا الله ، ثم يكشف كشفاً شهود يا للإنسان عن مستوى إيمانه في مقابل إدراكه ثم يصل إلى أوج المعرفة والإمكان ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [١١٥] حتى يُري الملائكة اشتباههم في حق آدم ، ألقى في روع آدم الأسماء كلها لم يعلمه لفظ الأسماء لأن علم الألفاظ ليس هو المطلوب لأن هذا العلم الفظي كان يكفي أن يعلمه آدم للملائكة ليصلوا إلى مرتبته ، علم الله آدم حقيقة هذه الأسماء (**حتى يرى الجدار وهو يريد أن ينقض**) والذي يرى ذلك يستحق أن يكون مُعلماً لموسى (ع) ، ﴿ **علم آدم** ﴾ المراد الحقائق التي

---

[١١٥] سورة البقرة – مدنية – آية ٣١

وراء هذه الأسماء ويقال أنها أسماء الأئمة (ع) ، وحقيقة كل شيء هي محض فقره لله وارتباطه به .

العارف عندما يرى هذا الربط الأكيد بين الأشياء وبين الله يفهم معنى ﴿ والذي هُوَ يُطعِمُني وَيَسْقِين* وَإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين ﴾ [116] غير العارف يرى أن الذي يطعمه ويسقيه غير الله والذي يشفيه هو الدواء ، العارف يرى أيادي الله في كل شيء،أما غير العارف فيقطع صلة الأشياء بالله ثم ينظر إليها ، وإذا أراد أن يتعامل مع أحد المؤمنين يتعامل معهم بمقدار ميله ، أما العارف فيقول (**أحبب الإخوان على قدر التقوى**) فعلى مقدار علمهم وتقواهم يتعامل معهم لا على أساس علاقته معهم .

القرآن حتى يُربي هذا التصور في المؤمن يقول له ﴿ و الَّذِيْنَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ مَعْلُومٌ للسَائِلِ والمحْرُومِ ﴾ [117] هناك حق للسائل في أموال المؤمنين وهي أمانة في أعناقهم ،يوضح الأمير هذا السائل الذي يسأل فيقول [**المسكين رسول الله**] المسكين الذي يأتي ليأخذ حقه ضمن حدود الشرع فهو رسول الله ، هذا الإنسان السائل أنت تتصور أنه طرق بابك صدفة ولكن الأمر غير ذلك، الله أرسله إليك فإذا رأيت ذلك أعط رسول الله ، العالم الذي يحدثك رسول الله إليك ، إذا نظرت للكون من حولك نظرة إلهية أدركت أن لاشيء يحدث في هذا الكون إلا بإرسال ، بل حتى الشياطين التي تأتي لتجرك للمعصية الله أرسلها ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِيْنَ تَؤُزُّهُم أَزًا ﴾ [118] كل ما في الكون يحمد الله ويسبحه ويقدسه والعارف يرى هذا

---

[116] سورة الشعراء – مكية –آية ٧٩

[117] سورة المعارج – مكية – آية ٢٤

[118] سورة مريم – مكية – آية ٨٣

التسبيح والتقديس ، كان من سنة آل البيت (ع) أنهم يمسحون وجوههم بعد التصدق ويقبلون أيديهم لأنها وقعت في يد الله لأنهم كانوا يرون الله في كل ما في الكون حتى في حركة يد الإنسان .

قاعدة هامة :

كل شيء فيه حياة ولكن حياته بحسبه ومقداره حتى جهنم حية وليست ناراً تحترق بأهلها لأن جهنم ترى المجرمين فإذا رأتهم ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيْراً ﴾[١١٩] هل رأيتم ناراً مدركة وترى ؟

يوم القيامة سنرى كل شيء حياً وينطق ، نحن في الحياة الدنيا لا نرى هذا لأننا غافلون عن هذا التوحيد العملي فلا نرى الأشياء تُسبح ، أن يصل الإنسان إلى حد يرى وجود الله في كل شيء وليس له غرض إلا طاعة الله هذا الإنسان سوف تكون أعماله كلها طاعة لله وسوف يكون نظره لأخيه المؤمن أحبهم لله أقربهم من صاحبه ، إذا تصافح المؤمنان تحات ذنوبهما لأن يد كل منهما تغسل الأخرى ، لأن ماء الإيمان والمعرفة يغسل الأخرى ، الذي يستطيع أن يرى الذنوب تحات فهو عارف وموحد لله في كل حركاته وسكناته.

نحن لم ندخل في بحث التوحيد بشكل استدلالي دقيق لنعرف معنى ﴿فأَينَمَا تَوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[١٢٠] ولكن الله هو كل شيء ،إذا اشتغل الإنسان بنفسه لن يرى الله في أوضح الأشياء ، يرى الأيام تمضي والفلك يدور ولا يفكر في الخالق ،المؤمن يرى تعاقب الليل والنهار لمن أراد أن يتذكر أو أراد

---

[١١٩] سورة الفرقان - مكية - آية ١٢

[١٢٠] سورة البقرة - مدنية - آية ١١٥

شكورا ، هناك عبادات مستحبة في الليل ﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ الغرض من تعاقب الليل والنهار تقسيم الوظائف والأعمال للإنسان المؤمن، إلا أن الأعمال المستحبة في الليل يمكن أن يقضيها الإنسان في النهار والعكس صحيح ، سئل شخص الأمام الصادق (ع) أنه يفوته أحيانا قيام الليل فقال (ع) : **إذا فاتتك فصلها بعد صلاة العصر وإن هذا من أسرار آل محمد**].بمعنى أن ينظر الإنسان إلى ما وراء اختلاف الليل والنهار ويقضى ما فاته لا أن يرى أنهما وجودان ممتدان كل منهما يخلف الآخر و لا علاقة بينهما ، كل الموجودات تستفيد استفادة عرضية من اختلاف الليل والنهار ولكن المستفيد استفادة واقعية من اختلافهم هو المؤمن العارف ،نلاحظ أنه عند الإخوان السنة تحرم كل صلاة بعد صلاة العصر، والأمام طلب من السائل أن لا يخبر الشيعة بذلك حتى لا يستخفوا بصلاة الليل ، ولكي ينظموا حياتهم وفق ما نظم الله .

إذاً خليفة الله الكامل هو الذي يستطيع أن يرى أسماء الله وصفاته في كل الموجودات .

كيف نرى أن هذه الأسماء والصفات طرقاً لله ؟ وكيف نقطعها ؟

أسماء الله الفعلية كاشفة عن صفات الله الذاتية وكلما عرف الإنسان أسماء الله أكثر كلما استطاع أن يمتثل لله أكثر،. فمثلاً عند قولنا الله المعبود معناها نمتثل له ونعبده، وعند قولنا الله ارحم الراحمين معناها أن من يرحم غيره يكون مَظهراً من مظاهر رحمة الله وليس للشفقة كما نظن ، ونحن إذ نجاهد الكفار فلأننا نعلم أن الله شديد على الكفار ولا يعذب عذابهم أحد ، وإذا صلينا على النبي (ص) فلأن الله وملائكته يصلون عليه ﴿ إِنَّ اللهَ

ومَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَبيِ يَا أَيها الذِينَ أَمَنوا صَلُوا عَلَيْهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيْمَا ﴾ [١٢١] كل أفعال الإنسان ممكن أن تكون مظهراً من مظاهر أسماء الله .

كون الإنسان بحق خليفة لله فيؤدي غرض الله لابد أن يكون كاملاً في غيابه حاضراً في حضوره مع الغائبين ويكون مُظهراً للباطن والظاهر ، كل إنسان إمّا أن يكون في طريق الفضيلة والتكامل فهو خليفة لله أو خليفة الخليفة، وأما إذا لم يكن في طريق الفضيلة والتكامل فهو خليفة الشيطان ، رسول الله خليفة الله لأنه معلم الملائكة بل حتى جبريل (ع) عندما كان ينزل على رسول الله ليعلمه القرآن كان رسول الله يقرأ القرآن قبل أن يقرأه جبرائيل ﴿ لا تُحرِكَ بِه لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به ﴾ [١٢٢] انتظر حتى تسمع الآيات من جبرائيل (ع) لأنه ملاك معلّم يعلم كل ما في قلبك،الإنسان الكامل يعلم ما في قلب كل إنسان والرسول (ص) مثال الإنسان الكامل لذلك هو شاهد على الناس ﴿ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيْدَاً ﴾ [١٢٣] ولا يشهد في محضر الله أحد إلا إذا كان حاضرا في ضمن الواقعة ومراقبا لها [**لا تقبل الشهادة إلا عن حس**] و هذه مسألة فقهيه معروفة لذلك لا تقبل شهادة الأعمى .

شهادة رسول الله على أعمالنا دليل على أنه يراقب أعمالنا حتى مع غيابه فروحه المجردة يمكن أن تنفذ في أرواح من حوله بل هي محيطة بهم، وهي مظهر لأسم الله المحيط وهذا مطلب عرفاني دقيق يوصلنا إلى قوله (ص) [**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**] أي أن يرى إمام زمانه في نفسه لأن الإنسان الكامل يمكن أن يكون مظهرا لأسم الله الذي هو

---

[١٢١] سورة الاحزاب – مدنية –آية ٥٦

[١٢٢] سورة القيامة – مكية – اية ١٦

[١٢٣] سورة النساء – مدنية – آية ٤١

الظاهر والباطن ، نحن لا نرى الله ولكن كل ذرة في الكون فقيرة لله ونحن نرى الأشياء إذا هي مظهرة لله مع أن الله اظهر من كل شيء ، في دعاء الحسين (ع) يوم عرفة [**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك عميت عين لا تراك عليها رقيبا متى غبت حتى تحتاج إلى دليل**]أعمى العين هو الذي لا يرى وجود الله نافذ في كل شيء (**كل العالم في محضر الله فكيف تعصي الله وأنت في محضره**) ظهور الله ليس ماديا ولكن كل الأشياء علامة على وجوده ، والإنسان الكامل في حال غيبته حاضر في نفوسنا .

المحاضرة السابعة

الكمال والوصول إلى الله

نريد أن نعرف العلاقة بين خلافة الإنسان في الأرض التي تحدثنا عنها والمرأة :

كان بحثنا عن أصل خلق الإنسان وعلاقته با لله والملائكة والشياطين واستشهدنا على ذلك بمجموعة من آيات الكتاب الكريم التي تتحدث عن هذا الموضوع وتتحدث ايضا عن كمال الإنسان وهي المادة ألدسمه التي يبحث فيها أهل العرفان والإلهين .

عندما نقول أن بين الإنسان والملائكة علاقة بينها وبين كمال الإنسان علاقة ، وعندما نصنف الإنسان إلى رجل وامرأة نبحث أيهما أسرع في الوصول لهذا الكمال ، وهل هناك كمال لا تصل إليه المرأة ؟

آية الخلافة من الآيات المهمة حتى في الأبحاث الفقهية ، عندما يبحث الفقهاء في وجوب إقامة الحكومة الإسلامية يستشهدون بهذه الآية ، وهذه الآية لا تقيدها الروايات التي تتحدث عن انتظار الإمام المهدي وأنه (ع) الذي يجب أن يقيم هذه الحكومة الاسلامية.

عندما نقول أن الإنسان خليفة الله في الأرض نعطيه أعمالاً تناسب سمة هذه الخلافة ،وعندما نقول أن الإنسان ليس خليفة لله في الأرض نعطيه أعمالا تناسب حجم الإنسان.

هناك آيات تتحدث عـن خلافـة ا لله وإقامـة أمـره وهنـاك روايـات تقيدهـا بانتظار الإمام أو التقية أو عدم التحرك حفاظا على النفس، ولكن هذه الآية لا تدخل تحت قيد هذه الروايات ، لذا يجب أن نفهم معنى الخلافـة بشـكل مفصل حتى نفهم واقعية الإنسان والكمال الواقعي الذي يجب أن يصل إليـه ، ثم نفهم المدبرات أمرا التي تخدم الإنسان في هذا الطريق، ومن ثـم نعـرف عقبات هذا الطريق وقواطعه .

نحن نقرأ عن الشيطان وعلاقته بالإنسان ولكن هـل الشيطان في الخـارج أو في داخل أنفسنا ؟

يجب أن نعرف هذه الأمور حتى نعرف هل دوافعنا شيطانية ، هذه المسـألة لا تعرف بالغور في داخـل النفـس ، وإن كـان هـذا يجعـل الإنسـان يفكـك الدوافع الخـيرة ويعـرف مـا في نفسـه ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾[١٢٤] حتّى يعرف الإنسان الشيطان معرفة تامة لا يتحقق ذلك إلا عن طريـق القـرآن ، القرآن لم يطرح مسألة خلافة الإنسان مرة واحـدة و إنمـا طرحهـا بأشـكال متفاوتـة لأن للقـرآن بيانـات مختلفـة لهـذا الموجـود الإنسـاني والغـرض منـه ،والموانع التي تحول دون الوصول للهدف ، والدوافع والموفقات التي توصلـه لهدفه .

ليست هذه قصة عابرة بل هي علوم تنفع الإنسان ولا يستطيع الإنسـان أن يقطع طريق الوصول دون معرفة وعلم ، الإمـام (ع)يقـول : [**العلـم رائـد الروح**]، الروح عندما تريد التحليق لله لابد أن يسـبقها شـيء و إلا كـان ككلام الصوفيون الذين خرجوا عن الشريعة ، إذا لم يكـن علـم إلهي يقـود الروح فمن يقول أنها لا تنزلق إذا أرادت أن تقطع هذه المراحل .

---

[١٢٤] سورة البقرة - مدنية - آية ٢٦٨

الرائد هو من يسبق الركب ليبحث عن الكلأ والماء ويرى أصلح الأشياء ويوصل الركب إلى أفضل مكان [**الرائد لا يكذب أهله**] لأن الغرض أن ينظر لما يصلحهم ، والعلوم والمعارف الغرض منها أن تنظر في مصالح الإنسان التي تتناسب مع ظرفيته ، لذلك في الروايات (**السفر لله بالروح أحب إلي من عمل الجوارح**) لأن العلوم تُعطي الإنسان مبانٍ دائمة و أسس ثابتة أينما كان ، وميزة الإنسان هي بمعرفة هذه العلوم وإلا فهو والعياذ بالله بهيمة، وهذا الموضوع مادة دسمة حتى يعرف الإنسان علاقته الأصيلة بالله وبالملائكة والطريق .

اصل البحث العرفاني هو في البحث في الله،أسمائه،وصفاته،وكيف نستطيع أن ننتظر لفيوضات الله من خلال الموجودات، ونحن نريد أن نبحث في تركيبة المرأة الروحية هل تتناسب مع هذا العلم، وأي المعارف والعلوم أنسب لها ، لأن العلم زاد والذي يقطع الطريق بغير زاد كحاطب ليل لا ظهراً أبقى ولا طريق قطع ، أمضى عمره كله يبحث عن الله ولكن يبحث من غير دليل ، فلم يبق من عمره شيء يقابل به الله ولا يمكن أن يعيد ما فات ، ولا يمكنه قطع شيء ، لأنه بدون هذه المادة يصعب قطع الطريق ، و من ثم سوف نلاحظ المناسبة بينهما وذلك عندما نتحدث عن نفسية المرأة وكيف أن الطريق مهيألها للوصول إلى الكمال إذا عرفت زاد الطريق وأي زاد تأخذ معها، كالمسافر إلى بلاد باردة يأخذ ما يناسب جو ذلك البلد ،فالعلم نور ورائد ودافع ومحرك للإنسان ليكون على بصيرة من أمره.

اصل البحث :

هل كل إنسان خليفة لله في الأرض أم أن آدم هو الإنسان الوحيد الممثل لهذه الخلافة ؟

انتهينا في البحث السابق إلى أن آدم (ع) لم يكن إلا مثالاً للإنسان النوعي ودللنا على ذلك بآية ﴿ يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ التي تدل على الخلافة الشخصية و ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ التي تدل على الجعل النوعي ، لذلك عندما خلق الله آدم (ع)خاطبه بضمائر مختلفة في علاقته مع الشيطان أحيانا يكلم نفس آدم ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[١٢٥] وأحيانا يخاطبهما ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[١٢٦] ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيطَانُ عَنْهَا ﴾[١٢٧] ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[١٢٨] من اختلاف الضمائر نفهم أن ذات آدم ليست هي المقصودة إنما المقصود هو الإنسان ، وكل إنسان و آدم قبله ممثلٌ لله والخطابات شاملة له ، ولهذه الخلافة مراتب ودرجات ، والفرد الأكمل هو المحيط بكل شيء الذي له العزة التي هي غلبة الأسباب ﴿ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ ولِرَسُولِهِ وللمُؤمِنِينَ ﴾[١٢٩] هذه الآية فيها نظر إلى أن الأسباب الطبيعية والمادية لا تنفذ في روح هذا العزيز ولا في قدراته .

---

[١٢٥] سورة طه – مكية – آية ١١٧

[١٢٦] سورة الاعراف – مكية – آية ٢٢

[١٢٧] سورة البقرة – مدنية – آية ٣٦

[١٢٨] سورة طه –مكية – آية ١٢١

[١٢٩] سورة المنافقون – مدنية –آية ٨

من هو العزيز في نظر المجتمع ؟

أحيانا يُنظر إلى العزيز على انه الشخص الذي لا يؤثر فيه غير الصحيح من الأخلاق والأفكار، أحيانا يُنظر إليه على أنه الشخص الذي لا يسيطر عليه شيء ، ووجوده منبسط على كل شيء والعزيز كرسول الله (ص) هو الذي روحه ابعد من ذلك فروحه محيطة بالأسباب ، لأن الإرادة ليست شيئا مادياً بل معنوياً مجرداً .

أحيانا يرغب إنسان ما في الامتناع عن شيء فيمتنع عنه ، هذا الإنسان أقوى إرادة ممن لا يستطيع الامتناع ،و أحيانا يكون لإنسان ما إرادة نافذة على غيره فيستطيع مثلاً أن ينفذ إلى نفسك ويكون أقوى نفوذا في نفسك من نفسك ، نحن لأننا اعتدنا على التعامل طبق إرادة معينة واغلبنا إرادته ضعيفة لا نستطيع مغالبة صغائر الأمور بالرغم من رغبتنا في عبادة الله ، الذي يحرك الجسد هو الإرادة [**ما رام امرؤ شيئا إلا وصل إليه أو دونه**] وإذا تعلقت هذه الإرادة بشيء وكانت مصحوبة بعلم يكون هذا الإنسان عزيزاً وله هيمنة وانبساط على من حوله ، عندما نقول أن لرسول الله نفوذ في أنفسنا نرى في الزيارات والأدعية عبارات تدل على ذلك (**طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم**)نحن الشيعة نعتقد بقدسية الأرض التي يدفن فيها المعصوم و أن لهذه الأرض آثاراً منها استجابة الدعاء في هذه الأرض واستجابة الدعاء في حضرة هذا الإمام الذي هو حي عند الله في جنة البرزخ .

لذلك الإنسان الذي يستطيع أن يخلف الله هو الإنسان المحيط الذي يكون الصاحب في السفر والخليفة على الأهل في الحضر ، عندما نتوسل إلى رسول الله أنا وأنت في وقت واحد ما المانع أن يصل توسلي وتوسلك إليه

في نفس الوقت(**يا وجيها عند الله**)أي يا وجه اللـــه الذي منه يُؤتى ، يـا من نظر إليك الله ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ الوجيه من صرف الله لـه وجهه ونظر إليه، هذا الإنسان الكامل يمكن أن يكون خليفـة الله الكـامل ، ولكن هناك من يمكن أن يكون خليفـــة الخليفة ، ليس من جهة عدم قدرة الله أن يجعل كل إنسان خليفة ولكـن مـن جهـة عـدم قابليـة بعـض النـاس لقبــول هذه الخلافة فهم لا يأخذون من الله مباشرة .

وجود الله واضح ولكن العلاقة معه سبحانه لم تتم للجميـع بشـكل مباشـر ليس لعدم قدرة المفيـض ولكـن لعـدم قبـول القـابل ، إذاً لابـد مـن وسيط كرسول الله (ص) ولابد أن يكون لهذا الخليفة خليفــة وهـو أمـير المؤمنـين (ع) ثم الأئمة المعصومين مـن ذريتـه (ع) ، (ص) يقـول : [**اللهـم ارحـم خلفائي**] ثم العلمــاء [**العلماء ورثة الأنبياء**]

الوراثة هي انتقال الملكية بلا مقـابل إمـا بسـبب نســبي أو بسـبب يقتضـي الحصول على هذه المرتبة والعلوم والمعارف ، لذلـــك عندنـا خليفـة كـامل وهو الرسول (ص) وعندنا خليفة الخليفة من الأئمــة والطلبة المتأثرين بعلمه (ص) فالخلافة ممتدة ، ولكن ليس الكل يمكن أن يكون خليفـــة كـاملاً بـل كل من له مرتبة في الفضيلة فهو خليفة فإما أن يكـون تحـت ولايـة الله أو تحت ولاية الشيطان .

مدار الخلافة هو العلم والمعرفة فبمقدار علمه يكون له قدم سبق، وبمقدار ما يعـرف في الخلافـة يكـون خليفـة للخليفــــة ، ولكـن الإنسـان في مسيرته للفضيلة والخلافة يزاحمه قاطع طريق وهو الشيطان ، وحديثنا اليوم هـو عـن هذا القاطـــع اللعين وعلاقته بالإنسان .

عندما خلق الله آدم خضعت الملائكة وانكسرت من جهة نورانية العلوم التي عند آدم (ع) عندما عرض الله هذه العلوم عرضاً علمياً على الملائكة وعرفوا أنهم لا يعرفون مسميات هذه الأشياء ، ثم أنبئهم آدم بها وكان كشفه عن حقائق الأشياء لا عن أسمائها ومسمياتها فقط ، عندها سجد الملائكة إلا إبليس ، إبليس لم يكن من الملائكة كان إبليساً ثم تشيطن ، اسمه كان إبليس ثم تفرعن لم يكن ملاكاً كان من الجن وإنما من جهة التغليب عد منهم ،ونحن أينما نتحرك هناك علاقة بيننا وبين إبليس الذي أبى واستكبر .

الإباء نوعين :

١- الأول عدم القدرة على التحمل ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾[١٣٠]

٢- الثاني استكباري المقصود منه العداء للإنسان ،وقصد إبليس لمعاداة الإنسان جاء على نحوين ، الأول جاء في كلام إبليس لآدم (ع) ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴾[١٣١] واعدهم و لم يتوعدهم ثم دلاهم ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[١٣٢] جعلهم متدلين نزلوا من الأعلى إلى الأسفل ، إبليس يأتي من الأسفل من الخيالات والتفاهات والوهم يأتي من تحت الأقدام ، إبليس لا ينفذ للإنسان الذي له مراتب عليا ،امّا بالنسبة لآدم (ع) فإنه ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[١٣٣] أقسم لآدم انه ناصح له ليغويه

---

[١٣٠]سورة الاحزاب – مدنية –اية ٧٢

[١٣١]سورة طه – مكية –آية ١٢٠

[١٣٢]سورة الاعراف– مكية–آية٢٢

[١٣٣]سورة الاعراف – مكية –آية ٢١

أما بالنسبة لنا اقسم لله ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[١٣٤] هنا الفرق نحن الذين اقسم إبليس أن يغوينا وسعى لتحقيق قسمه وجلس في طريق صعودنا ليقطع علينا الطريق فيضّعف إرادتنا وهمتنا ونحن لا نلتفت إلى هذا الضعف لأننا نعيش حياتنا في مراحل خيالية ،ونتعامل مع العلوم الإلهية بمقدار ما نتعامل مع أوهامنا ، فنحن نتأثر بالعلوم الإلهية والمسائل الفارغة والعلوم الوهمية بنفس الطريقة والمقدار، فلو فكر شخص ما قبل الصلاة في مسألة فارغة لن يتأثر بصلاته ، لأنه لا توجد فاصلة عندنا بين تعاملنا مع العلوم الإلهية والأوهام التي نتأثر بها في الصلاة ، فنحن لا نزال نعيش مرحلة الخيال فتدنينا وتجذبنا خواطر تروح وتجيء ، وهذا النوع من التعامل مسرح إبليس ، فإذا لم نستطع أن نرقى بهذه العلوم من حد الوهم إلى حد التعقل والعقيدة والتلبس بهذه العلوم سيكون ديننا في حد الوهم ، ثم نرجو الرحمة من الله ، وهذا تكرم من الله أن يعفو عنا بهذا الدين .

هذه العلوم تعلمنا كيف نرقى من حد الخيالات والوهم والقوى الضعيفة إلى قوى أشد و أكمل .

لماذا لا يستطيع إبليس أن يغوي المخلصين ؟

ليس لأن إبليس يحترمهم فإبليس لا يحترم أحد ، ولكن لأنهم في عالم لا يطالهم فيه ، فهم لا يتعاملون مع الوهم ، واهتماماتهم الدنيوية تعتبر غصص لهم يتجرعونها من اجل الله ، إبليس اقسم بالغواية لبني آدم إلا المخلصين الذين لا يعيشون حد الوهم والتصورات التي هي مسرح إبليس ، فهؤلاء قيدوا كل شيء بقيود الواقع والحقائق ، وعرفوا ارتباط كل الوجودات

---

[١٣٤] سورة ص- مكية -آية ٨٢

بالله تعالى ، عرفوا كل الملائكة المنتشرة في هذا الكون وآثارها ، هذا التعامل مع الواقعيات جعل إبليس لا يستطيع النفوذ إلى ساحاتهم .

إذاً ما هو غرض هذه العلوم والمعارف المبثوثة في الآيات والروايات ؟

غرض هذه العلوم أن ترتفع بمعلوماتنا وقوانا من حد الوهم والخيال إلى مستوى الإدراك والقطع والتعقل ، في الحديث القدسي (**كذب من يدعي محبتي فإذا جُن الليل نام عني أليس كل محب يحب مجالسة حبيبه**) هذا كذب ومخالف للقطع الذي تدعيه وهو خلاف العقيدة وهذا ليس تمثيلاً بل كشفاً ،وإذا تعقلناها سنرى أن مصالحنا العقائدية أهم بكثير من مصالحنا الدنيوية المادية هل يستطيع الواحد منا أن يترك بيته وأولاده ؟ لا نستطيع ، ولكن مصالحنا الإلهية نستطيع أن نغفل عنها لأننا لا نعرف مصلحتنا الواقعية ، فما دام دين الإنسان في هذا المستوى والحد ستكون علومه الإلهية في يد الشيطان ، الشيطان مقدرته أن يتصرف في الوهم والخيال فقط ، فيعد ويمني ويخيل و يوهم ﴿ يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم ومَا يَعِدُهُم الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا ﴾[١٣٥] الشيطان لا يعطي شيئاً واقعياً .

كيف يصل الشيطان إلى أغراضه وينفذ فينا ؟

كيف يصبح الإنسان وليا من أولياء الشيطان ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُم الخَاسِرُونَ ﴾[١٣٦] الشيطان لا يأمر الإنسان ، إنما يريد أن يشاركه ، فيكون بينهما كلام وتفاهم وعرض ، ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك ؟

---

[١٣٥] سورة النساء - مدنية - آية ١٢٠

[١٣٦] سورة المجادلة -مدنية -آية ١٩

نتحدث عن شركة الشيطان للإنسان في الروايات ثم في الآيات ، عن الأمير (ع): [**اتخذوه لأمرهم ملاكاً واتخذهم له اشراكاً ففرخ وباض في صدورهم ونظر بأعينهم ونطق بألسنتهم**] الشيطان يريد أن يضع بيضه (أبنائه) في صدورهم ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك مباشرة فهو لا يأمر بالحرام والمنقصة بشكل مباشر لأنهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[١٣٧] الشيطان مثل الطائر الذي يريد أن يضع بيضه على شجرة ليست ملكه ، فهو أولاً يؤمن العش فيأتي بقشة صغير فيضعها ثم يأتي بأخرى وبالتدريج يبني عشه فإذا اكتمل العش واصبح أمناً وضع بيضه لأنه لا يريد المخاطرة بأبنائه وتعريضهم للسقوط ، وهكذا يفعل الشيطان يبني عشه في صدر الإنسان ويثبته ثم يضع أبنائه.

هذا العش من الممكن أن يزيله الإنسان بسهوله وذلك أن يستدرك ويستغفر ، و لكن إذا باض الشيطان في صدر الإنسان سوف يصبح صدر الإنسان مرتعاً للشيطان يدخل ويخرج منه على راحته ، قول الأمير (ع) عن الشيطان أنه يبيض في صدر الإنسان مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرحْمن نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[١٣٨] القيض هو مكان البيض ، وحتى يقارنه الشيطان ويكون معه دائما فيدخل ويخرج يجعل له بيتاً يضع البيض فيه ، بعد ذلك يبدأ من المسائل الصغيرة مثل آلامبالاة بالناس ثم توهين المؤمنين أو محبة النفس .... الخ ، ثم بعد ذلك يجعل الإنسان يتعلق بتوافه الأمور حتى تكون شغله الشاغل ، فبعض الروايات تذكر حال بعض

---

[١٣٧] سورة الاعراف – مكية –آية ٢٠١

[١٣٨] سورة الزخرف –مكية –آية ٣٦

المحتضرين الذين يلقنونهم الشهادة وهم على فراش الموت أنهم يقولون للمحتضر : **قل اشهد أن لا إله إلا ا لله**) ولكنه لا يتشهد بل يطلب ممن يلقنه أن يرفع المال الفلاني أو يتحسر على الشيء العلاني ،والشيطان عندما يستقر لا يكتفي بالوسوسة في الصدر بل يريد أن تكون شريكاً له في الحرام وقريناً له أي مثيلاً فيبدأ من الإسراف والتبذير ،فهو يريدك أن تُعمل أيضا جوارحك ، يريدك أخاً له .

هذا التبذيرمفهومه أعم من التبذير المادي،فمنه الإسراف في إضاعة الوقت في اللهو في الكلام ، في الطعام ، في كل شيء، والناس تتساهل في مثل هذه المسائل التي هي أمانة ا لله عندها لأنها أصبحت عُرفاً عاماً عندهم حتى أنها أصبحت من الأمور الطبيعية التي لا يستنكرها أحدٌ ، الشيطان يريد من الإنسان أن يفكر بمنطقه ، لذلك يغذي الناس بفكرته ومنطقه الشيطاني ثم يرفع يده عنهم ويقول لمن أطاعه أصبحت مثلي فأنت غير محتاج لي أصبحت أنت شيطانا ، بل شياطين الأنس اعظم من شياطين الجن ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُم فَزَادَهُم إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلِ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِن اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطَانُ يُخَوِّفُ أَولِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُم وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾[١٣٩] الشيطان سلطته على أولياءه أن يجعلهم يفكرون بمنطقه فيعتقدون أن من حولهم هم المدبرين لأمرهم وينسون ا لله فقست بيوض الشيطان ونزلت وفرخت في حجورهم فاصبح نظرهم للكون نظرة شيطانية يرون أنفسهم في كل شيء فلو

---

[١٣٩] سورة آل عمران –مدنية –آية ١٧٣،١٧٤،١٧٥

تحدث شخص في موضوع اجتماعي ناقدا يقيس نفسه على هذا الموضوع فإذا كان هو مرتكب لهذا السلوك المنقود فهذا النقد خاطئ وغير صحيح وجائر ، و إذا كان النقد لا يمسه فهو صحيح ، هذا الشخص يسمع بآذان شيطانية ، في المسائل الاجتماعية التي تمسه دائما يبرر لنفسه تصرفاته لذلك القرآن يقول الذين ينطلقون ويثبطون المؤمنين هؤلاء ﴿ ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ، إذا اصبح منطق الإنسان شيطانياً اصبح شريكاً للشيطان شراكة مضاربة .

ماذا يعني شركة مضاربة ؟

شركة المضاربة هي أن يكون رأس المال من التاجر والعمل من الشريك وتكون المصلحة قسمة بينهما ، شركة الشيطان مع الإنسان من هذا النوع ، فهو لا يرضى إلا أن يكون رأس المال منه وهو الأوهام والخيالات الباطلة والاهتمامات الجزئية ، هو يعطي رأس المال والإنسان يعمل ويوم القيامة يُرجع الشيطان رأس المال والمصلحة على الإنسان ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُم إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[١٤٠] الشيطان يمني ويعد ، ويشارك برأس المال ثم بعد ذلك يكون الإنسان له قريناً فلا يحتاج أن يضع بيضه أو يهيئ عشه ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾[١٤١] .

عداوة الشيطان للإنسان لا تعني أنه يريد أن يُهلك الإنسان وماله وأبنائه ، إنما عداوته أنه يريد أن يذهب بحيثية هذا الإنسان ويخزيه ويذهب بماء وجهه أمام الله ورسوله والملائكة، كبعض الأمراض التي تسمى وباء والتي

---

[١٤٠] سورة الحشر - مكية -آية ١٦

[١٤١] سورة الاسراء-مكية -آية ٢٧

تذهب ببهاء الوجه مثل البرص والجدري ، الأمير(ع) يقول : [**الدنيا وباء**] الدنيا ليست مرضاً بل وباء يُنزلك من مقام الإنسانية والمعرفة إلى مقام الخزي أمام الله وأولياءه فلا يحترمونك ، ولكنه لا يصل إلى هدفه بشكل مباشر فلا يقول لك أكره الإلهيين والعلماء بل يستخدم طرقاً مختلفة ﴿ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَبِيَ وَالذِيْنَ أمَنُوا مَعَهُ نُورُهُم يَسْعَى بَيْنَ أيدِيهُم وَبِأيْمَانِهِم ﴾[١٤٢] في مقابل الخزي الذي بيد الشيطان .

إذاً من صغائر الأمور يبدأ الشيطان ، فمثلاً لو صاحبت إنساناً ما من أجل مصلحة مادية ونصحك ناصح أن تتخلى عن صداقته لبررت ذلك بانك لا ترى ضررا في هذا ، وأنك لن تتأثر به ، وهذا غير صحيح فأنت لا تستطيع أن تضع بينك وبينه حائلاً يمنع أفكاره من النفوذ إليك ، قد تقول أن هذا السلوك ليس حراماً ، من هنا كان الفرق بين الحرام عند الفقهاء والحرام عند العارفين ،الالتزام بحرام الفقهاء يدخلك الجنة ولكن هناك فرق عند العارف في هذه الجنة ،لأن هناك جنة المجانين وهناك جنة العارفين والعارف يريدك أن تدخل جنة العارفين لا جنة المجانين ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[١٤٣]

بعد أن يصل الشيطان إلى هذه المرحلة يسعى إلى ما هو ابعد من ذلك في سيطرته على الإنسان يسعى أن يحتنك الإنسان وذريته ﴿ لاحْتَنِكَنَ ذُرِيَتَهُ إلا قَلِيْلاً ﴾[١٤٤] وهذا يكون في المراحل الأخيرة ، لذا الشيطان يوسوس أولاً ،والوسوسة هي إلقاء الخواطر الرذيلة في النفس وهي مأخوذة من الصوت

---

[١٤٢] سورة التحريم- مدنية -آية ١٩

[١٤٣] سورة الصافات - مكية- آية ٦٢

[١٤٤] سورة الاسراء - مكية - آية ٦٢

الصادر من احتكاك الحلي ببعـــــضها ، فالوسوسة هي الصوت الـذي لا معنى له ، كالصائد الذي يهمس للفريسة حتى تقع في شـباكه ، فالشيطان يوسوس بأن يلقي بعض الخواطر الشيطانية الغير واضحة للإنسان ، ثـم بعـد ذلك يوحي ،و الإيحاء هو الإلقاء المرموز على نحو رمزي مجمل غامض ، ثم بعد ذلك يعد ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ ثم يخوفهم ويثبطهم عـن الأعمـال الصالحة .

الإنسان في أي عمر وفي أي وقت ، وأي طاقة بإمكانه مادام إنساناً مكلفـاً ومادام حياً أن يعــــود عن ماضيه الخاطئ ويرمم نقصه ويتكامل .

معنى اليأس من روح الله هو اليـأس مـن صـلاح النفـس ، أي عـدم التعلـق بإرادة الله ورحمته ، رحمة الله باب من أبوابه تعالى ، السجاد (ع)يقول : [**أنت الذي فتحت لعبادك بابا سميته التوبة ، فـــما عذر من أغفـل دخـول الباب بعد فتحه**] الإنسانِ عادة يراوده الأمل في الدخول من هـذا البـاب ، ولكن الشيــطان يحاول دائما أن يحول بين الإنسان واعتقاده هذا فيمنعه من استشعار رحمة الله الواسعة النافذة في كل شيء ،ويحاول أن يغفله عنهـا ثـم يعده ويواعده .بمعنى أنه يخوفه من الفقر من الدنيا من كل شـيء ،ولكـن إلى الآن لم يقع الإنسان في كل شباكِ الشيطان لا يزال المجال مفتوحا أمامــه أن يفك عقدة الشبك ويهرب ، كيفيه الوعد ليست مدار بحثنا الآن .

بعد ذلك يصل الإنسانِ إلى يأمره الشيطان فيصبح مطيعاً له ﴿ **ولأمرنهم** ﴾ وهذه المرحلة من المراحل المتوسطة في علاقة الإنسان بالشيطان ، فبعد أن يصبح منفذاً لأوامر الشيطان يحتنكه الشيطان ،ومعنى الاحتناك هو وضع اللجام في فم الدابة ثم الصعود على ظهـرها وقيادتها بواسطة هذا الحبل ، والشيطان يفعل ذلك بالإنسان فيحتنكه ويصعد على ظهره ويصبح قائدا

ووليّاً له ، ومراده أن يوصله إلى حافة جهنم فيتركه ، أما السقوط في باطن جهنم فهذا ما يفعله الإنسان بنفسه عندما تصبح كل جوارحه شيطانية ، منطقه ، عقائده ، طاقته كلها تحت سيطرة الشيطان ، عند ذلك سيخرج من ولاية الله إلى ولاية الشيطان ، وسيقول له الله ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُم إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرًا** ﴾[١٤٥] أي اعملوا ما تريدون ، نحن نقول هذا القول لشخص ما عندما نيأس من استجابته للنصيحة فنخلي بينه وبين إرادته يفعل ما يشاء ، والله عندما يقول لهم هذا وهو من كل ما في الكون خاضع لمشيئته معناها اليأس من رجوعهم إلى الله .

---

[١٤٥] سورة فصلت - مكية - آية ٤٠

المحاضرة الثامنة

كيف نفرق بين الخير والشر

كيف نفرق بين وسوسة الشيطان وبين خواطرنا الخيرة وأفكارنا ؟

هذه المسألة مهمة جداً وللتفريق بينهما نرجع إلى الموازين الكلية التي تساعدنا على التفريق في هذا الأمر وهي: أن الشيطان إما أن يؤثر في تصورات الإنسان أو في تصديقاته ،و التصور : هو الخيالات، والتصديق: هو الربط بين المقدم والتالي للوصول إلى نتيجة .

وهناك ميزانين لمعرفة خواطرنا هل هي متناسبة مع إيماننا أم أنها خواطر شيطانية ؟

مقدمة :

هناك من يقول أن الشيطان محجوب عنا لا نراه ولا نعرفه فلا نستطيع مقاومته ومعرفة أي شيء هو بالنسبة لنا وما هو تأثيره علينا ، والإجابة على هذا القول أنه ليس كل محجوب تصعب معرفته ، فأنت لو سمعت متكلما يتكلم من وراء حجاب تستطيع بإذنك الحسية أن تعرف جنس المتكلم ذكرا كان أم أنثى، عربيا كان أم أجنبيا بالرغم من وجود الحجاب ، قال الله لرسوله (ص) في شأن المنافقين ﴿ ولَتَعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القَوْلِ ﴾[١٤٦] لأن كل ما في باطن المتكلم يخرج على فلتات لسانه ، فإذا كان باطنه حسناً ونقياً ظهر

---

[١٤٦] سورة محمد-مدنية - آية ٣٠

هذا ، وإذا كان باطنه غير صالح فمهما حاول أن يخفيه خانه لسانه فأظهره ، فالأذن الحسية تعرف وتميز الصوت ، وكذلك من عنده حس إيماني وأذن إيمانية سوف يعرف المتحدث من هو ، هذه الخاطرة أو هذا الصوت أو هذه المنية هل هي من أماني الشيطان أم من أماني الإيمان ، لأنك كما ميزت الصوت الآتي من وراء حجاب وعرفت صاحبه سوف تعرف هذا الصوت صادر ممن .

حتى نجعل هناك سداً بين أمانينا وتصوراتنا وأماني الشيطان وتصوراته لابد أن يكون عندنا معرفة وعلم وإيمان يكونان حدا بين الأمنيتين فلا نتباطىء في القربات ، وسنعرف أي نداء نجيب ،و المراد من المستحبات أن يصغي الإنسان لأسرار نفسه ، ولعله لهذا قدمت صدقة الليل على صدقة النهار ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [١٤٧]، فالليل في القرآن موضع خاص ، فالذي يضبط نفسه في الليل يستطيع أن يأتي بأعماله في النهار بلا رياء .

في الليل ليس هناك إلا الإنسان ونفسه وكماله ونقائصه ، والذي يسمع أسرار نفسه سوف يكون في النهار على وضوح من أمره ، ورد عن الأمام الكاظم (ع) [**خير مطية للسفر إلى الله امتطاء الليل**] وهذا لا يدرك إلا بقيام الليل ، وإذا امتلك الإنسان هذا الحس والوجدان أدرك التصورات وأنواعها .

الميزان الأول :

للتفريق هو الوجدان فالشر لا ينسجم مع وجدان الإنسان وفطرته عن الرسول (ص) [**البر ما أطمننت به النفس**] البر تطمئن له النفس

---

[١٤٧] سورة البقرة – مدنية

كاطمئنان الأرض العطشى للمطر عندما يسقط عليها فتحتفظ بالماء في جوفها وتهتز وتنتعش بعد الارتواء فتثمر ، واستخدم القرآن هذا التشبيه للتعبير عن البر و صدقة الخير فالمطر حين يسقط على الأرض الصالحة وتتقبل هذا البر تهتز وتربو وتنتج من كل زوج بهيج ، أما الذين ينفقون أموالهم رياء الناس فشبههم بالأرض الصلدة ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ﴾[١٤٨] هذه الأرض صلبة عليها القليل من الرمل عندما يسقط عليها المطر لا يستطيع اختراق حجارتها الصماء عديمة المسام ، وحتى القشرة الرقيقة عليها تجرفها المياه وتعريها منها ، وكذلك الأعمال غير الصالحة تؤثر على الإنسان وتعريه من صلاحه فالرياء حرام لأنه يشتت هذه الحبوب التي وقعت على قشرة الرمل الرقيقة ويمنع الروح الصلدة من الانتفاع بالماء ، فلو كان في هذا الروح مسامات ربما تقبلت المطر وأنتجت ، ولكن لأن هذه النفس صلدة وقاسية لا تتقبل شيئا ولا المواعظ تؤثر فيها أو تنفذ إليها ، ولا حتى كلام رسول الله (ص) بينما كل عمل صالح يقوم به الإنسان مخلصاً لله يسبب أولاً طمأنينة في النفس فضلاً عن آثاره الخارجية .

ماذا تسبب الوساوس الشيطانية؟

الإثم ما حاك في صدرك] يستخدم الحائك للحياكة خشبتان متوازيتان بهما مجموعة من الخيوط ، وأثناء عملية الحياكة ترتفع إحدى الخشبتين وتنزل الاخرى، هكذا دواليك حتى تتم عملية النسج والحياكة ، والإنسان إذا قام بعمل آثم لا تقبله نفسه ، يحاول الشيطان أن يجبر هذه النفس على تقبل

---

[١٤٨] سورة البقرة - مدنية - آية ٢٦٤

هذا العمل ، الأمير (ع)يشبه ذلك [**لهن رقص على سويداء قلبه**] أماني الدنيا ليس فقط القلب لا يستقر ولا يطمئن بسببها بل لها رقص وتحريك كثير في وجدانه فلا يطمئن الإنسان لذا قال الرسول (ص) [**الإثم ما حاك في صدرك**] فلا تستطيع أن ترتاح في حياتك أو مع أقربائك أو في عملك أو نومك لأن الإثم يجول في صدرك ثم يقول (ص)[**و إن أفتاك الناس و أفتوك**] حتى إذا أفتاك الناس بأن عملك غير آثم فوجدانك ميز انك فمثلاً لو كنت في مجلس عام وتكلمت بكلام فيه توهين لأحد المسلمين واستفتيت العلماء هل هذا الكلام فيه غيبة أم لا ، قد يقول لك من سألته أنك كنت في مورد من الموارد آلتي تجوز فيها الغيبة ، ولكن قلبك يقول أن هذا غير صحيح لأنها وإن لم تكن غيبة إلا أنك تشعر أن هذا التصرف فيه نقص لمرؤتك لأن من يريد الكمال لا يبحث عن موارد الإباحة في الشرع بل يأخذ بوجدانه ولسان الشرع .

تجرأ أحد الأشخاص على أمير المؤمنين (ع) بكلام فيه إساءة له (ع) فأراد عمار أن يعظ هذا الرجل فقال (ع): **دعه فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما يكون عاذرا له في سقطاته**] ففي الدين بعض الموارد المستثناة التي تجوز فيها الغيبة وهذا لم يأخذ من الشرع إلا هذه الموارد المستثناة حتى يستطيع أن يبرر وتصبح له عذرا ، إذاً حتى لو أفتاه الغير فهو في وجدانه يشعر أن هذا العمل يجول في صدره وهذا الجولان دليل وميزان على أن هذا العمل غير صالح وغير مقبول وجدانياً، لأن الوجدان لا يكتفي بالحلال والحرام لأنهما ألف باء الإسلام ، لابد بعد ذلك من تركيب جمل وعبارات حتى يعرض بها الأفكار الإلهية .

كلما كان وجدان الإنسان أصفى وأنقى كلما كانت معرفته بهذه الوساوس ورفضه لها حتى لو أفتاه الغير بالصحة ، فما دام هذا العمل يجول في داخلك لابد من رفضه والابتعاد عنه ، هذا الميزان ضابط كلي يجب أن نقيس به أعمالنا من الصباح إلى الليل ، كل عمل تريد القيام به أعرضه على قلبك اولاً ،هذا هو العلم الحي الذي بلسان الروايات [**العلم حياة قلب البصير**] قلبه حي وبصير ، وانعطاف النفس ورفضها لهذا الجولان يثيب الله عليه حتى هذا الألم الذي تتألم النفس منه تثاب عليه ، وهذه من الموارد من الموارد المهمة في الروايات ،فإذا حزن القلب على عمل حرام قام به [**وبحثت عن نور القلب فما وجدته إلا في الحزن والبكاء من خشية الله**] ثواب رفض النفس وحزنها أكثر من الأستيناس بالأعمال الصالحة ، لأن رفض النفس يعنى أنها ليست تحت سيطرة إبليس وليست تحت أمانيه ووساوسه.

الميزان الثاني :

هو العقل والراويات والشرع ،وجعلت هذه الثلاث في مقابل الميزان الأول الداخلي (الوجدان) الذي يعتمد على المعرفة والبصيرة فالميزان الثاني علوم تساعد الإنسان على تشخيص الفضائل من الرذائل ، فإذا خرج الإنسان عن ولاية الشيطان ،لم يعد يستطيع التأثير فيه لأن الشيطان كما قلنا يتحرك في حد الوهم ولا يستطيع الوصول إلى الأماني الكبيرة ، فعلومه في حدود الطبيعة والأماني الباطلة ، لا يعرف الأماني الخيرة حتى يصل إليها ، فحباله اقصر من أن تصل إلى هذه الأماني الكبيرة .

علماء التفسير عندما يتحدثون عن حدود سيطرة الشيطان على تصورات الإنسان يقولون أن وسائله محدودة ،وهي المال، الأولاد ، الدنيا ، الطبيعة ،

والذي لا يعرفه الشيطان هو الأماني الكبرى للإنسان من معرفة الله ،و الإخلاص فهذه الأماني مرتفعه لا تستطيع يده الوصول إليها فيصبح كالطفل الذي وضعت لعبته في مكان مرتفع لا تطاله يده فيحاول ويحتال للوصول إليها ومع ذلك لا يستطيع لأن هذه المداخل إلهية ممنوع على الشيطان الوصول إليها ، ربما يقال كيف يدخل الشيطان في الأعمال الصالحة في كونها رياء ، وإجابته أنه يدخل من جهة الوجاهة والجاه والرفعة ، وهذه ليست مطالب إلهية .

وحتى نعرف ما هي المطالب الحقيقة التي يجب أن يطمع إليها الإنسان ولا يصل إليها الشيطان ، إما نرجع للوجدان أو نرجع إلى لسان الوحي و القرآن فنطرد الشيطان ونلجاء إلى الله تعالى ، واللجوء هو الدخول الواقعي في الملجاء (معنى الاستعاذة هو كثرة ذكر الله) وهذه تسبب الدخول في الملجاء الإلهي ، عندها سنكون تحت ولاية الله ، ومن يكون تحت ولاية الله رجلاً كان أم امرأة إذا كان وجدانه أصفى و خوفه من الآخرة أكثر ومحبته للإخلاص والورع أكثر كلما كان ابعد عن يد الشيطان.وهذا ما سوف نلاحظه عند حديثنا عن العقل العملي في الدروس القادمة .

الإرادة والتصميم هما العقل العملي فإذا اتحد في الإنسان العقل العملي والوجدان سوف يؤثران في كل أعمال الإنسان ،بمعنى أن العلم ليس دائما مؤثر في الإنسان ، لو انعطفت النفس على المواعظ وكان هناك علم وتصميم قوي سوف يكون الخروج من سيطرة إبليس اكثر إمكاناً والدخول في ولاية الله اكثريسرا .

إبليس ليس موجوداً خارجياً عن ذاتنا في نظر العرفاء إنما هو مرحلة دنيا من مراحل وجودنا ، إبليس هو أمانينا التافهة ، هو اهتماماتنا التي لاتؤثر ، هناك أماني كبار يوجهنا لها الإسلام وهي الأماني الملائكية التي لا حد

ولا حصر لها ،هذه تريح قلب الإنسان عندما يجزم الإنسان بهذه المسألة المقطوع بها شرعا وعقلا ووجدانا ، وأنه مكلف ومخاطب من قبل الله وأنه مشرف من قبل الله (المكان المرتفع من البيت يسمى شرفة) عندها كل تكليف كما يقول العرفاء تشريف ، كالملك عندما يكلف أحد رعاياه بأمر ما ففي هذا تشريف له .

كلما الزم الإنسان نفسه أكثر بتكاليف الله وطاعته كلما كان اشرف وافضل واستخلصه الله لنفسه ، الأمير(ع) يصف امثاله (**قد أخلص لله فاستخلصه ، فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه ، مصباح ظلمات ، كشاف عشوات ، دليل فلوات ، يقول فيفهم ، ويسكت فيسلم**).

الحس والإدراك والوجدان من مميزات العقل العملي غير ناظرة للذكاء وحدة الذهن والقدرات العقلية ،ربما يكون الإنسان لا يستطيع أن يبين ألم نفسه ولكنه يجد هذا الألم ، كلما كُمل العقل العملي أكثر عرف كيف يضع الأمور في مواضعها ويكون تحت ولاية الله فإما أن يكون خليفة لله ويكون في أرفع الأماني فهو قد دنى فتدلى فيكون قاب قوسين أو أدنى ..دنوا واقترابا من العلي الأعلى ، أو يكون خليفة الخليفةِ أو في طريق خلفاء الله ومادام الإنسان لم يحتنكه الشيطان فهناك مجال أن يصل ، وإذا ثبّت الإنسان نفسه لم يستطع الشيطان أن يزله كالنبتة تزرعها في الأرض وتسقيها لتثبت وتضرب بجذورها في الأرض ، فكل عمل يقوم به الإنسان من البر يجعل بذوره في داخل نفسه ثم هو بنفسه هذه البذرة عندما ينفق ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ﴾[١٤٩] لا يزله الشيطان ، الشجرة التي نريدها أن تقوى

---

[١٤٩] سورة البقرة - مدنية - آية ٢٦٥

لا تتأخر في سقيها لأنها كلما شربت ماء ازدادت صلابة ووقفت على أرض الإيمان ، ولا تكون كمن بنى على شفا جرف هـــاو فانهار به في نار جهنم .

إذاً الوساوس لا نرتاح لها والأماني الباطلة لا تنسجم مع الشرع وإذا أكتمل الإنسان في هاتين سيكون في مقام خلافة الله التامة وإن لم يكن في مقام التشريع أو النبوة .

الروايات تطرح الزهراء (ع) كمثال للمرأة التي اكتملت في الدنيا والبرزخ والمعاد بل أن هذا الكمالالذي وصلت إليه يحتاجه الأنبياء ، فعلاوة على أنها معصومة (ع) كل أمر أو عمل يصدر منها إنما يكون من الله ، هناك مَن يناقش في خروج الزهراء (ع) للمطالبة بحقها وحق الأمير (ع) بعد وفاة النبي (ص) فيقولون لماذا خرجت الزهراء و لم يخرج الأمير عليهما السلام ؟ الزهراء (ع) عندها ولاية تامة مستقلة ، ليس هناك شرع تطبقه الزهراء ، الزهراء موجدة للشرع ومُنشأة له ، فالشرع هو قول الزهراء فالفقهاء يستفيدون من قولها وعملها وتقريرها فتاوى وأحكام فقهية ، هذا في الدنيا ، أما في البرزخ فالصادق (ع) اخبر أحدهم رواية وهي [**أن كل من يموت من شيعتنا يرى الزهراء حتماً**] لأن كل من يموت يرى الحقائق الواضحة المسئول عنها مسألة أكيدة ، فبعد أن تنقطع الأسباب ويرى أن المسبب واحد و يرى وجود اللـــه سيرى الرسول (ص) والأمير (ع) والزهراء (ع) ، كل من يموت من الموالين سوف يعرف الزهراء باسمها ورسمها وشكلها في البرزخ ، أما في يوم القيامة فينادي المنادي (**يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد (ص)**)ما معنى هذا ؟

يوم القيامة لا يوجد حرام وحلال وليس هناك حجاب أو غض بصر كل هذه التكاليف ترتفع " المقصود من الرواية أمر تكويني لا شرعي بمعنى أنها

لها مقام كلما نظرنا إليه تنكسر قوانا البصرية أمام نور الزهراء (ع) ، كشعورنا بالعجز والتصدع الذهني أمام بعض الأمور العلمية التي لا نستطيع استيعابها ، كذلك في المطالب العرفانية ك[**لا يبقى ملك مقرب و لا نبي مرسل ولا صديق إلا عرفهم جلالة أمركم**] لم يشرع لهم إنما هو أمر تكويني فهم لا يستطيعون رفع أبصارهم وهذا معناه هيمنة الزهراء على ساحة المحشر ، تتمة الرواية [**فتجوز فاطمة بنت محمد وعليها عباءة تنتشر على ساحة المحشر وكل من في المحشر يستفيد من أسلاك هذه العباءة**] رحمة الله وسعت كل شيء ومن تكتمل فيه أسماء الله فرحمته وفضله وشفاعته سوف تتسع كل شيء ، لسان الرواية يريد أن يقول لأن فاطمة اكتملت فيها هذه الولاية ، تتمثل كعباءة ورداء فيه أسلاك كثيرة ، والسلك هو الخيط الرفيع المبروم مع غيره من الأسلاك ليشكل خيطا واحدا ، الرواية تقول لو انك أمسكت بسلك واحد مما ترتديه الزهراء فستشملك شفاعتها التي تنتشر على من في الساحة لأنها مظهر من مظاهر رحمة الله التي وسعت كل شيء ، نحن لا نبالغ إذا قدسنا آل البيت وقبلنا أعتابهم لأنهم مظاهر لأسماء الله .

الوصول إلى هذه الرحمة الإلهية لا تقتضي الذكوريه أو الأنوثية ، لأنه ربما بالأنوثية يكون الوصول إلى هذه الكمالات أسرع وأنسب لاسيما إذا اتخذت المرأة أسلوباً مناسباً مع البعد عن الحدة والقسوة و الأخذ بطهارة النفس وصفائها لو قال قائل أن هذا المقام لا تصل إليه إلا الزهراء (ع) لقلنا أن هذا قول مرفوض بدلالة القرآن وآياته والروايات ، وإلا ماذا يعني أن يكلف الله الإنسان ؟

معناه أن الطريق مفتوح ، نعم ربما يقول قائل لا يوجد في الكتب أسماء لنساء وصلن إلى هذه المقامات ،ونرد عليه أننا:

١- لم نطلع على معشار عشر الكتب الموجودة

٢-أن المجتمع الإسلامي لم يصل في حين من الأحيان إلى مستوى المجتمع الذي أراده الله ، و لم يصل إلى الرشد الذي نستطيع فيه أن نقارن بين الرجل والمرأة ومدى اكتمال كل منهما ، الشيخ جوادي يقول : الحسينيات ظلمت المرأة ، وكذلك المساجد ، كل الناس ظلموا المرأة لأنه خلال العصور السابقة كان الظلم الاجتماعي يسحق المرأة ويهمش دورها في الحياة ويقيد خطواتها ، ولقدجادل أحد الشيوخ من الطلاب الشيخ جوادي بخصوص هذه المسالة وهي أن النساء ناقصات عقل عدة مرات فقال له الشيخ لو أحضرنا مجموعة من النساء من طالبات جامعة الزهراء ممن وصلن إلى الصف السادس وقارنا بينهن وبين مجموعة من الشيوخ ممن وصلوا إلى نفس المرحلة العلمية سنجد أن النساء أكمل وان لم يكن أكفاء فهن بالتأكيد لسن بادون.

بعد انتصار الثورة في الجمهورية كان من فضائل الإمام الخميني إعطاء صورة واضحة عن المرأة وقدراتها وحقوقها وقدرتها على العطاء والتضحية ، ثورة الإمام ألقت الضوء على قدرات المرأة في التكامل وأن الأنوثة ليست حائلاً بل ربما تكون سببا لسرعة الوصول والتكامل لرفع بعض التكاليف عنها مما يجعل صفاء النفس عندها أكثر ، العلماء العرفانيون يتعبون كثيرا حتى يقطعوا مراحل الوصول ولكن لو أخذنا أي امرأة لمدة سبع سنوات مثلاً وأعطيناها دروساً وعلوماً في العرفان بشكل مبرمج للاحظنا فرقاً كبيراً جدا في سرعة الوصول بينها وبين الرجل .

لا يجب أن نجعل التاريخ المظلم مقياسا للواقعيات ، الواقعيات لا تقاس بالواقع والتاريخ ، فالواقع الذي نعيش فيه ليس واقعاً إلهياً ومن يعتقد هذا فهو قد جعل الدعوى عين الدليل (هذا يسمى مصادرة) أن ندعي أن المرأة لا تتكامل بدليل أنها لا تتكامل ، الواقع المفروض أن يعاش يؤخذ من

القرآن وما يريده القرآن ، لو كنا في مجلس يضم مائة رجل ومائة امـرأة ثـم طلبنا تبرعا للمحتاجين ترى من يعطي أكثر ؟ ولـو قرأنـا رثـاء علـى الإمـام الحسين (ع) من يتفاعل أكثر؟ ولو قرأنا شعراً عرفانياً من ينجذب إليه أكـثر ؟

ستكون النتيجة أن المرأة اكثر تعاطفاً مع الأحـداث وتفـاعلاً وتـأثراً وأكـثر إبداعاً، لأن الحجاب بين العقل العملي والنظري لدى المرأة أرق منـه لـدى الرجل ، وإذا كان الحجاب رقيقا سوف يكـون الوصـول أسـرع والامتثـال أكبر .

المحاضرة التاسعة

الولاية و العصمة

ما الفرق بين مقام العصمة و مقام الولاية ؟

العرفاء يفرقون بين مقام العصمة ومقام الولاية ، فالعصمة التكوينية التي هي مدار حياة أهل البيت هي أن الشيطان لا يتصرف حتى في تصوراتهم البسيطة فضلاً عن تصرفه في عقائدهم وأعمالهم وكلامهم بالرغم من الشيطان مسلط عليهم أكثر ويقصدهم بالعداء قبل غيرهم ويحرص على إغوائهم ، فهم في حد ارفع من أن ينالهم الشيطان .

العصمة : هي الامتناع التام عن الخطيئة ولو تصوراً ولو في مستوى الميل والرغبة.

الولاية: غير العصمة ﴿ أَلاَ أَنّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلاَ هُم يَحْزَنُونَ ﴾[150]

الولاية فوق مستوى الإيمان والتقوى ، أن يكون الإنسان ولياً لله هو أن لا يأتي بعمل من اجل أي ميل في نفسه بل من اجل ميولاته الإيمانية ، فكل أعماله وتصرفاته خاضعة بشكل مباشر لأوامر الله ونواهيه ومحبة الله وبغضه ، ولي الله لا تظهر على يديه المعاجز ولكن ولي الله تظهر على يديه الكرامات ،الكرامة والمعجزة من جهة واحدة أمر واحد ، ولكن

---

[150] سورة يونس - مكية - آية ٦٢

الغرض منهما مختلف ، فالغرض من المعجزة إثبات نبوة هذا النبي أو هذا الإمام ، لكن الكرامات تظهر على أيدي أولياء الله الصالحين.

من الجوامع الروائية والآيات نفهم انه لا يشترط في الإنسان مقاما في حد العصمة حتى يصل للولاية والكرامة ، في سورة ياسين آيات عن رجل مؤمن ولي لله ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾[151] وبعد أن قتل واستشهد انعم الله عليه ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[152] الكرامات لا يشترط فيها مقام العصمة ، الكرامة أن يكون للإنسان قدرة أن لا يخضع لحد الطبيعة ، وان تكون إرادته أقوى من الطبيعة وهذا لا يشترط فيه غير أن يكون ولياً لله .

ربما نحن لم نرى بيننا أولياء لله ، ولكننا نعرف أن الله يحفظ الأرض عن أن تميد بأهلها بأوليائه ، وظهور الكرامة من لوازم الولاية ، السيدة الزهراء (ع) تظهر على أيديها المعاجز لأنها تتمتع بمقام العصمة ، ومادام الإنسان مكلفاً فالطريق مفتوح امامه ، ليس هناك تكليف شرعي ليس فيه مصلحة أو ملاك ،إذا قلنا أن هذه المصلحة مثلاً هي التي جاء بها في تلك الصلاة فيكون معنى ذلك ان هذا الإنسان لم ترتفع درجته لأن الله رفيع الدرجات ، فالله دائما بصدد رفع درجات المؤمنين ، يعني كل اسم من أسماء الله يتطلب ظهورا وله اثر .

هناك أسماء مجازية وهناك أسماء لها أثار واقعية تؤخذ الأسماء من أثارها ، أي عندما رأينا أن الله يرفع درجات الناس قلنا أن الله رفيع الدرجات ، وليس

---

[151] سورة ياسين –مكية – آية ٢٠،٢١

[152] سورة ياسين – مكية – آية ٢٧

هناك درجة معينة تقتضي أن يبقى الإنسان فيها ، نعم ربما الإنسان لا يسعى لأن يغير نفسه ، ربما لأنه ليس تحت ولاية الله ، ولكن الله تعالى كل يوم هو في شأن ، ما معنى هذا ؟

معناه أن كل أفعال الله فيها تجدد ، كل يوم فيه دعوة كل وقت كل لحظة، الله يريد باستمرار أن يرفع درجات المؤمنين ، رفع درجات المؤمنين مسألة غير محسوسة بالحس الظاهري ، ولكن تدرك بالشعور والوجدان والقلب ، إذا قلنا أن الإنسان ليس بصدد رفع درجاته وتغير نفسه وتبديل معائبه ، هذا الإنسان ليس فقط لا يمكن أن يصل إلى مقام الزهراء لأنه ينكر أن الله رفيع الدرجات ، رفيع الدرجات يعني يوميا يرفع الدرجات ، رفع الدرجات مسألة غير محسوسة ، مثل أن الله رحيم حتى يروي هذه الأجساد بالماء ، كما أنه وضع أثر الماء في الماء وهو الارواء ، كذلك وضع أثر رفع الدرجات في الناس ، ومادام الإنسان في صدد معرفة أسماء الله وطاعته فهو يعمل طبق هذا الاسم الذي هو رفيع الدرجات ، لأن الأسماء الجلالية والجمالية لله تعالى ذات أبعاد واقعية ، لذلك فالطريق دائما مفتوح .

العرفاء يقولون : ليس هناك تكليف إلا فيه إشارة إلى أن الطريق مفتوح والواجبات والمستحبات هي آلف باء مقصود منها غرض معين حتى تصل إلى هذه المقامات المرتفعة ، بالضبط كما أن دركات جهنم يصل إليها الإنسان بتكرار أعماله غير الصالحة ، وكذلك الدرجات الواقعية للمرتبة الإنسانية يصل إليها الإنسان بالعمل الصالح، وإلا إذا قلنا ليس هناك رفع لهذه الدرجات وهناك حد محفوظ للمعصومين وحد محفوظ لنا فهذا غير صحيح ولا يطابق فهم الأصوليين والفقهاء ولا العرفاء ولا القرآن ولا الروايات .

فمثلاً من مجا ميع هذه الروايات نفهم أنه ليس العيد هو يوم العيد ،العودة إلى الله هي العيد الدائم كل يوم للمؤمن عيد ، وكما أنه يجب أن نظهر جوانب المسرة والفرح في العيد ، كل يوم ترتفع فيه درجات المؤمن ولا يعصي الله فيه هو عيد له ، ورفع الدرجات ليس له حد محدود لأن الله دائما رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح على من يشاء .

والملائكة التي تتنزل على المؤمنين ليست التي هي نفسها التي تتنزل على الأنبياء والأئمة والدليل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[١٥٣] هل تتنزل الملائكة عليهم عند الموت ؟

كلا ، هناك مقابلة بين عمل الشيطان الذي يعدكم الفقر ونزوله على الإنسان، وبين عمل الملائكة التي تتنزل على المؤمنين وأولياء الله بقدر إيمانهم .

الملائكة تنزل على الجميع عند الموت ،و في حياة الإنسان المؤمن باعتبار أن لكل ملاك مقام معلوم وحد معلوم فهو مسئول عن شيء ما في الكون لذالك الكون من حولنا يعج بالملائكة التي تسير الكون.

هناك كلمات تقذف في القلب نوعاً من الانعطاف على الله مثل الموعظة ، وأثر الموعظة هو انعطاف النفس عن مشاغلها إلى شاغل واحد ، وهذا لا يحصل بسماع الكلام فقط لأننا نتكلم بالموعظة في مجلس واحد فيه العديد من الأشخاص ونلاحظ أنه يؤثر في البعض دون البعض الأخر ، فمن الذي احدث هذا التأثير ؟

الإنسان أحيانا يريد أن يعظ نفسه فلا يستطيع ، ونحن أحيانا نذهب إلى مجالس الدعاء ونريد أن نتأثر بالدعاء ومع ذلك لا نستطيع ، هذه المسائل

---

[١٥٣] سورة فصلت - مكية -اية ٣٠

والخواطر الإيمانية هذه الانصراف تسمى حياة العلم (حياة قلب البصير) هذه الملائكة هي التي تثير في الإنسان هذة الجوانب الخيرة فيميل إليها .

نحن كما قلنا نسمع المواعظ ونريد أن نتأثرولكن لا يحدث التأثر فنتأ لم لماذا لا نتأثر ، المسألة تحتاج إلى شيء خارجي يؤثر فينا الأمام علي (ع) [**عرفت ربي بفسخ العزائم ونقض الهمم**] عرفت أن في الكون مؤثر غيري يؤثر في إرادتي وعرفت أن هناك من يتصرف في نفسي أقرب من إرادتي لنفسي وبأن هذا الكون له محرك ومدير ، وعرفت أن هناك إرادة لله لها سيطرة على ما اعزم ، وعرفت أن في داخلي أشياء كثيرة هو المحرك لها ، والله كما يحرك الأشياء مباشرة له وسائط ايضا يقومون بالتحريك ، وهذه الوسائط هي الملائكة التي سجدت للإنسان و سجودها ممتد من ذلك الحين ، وسجود الملائكة إشارة للمقام الإنساني لآدم (ع) الذي علمه الله الأسماء كلها ، وهذا يعني أن شغل بعض الملائكة أن تعرف الإنسان كما أن الشيطان يعدكم الفقر فالله في المقابل يعدكم مغفرة منه ورحمة .

وهذا ليس في القرآن فقط لأن الله مع العوامل الخارجية المؤثرة يوجد عوامل داخلية و يتصرف مع الأمراض الداخلية بإصلاحات داخلية فالشيطان يعد من الداخل والله يعد من الخارج .

من أدق الالتفاتات التي أشار لها الشيخ في تعامل الملائكة مع الإنسان هذين الأمرين ، الشيطان له القدرة أن يعدكم ويتحدث في أنفسكم ، والله يعدكم مغفرة منه فكما أن له سبحانه مواعظ وهداية ففي القرآن صوت الهي يعد كل إنسان بالمغفرة ، ويجب على كل إنسان أن يسمع وينعطف لهذا الصوت حتى يُحيي هذا الصوت ، وعندما يحيي هذا الصوت يكون هو العلم الذي يقتضي أثرا معينا ، لا كل علم .

العلم ليس علة لجميع المعلومات فليس له أثر واقعي، العلم هو تهيئة الأرضية الضعيفة وجعلها تستعد للتلقي، الذي يؤثر هو هذا الانعطاف الدائم لسماع هذا الصوت ، علماء الأخلاق والعرفان عندما يكون عندهم شفافية ورقة في تربيتهم للأشخاص يعرفون نقاط القوة والضعف التي في هؤلاء الاشخاص فيقومون بتربيتهم بنوع من الإيحاءات المعينة والبرامج الصحيحة حتى يستطيع الإنسان منهم أن يسمع هذا الصوت، عند ذلك سوف يكون واقع تحت تربية العلماء ثم الملائكة ثم مباشرة تحت تربية الله تعالى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[١٥٤] السيد صاحب الميزان في تفسير هذه الآية في كتاب الولاية كشف فيها كيف يصل الإنسان إلى هذه المرحلة فيصرف ذهنه وروحه ويكون لديه قابلية حتى يكون وليا لله ، ومن يدخل في حد الولاية ليس له حد معين لأن كل عمل عبادي لا يجدد ما مر لأن تحصيل الحاصل محال ، إنما يحصل حصيلة جديدة ونحن حتى نحافظ على إيماننا يجب أن نصلي خمس مرات وأن نعمل كذا وكذا ، أما أولياء الله لا يحافظون على حال فهم دائما في حالة تغير وارتفاع ، ونحن نتعب حتى نحافظ على حالنا ، هؤلاء ليسوا بهذا الصدد لأن الله رفيع الدرجات يلقي الروح ، ولأن إلقاء الروح وتنزل الملائكة وسماع أصواتهم ليس مشروطاً بشيء لا بالنبوة ولا بالعصمة إنما بالسعي والتوجه والاخلاص فهم يسمعون الصوت وتتنزل عليهم الملائكة .

الوصول إلى المقام العرفاني يحتاج لمقدمات كثيرة ، فكما أننا نعتقد بالمسائل الظاهرية التي نراها بأعيننا فكذلك هناك مسائل لا نراها لأننا لم نتعلم على

---

[١٥٤] سورة المائدة -مدنية - آية ١٠٥

هذه الأعمال مثل أن (النمل يتكلم ، وعرش بلقيس ينتقل بلمح البصر)
ولي الله لو شاء أن يقلب الأرض سماء والسماء أرض فهذا غير محال بالنسبة
له ، لأنه الإرادة ذات الحدود ألا متناهية ، والإرادة مثل التصور لا حد له ،
فمثلاً هل يُتعب تصور البحر أكثر مما يُتعب تصور الماء في الكأس علماً
بوجود فارق كبير بينهما ،إرادة أولياء الله الصالحين في الأعمال الكبرى
مثل إرادتهم في الأعمال الجزئية لا فرق .

إذاً هناك الخليفة الكامل والطريق مفتوح أمامه دائما وهذا معناه انه ليس
هناك حد معين لخلافة الله حتى يستفيد الإنسان من هذه الخلافة ، وهذه
دعوة كل الآيات والروايات ووصية كل الأنبياء والصالحين ، المسألة أنها
تحتاج إلى إرادة ورغبة واقعية وهمة عالية وتعلق واقعي ، لذلك في السير إلى
الله يقطع الإنسان ملايين المراحل وهو في مكانه لأنه إذا أراد وعزم وجزم
وأراد واقعا هذه المسألة تتحقق بالفعل .

إذا كان للزهراء (ع) ولاية في الدنيا والبرزخ فليس معنى هذا أن غير
الزهراء ليس له مقام الولاية التكوينية وأنها تختص بهم (ع) لكن جزء من
الولاية الكونية مشترك كما في قصة بلقيس فولي الله قال ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ
الجِنِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ
عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ
هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِي ﴾[١٥٥] أولياء الله إذا صار عندهم نعمة يلتفتون إلي أنها
لطف وعطف من الله فينشغلون برحمة الله ولطفه ، الذي يفرح بالنعمة
ليس ولياً لله لأن الولي ينشغل بهذا اللطف والرحمة ويرى أيادي الله الحنان

---

[١٥٥] سورة النمل – مكية – اية ٣٩

المنان الباسط اليدين بالعطية ،اولياء الله ينشغلون بهذه الأسماء ، ينشغلون بالمعطي لا بالعطاء ، ونبي الله لاحظ يد الغيب التي امتدت إليه فشكر الله وهذا المعنى موجود في الآيات كلها .

في قصة إبراهيم (ع) ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١٥٦] فيه التفات من قبل الله لإبراهيم ، وحياءُ إبراهيم من الله وعدم إعطاء إبراهيم لنفسه الأحقية إلى أن يتلقى من الله اكثر من هذا لأن الله خاطبه بشكل مباشر ، فلم يقل أسلمت لله أو أسلمت لك ، بل عد نفسه من ضمن المخلوقين كأنما استحى أن يكون الوحيد المتكلم مع الله ويمد هذا الكلام لفترة أطول ويمتد هذا الحوار لأنه ألتفت إلى أن هناك اختصاص من الله لإبراهيم (ع) فلم يرى نفسه شيئا واستحى وعدّ نفسه من العالمين ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ كان الخطاب من الله له مباشرة وكان ذلك يقتضي إجابة مباشرة منه ،ولكنه(ع) لم يستطع والمثال العرفاني لتصرف إبراهيم أن الإنسان إذا كان عنده محبوب وهو غارق في حبه فقلبه لا يحتمل اللقاء الطويل معه لأن المحبة ظرفية معينة .

عندما يكون قلب الإنسان (نبي الله إبراهيم) المنشرح هذا الانشراح عندما لا يتحمل محبة أكثر من قبل الله فإنه يموت ﴿ لو أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[١٥٧] فقط قلب رسول الله(ص) هو الذي يتحمل لقاء طويلا ، يتحمل محبة أكثر وإلا اي نبي لو أنزل عليه القرآن لتصدع ، وأي ولي كذلك تصدع ، لعل عدم القبول من إبراهيم أن يطول الحديث بينه وبين الله أن يهلك بهذه المحبة وهو خليل الرحمن .

---

[١٥٦] سورة البقرة – مدنية –آية ١٣١

[١٥٧] سورة الحشر – مدنية – آية ٢١

ليس معنى ذلك أن الولاية ذات حد معين أو مقام معين بل كل ما يسمع الإنسان من القرآن اثر نفس هذا السماع يُسبب استعداد الملائكة،والعلماء الإلهيين يهيئون هذا الاستعداد والأرضية المساعدة وتبقى العلة الأخيرة التي عليها الثواب او العقاب هي إرادة الإنسان .

****

وردت أسئلة من الأخوات الحاضرات تتعلق بالمحاضرة رأينا إدراجها في البحث لأهميتها :

السؤال الأول :

ذكرتم اله ليس باستطاعة الإلسان أن يتأثر و إن أراد ذلك فما معنى هذا ؟

الجواب :التأثر بالمواعظ مسألة وجدانية يحسها الإنسان فإذا كثرت ميولاته الطبيعية في الدنيا كان لها امتداد طويل في نفسه حتى إذا أراد إرادة عقليه لم تنزل إلى حد قلبه ، وأصبحت في مستوى المقابلة مع تلك الميولات فلا يستطيع التأثر بالموعظة .

التأثر بالموعظة ليس عمل الإنسان نفسه ،لكن له جزء منه وذلك بحضور الدروس مثلا بمجالسة الصالحين بالإرادة ، لكن الذي لا يتحقق التأثير الواقعي النهائي لأنه إذا ملاء قلبه وتعلقا ته بمشاغل كثيرة لفترة طويلة جدا وهو الآن في مقام البحث عن الموعظة لن يتأثر في البداية بل سيحتاج إلى وقت طويل يحرم نفسه من بعض الملذات والتعلقات ويري الله صدقه والله

سوف يساعده بالتأكيد لأن هذا عمل مقلب القلوب من بيده قلب الإنسان.

****

السؤال الثاني :

قلتم قلب الرسول لا يتصدع إذا نزل عليه القرآن ونحن قلوبنا لا تتصدع إذا قرأنا القرآن فما معنى هذا؟

الجواب:عدم تصدع قلب الرسول يختلف عن عدم تصدع قلوبنا ، نحن قلوبنا لا تتصدع لأننا لا ندرك معاني القرآن لو أدركنا لتصدعنا ، مثله لو أن جمعا من الناس جاءهم شخص واخبرهم أن بيت فلان يحترق ،كلهم سمع الخبر ولكن صاحب الدار هو الذي تتصدع روحه ، رسول الله هو صاحب الرسالة ولكن لأنبساط روحه يدرك ولا يتصدع ولا يضطرب لأنه متعلق بما أدرك وهو مثل الجبل في الصلابة ، ليس هناك الطف من القلب ، والقلب لا يضرب الجبل مثالاً له أبدا ، مع هذه الرقة التي في قلب كل إنسان بمختصاته وتعلقاته لرسول الله رقة في القرآن لا تدرك ، يقول هذا القلب الذائب من هذه الرقة هذا القلب الذي يهلك نفسه من اجل الكفار ، هل هناك أرق من هذا القلب ؟

هذا القلب آية واحدة كفيلة بإهلاكه لكنه قلب رسول الله .

هذه الآية يستحب قرأتها في نافلة المغرب ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ الذي يعرف هذه المعاني كيف لا يتصدع بقية الأنبياء يصدعون - كما أن القرآن مهيمن على الكتب السماوية - كذلك رسول الله مهيمن على الأنبياء وله القدرة القلبية والروحية في الهيمنة عليهم لذلك لا يتصدع لأنه أقوى على التحمل .

المحاضرة العاشرة

عقل المرأة وعقل الرجل

هل هناك فرق بين عقل المرأة وعقل الرجل ؟

يقال أن عقل الرجل اثقل وأن هذا واضح من قدرة الرجل على الربط بين القضايا الخارجية وبين المقدمات والنتائج والإنشغالات الكبار اظهر عند الرجال منها عند المرأة فهل الرجل أعقل ؟

الجواب على هذا يطول .

أولا :أي شيء هو العقل عند الشرع ؟

العقل عند الشرع في الروايات يعبر عنه بنحوين أحيانا يقصد به القوة الذهنية والقدرة على الربط وعلى إدراك المقدمات والنتائج ، أحيانا يعبر عن العقل بما يقابل الجهل ، كتب الأخلاق تقول كتاب العقل والجهل ولا يقولون كتاب العلم والجهل ، فالعقل في الروايات لا يقابل الجنون .

هناك عالم ومجنون و هناك عاقل وجاهل .

العلم والجهل ليسا نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان في مورد واحد وكذلك الضدان والملكة والعدم ، العلم والجهل يمكن أن يجتمعا في مورد واحد الأمير (ع)يقول [**كم من عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه**] عندنا علماء

ولكنهم جهلاء ،وهناك أناس ليسوا بعلماء ولكنهم عقلاء ، لأن العقل ضد الجهل وليس العلم .

العقل الشرعي الذي يثيب الله عليه [**العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان**]، قيل للأمير (ع) : صف لنا العاقل ، قال (ع) : **هو الذي يضع الأشياء في مواضعها**] حتى نتصف بالعقل فنتكلم وقت الكلام ونسكت وقت السكوت ونبادر وقت المبادرة حتى يكون عندنا هذا الحال يجب أن نضع الأشياء في مواضعها ،ووضع الأشياء في مواضعها يحتاج إلى تشخيص الموضع ، ثم الوضع ، مجرد التشخيص بلا وضع الأشياء في مواضعها ليس بعقل ، فلو أن إنسانا ما يعرف أن الموقف الفلاني يستلزم الحزم مثلاً فيحتاج في هذا الموقف أن يؤدب طفلاً اساء التصرف بشكل حاد وحازم ولكنه تأخذه الرقة عليه فلا يكون حازماً سيكون قد اخطاء في حق هذا الطفل وجنى عليه ، فمثل هذا يعرف الحكم ولا يشتبه حتى في المتشابهات فهو يملك حساً داخلياً ولكنه لا يعمل به هذا عالم وليس بعاقل يستطيع أن يشخص لكن لا يعمل بما شخص ، هذا عنده قدرة ذهنية على الربط بين المقدمات والنتائج ولكنه لا يستفيد من هذا الربط.

العاقل أولاً يشخص ويعمل نظره ،وثانيا يعمل بنتيجة ما يصل إليه تفكيره ونظره ، إذا لم يعمل بما ينتهي إليه تفكيره فهو ليس بعاقل إنما هو عالم ولكن جاهل ، لأن الجهل أن لا تضع الأشياء في مواضعها ،نحن لا نعرف في كثير من الأحيان مصالحنا ، فنحن على استعداد أن نعظ الآخرين ولكن لا نعمل بما نعظ به ونحن نحتاج أن نعمل بما نعظ حتى نكون عقلاء ، فإذا لم نعمل لم نكسب الجنة بهذا العقل ، لأن العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان ،العبادة عمل غير ناظر إلى الفكر وحدة الذهن ،لماذا قال الجنان ؟

****

السؤال الثالث :

كيف يستطيع الإنسان أن يقوي نداء الحق الملائكي على النداء الشيطاني ؟

الجواب:لكل إنسان ظرفية خاصة لذا لا نستطيع إعطاء جواب عام كل شخص بصورة خاصة يحتاج إلى تربية خاصة لأن الوراثة والمحيط تعتبر أرضية ، لكن هناك موازين عامة منها كثرة الذكر لله ، إلزام النفس بنافلة معينة أو ذكر معين فمثلاً ورد عن كثير من الإلهيين قول السّجدة اليونسية بعد صلاة المغرب ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[١٠٨] مائة مرة أنها مؤثرة و مجربة يقولها بقصد إني كنت من الظالمين في إدراكك ومعرفتك فيكون ﴿ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[١٠٩] فهذا ظلم ، أو يكون ناظرا لأعماله وأنها خيانة لله لأن جوارحه قد خانت ا لله ونقصت في نفسه ، والعدد في هذه السجدة مقصود ومهم .

****

السؤال الرابع :

حدث اشتباه في فهم حد العصمة والولاية بأنها مختصة بآل البيت نرجو توضيح ذلك ؟

العصمة ليست مختصة بآل البيت ، العصمة كحد يساوي الامتناع عن المعاصي والذنوب ، وليست مختصة بهم (ع) المختص بهم مقام حمل

---

[١٠٨] سورة الانبياء – مكية – آية ٨٧

[١٠٩] سورة الانعام – مكية – آية ٩١

الرسالة من قبل الله تعالى ، وأيضا الفرق بين المعجزة والكرامة ليس هناك فرق ذاتي بينهما من جهة الذات وإنما الفرق بينهما من جهة المراد منها ، فالنبي بالمعجزة يكشف للناس الذي لا يمكن أن تصل إليه أذهانهم إلى مستوى إدراك الحاجة للنبوة وإدراك أن هناك إنسان يمكن أن يتلقى الوحي أو تلقى الوحي .

من يرى أن رسول الله مجرد بشر كغيره من الناس ، من يرى أن مستوى الناس واحد لا يمكن أن يتكامل إلى حد أن يتلقى الوحي من الله ، فإن هؤلاء بالدليل والبرهان والنقاش والجدل لا يمكن للرسول أن يكشف لهم عن هذا المقام الذي يتلقاه من قبل الله إلا بأن يريهم معجزة ليست قدرة خارقة للطبيعة بل خارقة للعادة ، وإلا من جهة عقلية فالعصا يمكن مع مرور الزمن أن تحول إلى ذرات ، وهذه الذرات يعطيها الله الروح فتصبح العصا حية ، المعجزة خارقة للوقت فقط وليست خارقة للطبيعية بل خارقة لقانون الاعتياد .

قانون العادة ليس قانونا مطردا وخلافه الإتيان بخلاف العادة ، يعني أن هناك تناقضا عقليا في المسألة لذا الأنبياء يأتون بالمعاجز والأئمة ما يحدث لهم كرامات .

لأنها ليست جنة واحدة ، العاقل يكتسب جنان في حياته .

ثم قيل للأمير (ع) صف لنا الجاهل ، قال قد فعلت ،لأن الجهل ليس أمرا وجوديا حتى يكون له حد ورسم ، لأن الأشياء تعرف بحدودها ، لابد أن يكون لها وجود معين حتى نعرّفها بهذا الوجود ، والأمور العدمية نعرّفها باضدادها ، وهذا من أدق المطالب المنطقية ، عندما نعرّف الإنسان نقول الإنسان حيوان ناطق ، الحيوانية والناطقية حد من حدود الإنسان لكن عندما يكون الشيء عدمياً فلأنه عدمي نعرفه بضده لأنه ليس له حد لذلك الأمير عرف الجهل العدمي بالعقل الوجودي .

الجاهل من ليس له القدرة على التشخيص ويصعب عليه الربط بين القضايا للحصول على النتيجة ، ثم بعد ذلك لا يعمل بما شخص علماً بأن عدم القدرة على التشخيص هو بنفسه جهل ، إذاً العاقل الذي يثاب على عقله هو الذي يضع الأشياء في مواضعها أي العقل العملي .

هناك فرق بين أن نقول هذا فطن (ذكي) أو عاقل ، عاقل يتعقل الأمور ويضعها في مواضعها لا بمعنى أن عنده قدرة ذهنية على حل المعادلات ، بل عنده ربط بين الدنيا والآخرة ، ومقتضى أعمال الإنسان هو حقيقة هذا الربط الأكيد الذي يرى الدنيا فيه على حد تعبير الإمام الحسين (ع) [**أما بعد فكأن الدنيا لم تكن والآخرة لم تزل**] الذي يرى الآخرة دائما أمام عينيه لاشك أنه لا يرى مقطعاً معيناً ويحل المعادلات على أساس ذلك ، إنما هو يرى من المبدأ إلى الممر إلى المنتهى و يحل قضيباه على هذا المبنى وهذا هو العاقل .

قلنا في الروايات العقل غير التعقل وكما حلّلنا مسألة عقل وكمال المرأة والرجل في القرآن يجب أن نحلّل عقل المرأة والرجل في العرفان والفلسفة .

حديث الفلسفة عن الموجود من غير النظر إلى ماهيته وجسم هذا الموجود وبدنه ، الإنسان يتكون من بدن و روح ، البدن يُبحث عنه في علم الطب و على أحسن فرض يبحث عنه في علم النفس ، والعارف لأن مراده من هذه العلوم التي يعلّمها الوصول بالإنسان إلى مراتب وجودية واقعية وهي مراتب كمالية فحديثه ليس مع الجسد ، وحتى نستطيع أن نوضح كمال الروح واعتماد الجسد وقوته كيف يأخذها من الروح ، فنستطيع أن نثبت أنه امرأة كان أم رجلا من كانت روحه أقوى سوف يكون جسده أقوى . فالروح هي التي تصنع البدن وهذا وأن لم يكن ثابتا في علم الطب إلا أنه ثابت في الفلسفة والعرفان التي هي حاكمة على الطب والحس ، بهذه الأدلة سوف نثبت أن كمال البدن والجسد في الحقيقة يؤخذ من قوة الروح .

مقدمة :

الفلاسفة الإسلاميون يقولون الأصل للوجود وليس للماهية ، أحيانا نقول الشيء موجود و أحيانا نقول ماهو هذا الشيء ، الإنسان موجود ولكن ما هو الإنسان ؟

الإنسان من الموجودات التي ليس لها ماهية بحد معين ، أما قول المناطقة الإنسان حيوان ناطق فهذا مجرد تعليم ، وإلا الإنسان ليس له حد معلوم ومقام معلوم لنقول هذا هو الإنسان ونضع حدا على هذا المقام ، روح الإنسان هي الأصيلة وهوية الإنسان هي فرع على هذه الروح ، الروح هي التي تصنع الماهية ،الإنسان يوميا بين آلاف المراتب التي من الممكن أن يصل لها لو اكتملت روحه ، الإنسان لو التزم ببرنامج معين يمكن أن تؤثر روحه في ماهيته ويرقى الإنسان من حد الإنسان المفكر العادي إلى إنسان

يستفيد من هذا الفكر فيصبح عابدا ثم متيقنا ثم إلى إنسان كلامه من ساق العرش ثم إلى أن يكون قلبه عرشا للرحمن ، ليس هناك ماهية وحد ،كل الموجودات لها ماهية إلا الإنسان ، والذي يُبقي الإنسان في مرتبة معينة لا يستطيع تغيرها هو تصوره أن هذا هو حد الإنسان وهذا هو المطلوب والمرجو منه ، وهذا هو بعينه سقوط الإنسان .

لماذا في الروايات الصراط كحد السيف ودقة الشعرة ؟

لأنه لا يمكن للإنسان أن يقف على حد السيف لا بد أن يتحرك دائما حتى يستطيع أن يبقى على الصراط ، لذلك يقول العرفاء سكون الروح وعدم حركتها لا ينسجم مع إرادة الله لذلك يحملون الآيات (سارعوا ، سابقوا إلى مغفرة من ربكم) على معناها الواقعي لا على المجاز لأن الله تعالى عندما يقول ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[١٦٠] المتنافس هو الذي يجر أنفاسا كثيرة ، ولا يجر الإنسان أنفاسا كثيرة إلا حين يتعب عندما يتحرك بسرعة ، لأن المتنافسون على الصراط إذا كان المتنافس مرتخي النفس رخوا التفكير مع الله لن يصل ، لأن هذا الوهن لا يجتمع مع التنافس ، وعندما يأمر الله بالتنافس لا يأمرك أن تنافس الجالسين بل تنافس المتنافسين .

لذا غرض العرفاء ليس هو حركة البدن ، العارف لا ينظر للطبيعة لأن الموجودات كلها في حد الطبيعة ، هناك حركة يبحث عنها في حد الطبيعة وهذه الحركة الجسم في ضمنها (الجسم في المرتبة الأخيرة) يقال عنه رجل أو امرأة ، ونحن عندما نتحدث عن حركة الإنسان لله لا نتحدث عن هذا الحد والمستوى، الذي يتنافس الروح لا الجسم ، الروح هي التي تتعب ونحن لسنا مأمورين باللف على الصراط نحن مأمورون بالسير عليه ، كلما

---

[١٦٠] سورة المطففين –مكية – آية ٢٦

كان الحبل الممتد اصف وأرق كلما كانت سرعة الركض احفظ للبقاء على هذا الحد ، وإلا نفس التوقف سقوط ، من الممكن أن لا نشعر بهذا السقوط ولكن أحيانا إذا كان عند الإنسان صفاء معين يشعر أن الذنب يهوي به إلى مكان لم يكن فيه .

الإثم تراجع وانقلاب على الأعقاب ، حركة الروح إما انقلاب على الأعقاب أو انقلاب على الوجه او مشي او تنافس وركض ، ونحن مأمورين بالتنافس و بجر النفس خلف النفس ، وإلا فكل طاقات الإنسان يخسرها إذا تصور أنه تكامل واكتفى بهذا الحد .

هذه ليست إلا إجازة حتى تدخل على الصراط ، هذه ورقة وبهذه الورقة الجواز حتى تجتاز الحدود وبعد ذلك عندما تدخل سوف تخرج مخرج صدق الروح مأمورة بالتنافس وهناك بالمقابل حركة للبدن ولكن في الطبيعة يقول الفلاسفة والعرفاء كل ما هو موجود في الكون الحركة الوجودية التي عليها الثواب – الحركة الجوهرية –هي حركة تكاملية ، بينما حركة الطبيعة (الفيزياء) مفادها أن كل موجود فيه ذرات وكل ذرة فيها الكترون ونظام هذا الكون يتحرك ، الثابت في الحركة الطبيعية هي الروح لأنها مجردة وحركتها تكاملية لذلك لا تخضع لقانون الطبيعة ، كل الطبيعة تتحرك ولا تهداء إلا يوم القيامة لذلك جنة عدن هي المقر والاستقرار ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[١٦١] سألوا سؤالا إما الله وجهه وإمّا فطرتهم دلتهم على أن كل شيء متحرك وسوف يرسو ، يقولون أن هذا الكون كالسفينة التي لا تقف تتحرك دائما ورسوها يوم القيامة نحن لا نذهب فقط يوم

---

[١٦١] سورة النازعات – مكية – آية ٤٢

القيامة بأقدامنا كل الكون ذاهب يوم القيامة بأقدامه ، كل الطبيعيات في حركة سوف ترسو بعد هذا التحرك .

من يصل إلى الله إذا كان يتحرك بروحه فسوف يصل باختياره في الدنيا قبل الموت ولكن من لا تتحرك روحه نحو الله سوف يؤخذ وتسوقه الملائكة ، وهذه الملائكة التي تسوقهم سوقاً من ورائهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، إمّا سوقاً بهذا النحو وإلاّ الإنسان بنفسه يريد الوصول لله تعالى.

الجسم لأنه محكوم بالطبيعة ويتحرك في ضمنها لذلك لابد أن يعتمد على شيء ثابت في الطبيعة ، والشيء الوحيد الثابت في الطبيعة هو الروح ، أما البدن فهو دائم التغير كل سبع أو عشر سنوات تتغير ذرات البدن ، فإذا كانت الروح قوية أعطت البدن قوته وسلامته واستحكامه ، لذا الروح هي الحاكمة لأنها الثابتة ، يأخذ البدن من الروح امتداده على طول الزمن ، ولذا العرفاء يقولون لا نحتاج إلى دليل يثبت حياة المهدي (ع) لأن بدنه الشريف محكوم لروحه فلو بقي الإمام ملايين السنين فأن روحه الثابتة القوية الصلبة سوف تصنع ذرات ثابتة قوية صلبة ، لذلك البدن ليس حاكماً على الروح البدن متأخر عنها.

ثانياً:إذا قلنا أن عقل الرجل أثقل من عقل المرأة فإن هذه المادة الثقيلة لا يعطيها فعاليتها وقوتها إلا الروح واقتدارها ، صحيح أن الطبيعة لا تحفظ أرواحنا عن المرض ، ولكن أرواحنا مرضها وسلامتها ، فضائلها ورذائلها بأيدينا حفظها ،إذا كانت الروح قوية يمكنها حتى أن تتحكم بالبدن ، عن الأئمة (ع) [**ما منا إلا مسموم أو مقتول**] أرواحهم تحكم أجسادهم إلا أن يأتي عامل خارجي ، الإمام لا يمكن أن تنتهي فاعلية بدنه لأنه محكوم لروحه وهذه من الأدلة العرفانية الدقيقة ، الذي يعطي أي جسم سواء كان

لرجل أو امرأة قوته هو ثبات الروح إذا كانت أقوى وأصلب يكون الجسم أقوى واصلب ، هذه الأدلة من جهة فلسفية طويلة لكن هذه خلاصتها .

هل ثقل المخ سوف يؤثر على كمال المرأة أو كمال الرجل ؟

الكمال مأخوذ من الروح ، والروح لا تتحرك ضمن الطبيعة ، و إذا أجبرنا الروح على أن تعشق الطبيعة فنحن نؤذيها لأنها لا تميل إلى الطبيعة والمادة لأنها ليست من جنسها والشيء لا يعشق شيئا من غير جنسه ، الروح ترقى إلى وسائل أرقى ، الروح تحب كل من كان كاملاً مجرداً فكل ما تكامل أكثر كان للروح فيه هيام ومحبة أكثر ، وكلما أغرقت الروح في الطبيعة فأنت تجبرها على أن تنسجم مع شيء ليس من خواصها لذلك الإنسان إذا انقاد للطبيعة كثيراً يجد ألماً في قفصه الصدري علماً أنه لا يشكو مرضاً عضويا ، الروح ترفض هذا الوضع لأنه ليس من شأنها أن تدخل في الطبيعة ، من شأنها أن تهتم بأمور أخرى إذا قويت ، لأن الروح هي الثابتة والبدن متغير لذلك ليس هناك ميزان لمعنى أن جسم الرجل أقوى من جسم المرأة ، المسألة ليست مسألة قوة أجسام بل مسألة قوة أرواح فهي مصدر الضعف ومصدر القوة .

الجواب الثاني على السؤال الأول وهو الأهم :

أن الكمالات ليس مردها القدرة على حل المعادلات ، الكمالات التي تُدعى لها الروح على نحوين وهذا من باب تقسيم الكمالات والوظائف ، فسبحانه وتعالى قسم الكمالات في هذا الكون على نحوين :

١- كمال في الصلابة والخشونة والجهاد .

٢- كمال في صلة الرحم والعاطفة والمحبة .

وليست الثانية أدون من الأولى أبداً ، بل ربما طبيعة الثانية توصل أسرع من الأولى ، ماذا يعني هذا ؟

الغضب حتى وإن كان قربة لله تعالى و لم يكن مسبوقاً بأرضية من الرحمة والإدراك ، فهذا الغضب لا يؤدي إلى تكامل الروح لأن الله سبقت رحمته غضبه ، ماذا يعني ذلك ؟ هل يعني أن الرحمة تأتي من مكان ثم بعد ذلك لا يكون هذا المكان متلائماً مع الرحمة فتتركه ويحل فيه الغضب ؟

لا ، المعنى أن أي قوة وصلابة وخشونة إذا لم يسبقها رحمة لا تُنسب إلى الله ، إذا أراد الله أن يعذب إنساناً أو إذا أراد سبحانه من رسوله أن يجاهد الكفار والمنافقين ، هل هناك أكثر صفاء من غضب رسول الله على الكفار هل هناك غضب فيه إخلاص كغضب رسول الله أو غضب لا يشوبه رياء كغضبه (ص) ، رسول الله عندما يغضب يحاول أن يرحم هذا الإنسان أولاً فإذا لم يستجب هذا الإنسان للرحمة يحل الغضب في المكان الذي خلت فيه الرحمة لأن الرحمة تترك المكان ثم يحل الغضب ، بمعنى أن الرجل إذا كان قوياً صلباً في بيته و لم يكن مع هذه القوة والصلابة محبة ورقة وإرادة الإصلاح لظرفية البيت لا تسمى هذه القوة في تنظيم شئون الاسرة غضباً لله بل تُسمى تشفياً ، والتشفي حرام شرعاً ، لا يجوز ضرب الولد تشفياً ، يجوز ضربه لتأديبه وتربيته فقط وبحدود .

متى يجب على ولي أمر المسلمين أن يعلن الجهاد ؟

يجب عليه أن يعلن الجهاد بعد أن يستنفذ كل الحجج عليهم ، بعد أن يبذل طاقته ليرحمهم ويدخلهم الجنة ، بل أن أمير المؤمنين (ع) في أحد حروبه كان معه مالك الاشتر وقتل مالك نفس العدد الذي قتله الأمير(ع) ثم حدث في نفس مالك أنه يكاد يصل إلى مرتبة الإمام فناداه الأمير (ع)من

الخلف وقال : **يا مالك في بالك مثلك مثلي ، أنت يا مالك تقتل كل من تستطيع أن تقتله ، ولكني قبل أن اقتل الرجل انظر في عينيه فإذا رأيت أحد ذراري الرجل صالحا لا اقتله حتى وإن تمكنت منه]** ، أنه (ع) ينظر إلى بذرة الخير التي سوف تأتي من هذا الرجل التي ربما فيها رحمة لذلك الإنسان ، إذا رأى فيه ذلك الجانب عفا عنه .

أولاً الرحمة تنبسط فإذا امتدت وانبسطت و لم تُحدث اثراً يأتي الغضب الذي لا يرحم هذا الإنسان على حد تعبير السيد الإمام : كل من قتله رسول الله كان رحمة له لأن رحمة الله تسبق غضبه ، الرحمة تحتاج إلى رقة وظرافة ولطف ، إذا لم تكن هناك ظرافة لا يعرف الإنسان كيف يرحم [**لا تكرم أخاك بما يشق عليه**] بعض الأحيان يبالغ شخص في إكرامك فتشعر بالحرج لأنك لا تستطيع أن ترد عليه بنفس كرمه ، الكرم يحتاج إلى ذوقية خاصه .

كلما كان الشخص أكثر شعوراً كلما كان أظرف وكلما كان اخبر واعرف ، القرآن قرن صفة اللطف بالخبرة لله تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١٦٢] لأن اللطافة تعني النفوذ في داخل الجزئيات وتفكيكها وتحليلها ومعرفة الإنسان الذي تريد أن تكرمه وتعطيه ، أنت تريد بعطيتك أن ترفع معنوياته وحتى نعرف كيف نرفع معنوياته لابد أن نكون نحن معنويين نعرف كيف نتعامل مع المعنويات وكيف نرفعها وإلا فهذه الهدية أو العطية سوف تكون أذى ، الذين ينفقون أموالهم رياء الناس و يمنون عليهم الله يعتبرعطائهم أذى للمؤمنين .

المراد من العطاء والإكرام أن ترفع معنويات هذا الإنسان وتجذبه إلى الكمالات والخير ، لذلك يجب أن تنبسط الرحمة على كل شيء حتى موارد

---

[١٦٢] سورة الملك - مكية - آية ١٤

الغضب ، لذلك الرحمة في هذا الكون قائد الغضب فهي التي تحدد مقداره والموضع الذي ينزل فيه والحد الذي يقع عليه ، لذا إذا لم يسبق هذه الخشونة والاستحطام وحل المعادلات لطافة وظرف سوف تكون قد أديت نصف العمل ، ولعل هذا النصف يكون خراباً ، الذي يريد أن يكرمك غصباً عنك هو يكرهك .

إنزال الغضب يحتاج إلى معرفة وذوق وسليقة معينة حتى يعرف متى يُنزل غضبه ، فليس هناك قيمة كما قلنا للغضب والقوة وحل المعادلات سواء في الجهاد أو الأخلاق الأسرية أو غيرها إذا لم تسبقها رأفة ورحمة ، أولاً تنبسط الرحمة ثم تقرر متى ينزل الغضب فتعطيه الأوامر بالنزول وتحدد له المقدار الذي يكون فيه مؤثراً لأنه حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس المقصود منه أن تؤذي هذا الإنسان بل أن ترحمه ، وإلا إذا كنت تريد أن تؤذيه فاتركه في معصيته إلى أن يهلك ، لأن من صارع الحق صرعه ،لأن من صارع الحق ينصرع ويسقط ، ولكن من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة به قبل أن يصل إلى حد المصارعة الفعلية مع الحق أنت توقفه في منتصف الطريق .

هذا الفعل يؤدي إلى فهم الرحمة النافذة في كل جزء من جزئيات هذه الشريعة ، بل أنه حتى في المسائل التي يجب أن يتحمل فيها الإنسان بعض المصاعب الأخلاقية الصعبة مثل الطلاق ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾[١٦٣] يقول إذا لم تحب زوجتك ربما يكون لك ابن صالح منها أو ربما يكون لك رزق بسببها ، نعم أنت نفسياً لا تتحمل هذه الأخلاقيات ولكن ربما يجعل الله لك خيراً كثيراً بما صبرت

[١٦٣] سورة النساء – مدنية – آية ١٩

على هذه المعاشرة ، نحن لا نعرف من أين يأتينا الخير ولا نعرف مصالحنا لذا القرآن يؤدبنا عن أن نتعامل حسب أمزجتنا ، إذن أولاً الكون يدور مدار الرحمة .

ثانيا :

الأصل في لسان رسالة الرسول (ص) المحبة ، ولكن الحب والمحبة لأنهما من الألفاظ القيمة جداً والرقيقة اللطيفة لا تُلقى على كل أحد ، لذلك لا تقال هذه الأسرار لكل أحد ، رسول الله (ص) لأن رسالته تعليم الكتاب والحكمة وهي رسالة كل الأنبياء ، ولكنه (ص) متخصص في مادة معينة وهي تعليم المحبة ، لأن المحبة الصادقة والمحبة الكاذبة تحتاج إلى تعريف .

المحبة مثل الطب والفيزياء علم ، عندما نقرأ قصيدة شعرية فيها اشتباهات نحوية كثيرة من يعرف ذلك ؟ من درس النحو يعرف مواطن الاشتباه ، كذلك المريض لا يناسبه أي دواء بل لابد له من دواء يناسب مرضه وإلا هلك أو بقي بمرضه ، كل علم فيه ما هو صحيح وما هو باطل و يحتاج لمتخصص يعلم ويفرق بين الصحيح من الباطل ،وتعليم المحبة الصحيحة من الباطلة تخصص رسول الله(ص) .

عمله (ص) ليس فقط تعليمك المحبة الصحيحة بل أن يجعلك تفرق بنفسك في كل مورد بين المحبة الصحيحة التي تفيد الإنسان حتى لا يريد إلا هذه المحبة والمحبة الباطلة التي قد تهلك الإنسان ، من كان معتاداً على قيام الليل ومناجاة الله ثم يسلب هذه المناجاة هل يريد من الله أن يستجيب له أم يريد نفس لذيذ المناجاة ؟ هو لا يريد أن يستجيب الله له ليس المهم ماذا يريد أن يطلب من الله ، في الروايات إذا أردت مناجاة الله وانصرف عن ذهنك ما كنت تريد أن تطلبه لا تحاول أن تتذكر وأنت تقرأ الدعاء ماذا كنت تريد .

هذه المحبة حتى يصل إليها الإنسان تحتاج إلى معلم ، حتى لا يتعلق بكل شيء وبما هو باطل ، المحبة اصل قرآني ، واصل ومراد لرسول الله ، ما هو الدليل القرآني على هذا ؟

﴿ قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[١٦٤] يريد أن يقول ليس كلٌ يعلم المحبة ، وليس كلٌ يفرق بين المحبة الباطلة والصحيحة والمحبوب الباطل والصحيح .

إذا أردنا أن نتكلم عن المحبة في القرآن والروايات والأدعية استغرق منا ذلك بحثاً كاملاً ، في دعاء كميل مثلاً في بداية الدعاء الإنسان يصفي حساباته ثم بعد ذلك يستغفر عن ذنبه ويتوب إلى الله ثم يصل إلى واسطة العقد ، واسطة العقد من االدعاء لله ليست أخر شيء لكن هذه الواسطة تكون بعد تصفية الحساب والتوبة وإعلان الجرم والتقصير والإعتراف يقول (**واجعل قلبي بحبك متيماً**) القلب المتيم مملوء بحب الله، وهذه المحبة العقلية إذا امتلاء بها القلب لا مجال له أن يتعلق بشيء أخر ، بل هو ينفر من أي شيء أخر .

المسألة أن الحديث عن المحبة في القرآن والروايات لأنها مليحة جداً ورقيقة جداً ، لذلك الكلام الرقيق لا يُلقى على كل احد، ولا يقال لكلّ ، وفي أين ودائماً ، عندما تحب شخص ودائماً تقول له إني احبك تكثير هذا القول يؤدي إلى فقد حرارة هذا القول ، لذلك أنت تحفظ هذه الكلمة وتقولها في الوقت المناسب ، إذا كان لك أستاذ تحبه هل من اللائق أن تقول له مباشرة ودائما إني احبك ؟

---

[١٦٤] سورة آل عمران –مدنية – آية ٣١

نفس كلمة احبك لا تقال دائماً ، هذه الكلمة تحفظ كما يحفظ المسك كلما خفي أعطى ريحاً طيبة وكلما تضوع اكثر ثم يُشعل في الوقت الذي من المفروض أن يُشعل فيه ،كذلك الحب كلما انطوى في القلب أكثر كلما أعطى رائحة أكثر لذلك كلما كانت المحبة في داخل المحب أكثر كلما أتعبت المحب أكثر ومع ذلك لا يقول لمحبوبه إنني احبك ، لأنه يعتبر نفسه أنه ليس في مقام أن يقول لمحبوبه إنني احبك ، أصلاً هذه المحبة على حد تعبير الإمام ممرضة .

شعر فارسي : أنا بمحبتك مرضت وتعبت، واعظ الشهر كلما يذكرني بك يؤذيني ،(يكلم آل البيت) افتحوا أبوابكم لقد تعبت من الصلاة ومن المناجاة) مثل هذا الكلام لا يقال دائماً هذا علم ورسول الله معلم لهذا العلم ، والذي يصل إلى هذا الحد من المحبة يحتاج إلى مقدمات وإلى علم كاحتياج علم لنحو لمن يريد أن يكتب قصيدة وهو لا يعرف قواعد النحو فيكثر من التكسير والأخطاء ويتعدى على القوافي ، هذا إذا كتب مثل هذه القصيدة لا يتجراء ويعرضها على أستاذ في النحو إنما يمكن أن يعلمها لطفله في البيت ولكن لا يجراء على أن يعرضها في حفل فيه أناس علماء ، كذلك المحبة حتى تعرض على رسول الله أولاً تحفظ في النفس تدريجياً حتى تكتمل هذه المحبة ، وبالمحبة يصل الإنسان لله .

ذكرنا أن الروح متحركة وأن حركتها تكاملية ليست في ضمن الطبيعة ، ويضرب العرفاء لذلك مثالاً بنهر هادئ يجري و يمر في حوض بيت ، وبما انه هادئ يتصور الذهن الساذج أن مادة الحوض هي نفس الماء الذي كان قبل لحظات في حين أن جزيئات الماء تحركت بهدوء وغادرت إلى مكان

أخر وتبدل الماء وفق حركة النهر ، وكذلك الجسم يعتمد على الروح ويتكئ عليها كالماء في الحوض .

إذا كانت الروح صلبة سوف تستطيع بالإرادة أن تخلق وتحقق مالا يمكن أن تصل إليه قدرة الإنسان ذو البدن القوي العضلي ، عندما سئل الأمير (ع) كيف قلعت باب خيبر ؟ قال : **(ما قلعت باب خيبر والقيت به وراء ظهري بحركة غذائية ولا بقوة جسمية ولكن بنفس بنور ربها مضيئة)** أربعين رجلاً لم يستطيعوا قلع باب خيبر والأمير قلعه بحركة واحدة ، هذه القوة التي يمتلكها الأمير ليس مصدرها الغذاء لأن غذائه لم يكن متميزاً عن غيره و لا لأن قوته متميزة ، نعم بني هاشم يتميزون بقوة البدن ولكن ليس في حد أن يخرج الأمير عنهم ، لكنه (ع) كان يأتي بأعمال لو اجتمعت كل بني هاشم لم يستطيعوا الإتيان بها ، لكنه (ع) بنفس بنور ربها مضيئة يستطيع ، النفس عندما تستضيء بنور الله تنفك عن كل القيود ، وهذه معاني قرآنية ﴿ لَمْ يَكُنْ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُم البَيِّنَةَ ﴾[١٦٥] الآية لها تفسيرين:

١- يقول الشيخ جوادي ما دامت النفس ليست على بينة من الله فهي مقيدة في أطر وحدود ضمن هذه الطبيعة أو مقيدة بأهوائها وشهواتها ومختصاتها ، بنقصها وضعفها ، كيف تنفك من هذه القيود ؟ لا تنفك إلا بالبينة ،هذه الروح التي يجب أن تتطلع لله كيف تنفك من هذه القيود كيف تحلق ؟ كيف تكسر هذه الأغلال ؟

يتحدث القرآن طبعاً عنها الأغلال الاجتماعية ويتحدث عن عمل الأنبياء وبالذات عن أعمال رسول الله (ص) في تخليص الناس من هذه الاغلال

---

[١٦٥] سورة البينة - مدنية - آية ١

فيقول ﴿ يَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُم وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم ﴾[١٦٦] علماء الاجتماع يرون أن الظلم و الإلحاد كلها أغلال تثقل كاهل الإنسان بحيث لا يستطيع أن يحقق مطالبه و أمانيه ، ولكن العرفاء يرون أن للنفس مطالب لا يحققها إلا رسول الله (ص) إذا ما حل وفك الرسول (ص) هذه القيود وإلا فإن النفس والروح لا يمكن أن تصل إلى هذه المقامات التي هي في الحقيقة بشوق إليها ، نفس هذه الآمال وهذه القدرة والطموح موجودة في النفس ولكنها مكبوتة وببيان رسول الله ، بالبينة التي هي القرآن تنفك قيودها ، ليس معنى هذا أن الرسول (ص) والقوانين القرآنية لا تحل القيود الاجتماعية الباطلة ، بالطبع تحلها ولكن النفس بالأصالة لا تريد فقط حل القيود الخارجية ،بل تريد ايضا فك القيود الداخلية لأن الذي يقيد النفس شيء يتناسب مع النفس .

قد يكون الإنسان جريئاً وشجاعاً ولكنه إذا لم يكن عارفاً با لله يشعر دائماً أنه مقيد ، غرض الرسالة ليس حل القيود الخارجية فقط بل حل القيود المانعة للنفس والروح من الوصول إلى مطالبها الواقعية ، وهذا لا يحدث و لا يمكن أن يحدث إلا أن تأتيهم البينة لذا ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ﴾ هم دائماً مقيدون بقدرةٍ وطاقةٍ وحدودٍ معينة ، والذي يقيدهم ليس دائماً شيء من خارجهم بل الذي يقيدهم في هذا الطريق هي نفس عيوب الإنسان النفسية .

بالبينة وبالمعرفة والقرآن وأحاديث الرسول وآل البيت (ع) سوف تحل كل هذه القيود ، وبالتالي سوف ترى النفس أن لها عالماً كبيراً وارفع بكثير مما كانت تعيش فيه ، النفس اعز على الله تعالى من أن يجعلها مقيدة ضمن

[١٦٦] سورة الاعراف - مكية - آية ١٥٧

حدود الطبيعة لأنها نفحة من روحه عز وجلّ ، هذه النعمة التي هي من روح الله عندما تستضيء بنور الله فإنها سوف تحقق ما لم يُحققه الجسد لذا عليه السلام يقول : **ما قلعت باب خيبر بقوة غذائية ولا بقوة جسميه ولكن بنفس بنور ربها مضيئة**) قوة النور أقوى بكثير من القوى الطبيعية ، الحركة ، الحرارة ، النفس ، عندما يكون لها نورانية شديدة سوف تؤثر في الطبيعيات وسوف يكون الجسد عند ذلك خادم ورهينة للروح ، لذا الأمير (ع) يصف المتقين (**الناس منه في راحة وجسده منه في تعب**) فهو يُتعب جسده ليريح الناس من نفسه ،المتقي هو الذي يعتمد على قواه ، ويُشرب مشاربه من روحه من داخلة نفسه، هو الذي يرتفع من صفاء نفسه وبالنهاية سوف لن تقدر عليه أي قدرة ، لذلك الجبال يُستفل منها بالمعاول والمؤمن لا يستفل منه بشيء ، لا رأياً ولا فكراً ولا عقيدةً ولا أخلاقاً ، لا يستفل منه بشيء لأنه معتَمد على شيء صلب ثابت قوي، أما إذا لم يكن على بينة فلا يستطيع أن يرفع نفسه ولا أن يقومها .

حتى القرآن عندما يتحدث عن الإنسان القائم ﴿ ثُمَ رَدَدْنَاهُ اسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاّ الذِينَ أَمَنُوا ﴾[١٦٧] خلق الله الإنسان أولاً في احسن تقويم فهو قائم مستوي ثم بعد ذلك يقول ﴿ رَدَدْنَاهُ اسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ هل المقصود من اسفل سافلين سن الشيخوخة وأن الذين أمنوا لا يصلون إلى هذه السن ؟

كلا ، بل يريد أن يقول أن للروح استواء واعتدال وقيام على قواها ويجب أن تحفظ الاعتماد والاتكاء على النفس ، وهذا لا يُحفظ إلا بالصلاة وعمل الصالحات والإيمان هو الذي يجعل الروح قائمة صلبة ، عند ذلك لا تقول أن العمود الفقري هو المقوم للإنسان ، الذي يقومه ولا يجعله يرتد لأسفل

---

[١٦٧] سورة التين – مكية – آية ٥

السافلين ليست قوة عاموده الفقري ولا العظام لأنها لو كانت هي السبب لذكرها الله ، ولكنه عندما يقول ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾لا يقصد الجسد لأن المؤمن عندما يكبر ينحل جسده ويتعب ويهرم ، إنما المقصود قوام وقيام وأستقامة الروح .

لذلك نحن لا نتحدث عن قوة جسد الرجل أو المرأة ، الجسم ليس فصلاً مقوماً ولا حقيقة ولا جنساً ولا حتى جزء من الحقيقة ولا يمثل حتى لازماً من لوازمها ، الجسم عارض على الروح وخادم لها لذا (**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**) (**قيمة كل امرئ ما يحسنه**) بعزمه وبإرادته وبقوة همته ، إذن المسألة ليست مسألة نوع وشكل جسم .

المحاضرة الحادية عشر

كمال المحبة أم كمال الغضب

الكمالات نوعين بعضها أيسر للرجل وبعضها أيسر للمرأة ، وهذا ليس نقصاً في ذاك وتماماً في هذا ، ولا عيباً في ذاك ولا كمالاً في هذا ، إنما هذا نوع من التقسيم والتوزيع للكمالات ، إذا قلنا أن القوة والحكمة والصلابة والاستحطام من شئون الرجل ، فإن هذا الشأن إذا لم يعتمد على أرضية المحبة والعطف والعفو فإنه لا يُعد كمالاً بل خشونة وصلابة قلب والعياذ با لله من قساوة القلب ،و هذه لا تسمى حكمة ولا تسمى استحطاماً .

رسالة النبي هي تعليم المحبة والأوفق والأنسب لسلوك المرأة هو معرفة المحبة ، المحبة ليست كلمة تُقال أننا نحب ا لله والنبي وأولياءه الصالحين ، المحبة علم ولها مبادئ أي صفة يمكن أن يتلبس بها الإنسان ، ويكون لها مبانٍ تصورية ومبان تصديقية ، نحن نريد أن نحب آل البيت ونكون مخلصين في هذه المحبة ، ونريد أن نحب ا لله .

كلمة المحبة ربما لأننا استهلكناها في موارد ليست من مواردها لذلك لا نفرق بين المحبة الصادقة من المحبة الكاذبة ، أو المحبة ذات المباني اليقينية والمحبة ذات المبادئ الخيالية والوهمية ، المحبة علم ومعرفة وهي التي تثبت قدم الإنسان على الصراط ، عندما تكون المحبة عاطفة فارغة لا تثبت قدم الإنسان على الصراط ، والصراط خط عقائدي مرتبط بعلم ا لله ومعرفته ومعرفة آل البيت (ع) ،لا تنشاء المحبة من فراغ لذا حتى يستطيع الإنسان

أن يكون محبوباً لله فهو يحتاج إلى رقة ودقة في التعامل مع النفس وإدراكها ، ولطافة في تعامل الإنسان مع كل شيء ، لأن اللطافة تقترن دائماً بالخبرة واللطيف لابد أن يكون خبيراً عارفا كما ذكرنا.

عندما يكون إنسان ما ذو ذوق اجتماعي رفيع ودقيق في معرفة الناس فهذا يكون للطافة وشفافية في شخصيته بحيث لا يؤذي الآخرين فيقول دائماً احسن الكلام ، وهذا كلام الروايات (**الجمال في اللسان**) (**المرء مخبوء تحت لسانه**) نحن ألا نحب الإنسان العاقل الذي منطقه كاشف عن عقله ومعرفته ،و بيانه موضح عندما يتحدث عن منطق وإدراك ووعي ، أصلاً جمال الإنسان في هذا .

إذا كان هذا البيان الذي فيه منطق وحقيقة وعقل وهذا البيان كان شيقاً فيه لطافة ورقة عند ذلك سوف يأخذ بأوج الروح إلى مراتب عليا ربما الكلام العلمي الجاف الخشن لا يوصل النفس إليها ، بعض بيانات القرآن نرى فيها هذا الحس الجمالي كما نراه في الروايات و في خطابات آل البيت (ع) هذا مشهود بكثرة ، الأمير (ع) في رسالته إلى عثمان بن حنيف أحد ولاته يعاتبه على استجابته لوليمة دعي إليها الأغنياء دون الفقراء (**كيف تذهب لوليمة فقير هم فيها مجفي وغنيهم مدعو ، الا يستطاب لكْ فيها الطعام**) ثم أخذ (ع) يتحدث عن نفسه (**الا أن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه ألا وأنكم** [مسألة يريد أن يثير فيها الإمام ذوق وليست مسألة استدلال عقلية فهو يريد منهم أن يتقززوا من الولائم الكبار ويرون الجمال في مجالسة البسطاء] **أو يقتدي علي بعد السنين المتطاولة بالبهيمة المربوطة**)بعد هذا العمر الطويل اصبح مثل الحمار - يأكل وينام ويأكل _ هذه مسألة تربية ذوق وتربية سليقة وليست موعظة ، الإمام أحيانا يقول بيانات عقلية وبياناته العقلية (ع) كثيرة ، وأحيانا يريد ممن يعظه أن يكره الدنيا لأن الدنيا

جيفة ووباء ، مثل هذه البيانات بيانات ذوقيــة ، نعـم هنـاك حـلال وحـرام ولكن هناك شيء غير الحلال والحرام ، هناك ذوق ، كن ارفـع وأرقـى مـن أن تضع يدك على جيفة ، إذا كان الإنسان جائعاً وقدمت لـه طعامـاً شـهياً أراد أن يتناول منه فقلت له أن هذا الطعام مطبوخ بقذارة فإنه لا يأكلـه لأن عنده ذوق وسليقة ، ولكن الحمار إذا كان جائعاً فـأي شـيء تضعـه أمامـه يأكله ، كثير من الروايات في مقام تـأديب وليست في مقـام تعليـم فقـط ، فهي تعلم وترقي الذوق وتربي القوة النظريـة عنـد الإنسـان ، لذلـك كلمـا كان الإنسان اكثر ذوقا كلما كان اشد تأثراً بالواقع فيعـرف أن القـبر حـق وأن الدنيا فانية فتتقـزز نفسـه مـن هـذه الدنيـا ، والشـارع يريـد أن يكـون للإنسان ذوق إلهي فضلًا عن تركه للحرام وإتيانه للواجبات .

- آيات القرآن فيها جانب من تربية الحس البلاغي لدى الإنسان بحيث يشتاق الإنسـان كثـيرا إلى قرأتهـا مثـل سـورة الكوثـر ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ أولاً نظـم السـورة نلاحـظ فيـه البدء بالإنسـان الإلهـي حتـى تتحـدث عـن عطـاء الله لرسـوله (ص) الـذي أرضاه به ، التكاثر يلهي الإنسـان ومنهـي عنـه ، عكـس الكوثـر ، الكوثـر يفـك قيود الإنسان ، الكوثر الروايات تفسره إما انه فاطمـة (ع) وإمـا نهـر في الجنة و إما شيعة أهل البيت ، وكل هذا يعني امتداد رسول الله وبركاتـه ، إذا قلنا أن الكوثر نسل فاطمة (ع) او غيره من التفاسير ، أيا كان يكـن ، إذا كان ذلك عطاء من الله فمهمـا جـاهد الكفـار والمنـافقون ليطفئـوا مـن رسول الله سيجدون هذا الكوثر في البـين ، أي عطـاء يُعطـي لرسـول الله فأنه يحفظ شخصية رسول الله الذاتية والرسالية .

من ينصر الرسول غير السادة والعلماء هذا الكوثر الممتد ، لا حظوا هذه العبارات الخفيفة على النفس واللسان المرتبطة بالمعارف والواقعيات ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ أي مبغضك هو المنتهى لا عمله ، لأن الكفر والنفاق كل منهم منعزل عن الآخر يخرج وينتهي ويموت ، ولكن الإيمان كل المؤمنين والمؤمنات وإن كانوا مبتعدين فهم كوثر وليس تكاثر .

الكفر تكاثر والإيمان كوثر ، الكفر تكاثر بحتث من اصله هو ابتر ، لا عمله ابتر ،معنى أن الكافر ابتر أي ضائع ليس له نتيجة لأن عمله غير منتج لذا الكفار والمنافقون يريدون أن يذهبوا إلى جهنم ولكنهم لا يعرفون الطريق لأنهم منقطعين فهم في عذاب من جهتين ،يجب أن يذهبوا إلى جهنم ولا يعرفون الطريق منقطعين لا دليل لهم في مقابل الكوثر (الوجود الممتد) هذا الرابط بين من له أدنى ارتباط بالرسول وأهل بيته (ع) لا يبين هذا في أعظم بيان من هذا البيان القصير في سورة الكوثر ، ومع ذلك يحمل كل هذه الحقائق الممتدة في عمق الإيمان والمعرفة الممتدة في يوم القيامة ، ومن لم يسقه الأمير لا يدخل الجنة ، هذه الحقائق كلها في هذه الآيات ، هذه من الممكن أن تبين بياناً علمياً ونظرياً ولكن هذا بيان ذوقي حتى تحب الكوثر ، حتى يكون لك علاقة به تحتاج أن ترقى إلى حد الذوق الالهي .

إذن كلما كان الإنسان رقيقاً ولطيفاً ودقيقاً أكثر كلما استشعر الجمال وأدركه أكثر ، وهذا لسان وارد في الروايات والأدعية التي هي بالذات أبواب لهذه المجالات وموجود منها بشكل ملاحظ ،دعاء أبو حمزة الثمالي مكانه في الليل لأن الخطاب فيه خطاب تفرغ و يحتاج إلى خلوة لأنه يُري للإنسان دربه مع أن فيه دقائق ونتائج علمية لا تبين إلا في الأسحار ، هذه مواقعها ، ولكن هذا الحديث بما انه ليس عاطفة فارغة ، لذلك لا يلقى

على كل أحد ولا يتحدث عنه دائماً ، إنما عليك أن ترقى بهذا الحس الباطني القوي حتى تستشعر هذه المعاني ، حتى تلقى عليك .

هذا أيسر طريق يصل الإنسان به لله إذا سلكه لأن هذا الطريق غير طريق الفكر ، طريق الفكر مركب من مقدمات ونتائج يريد منه أن يشخص ويدقق ثم يعمل ، لكن هذا الطريق بنفسه نتيجة سماعهدعاء او قيامه بعبادة ، إرادة النفس له عبادة ، تعلق الروح به عبادة .

هناك علم آلي وعلم ذاتي له الأصالة :

١- الآلي : مثل الرياضيات والنحو والمنطق يُتعلم لغيره ، النحو لتقويم اللسان و المنطق لتقويم التفكير .

٢- الذاتي : كالعقائد التي نتعلمها لا لكي تقوم جوارحنا بأعمال أخرى بل حتى تنعقد الجوانح على معرفة أخرى ، لماذا نتعلم الإلهيات ؟ المفروض أن الذي يتعلم يعمل كلنا نعتقد بوجود ا لله ، لكن لو أقمنا دليلاً أخر لوجود ا لله لانعقدت في داخلنا معرفة جديدة، قبل هذا الدليل كنا نصلي ولكن بعد هذا الدليل اختلف شعورنا في الصلاة فلا نقول أن هذا الدليل لم يعطنا شيئا جديدا .

كلما أصغى الإنسان إلى ناطق إلهي فهذا الاصغاء بنفسه عبادة ، هذا عملٌ صحيح أنه ليس عمل للجوارح بل عمل للجوانح (عمل من الداخل) ، إذن عمل الجوارح يحتاج إلى علم كالنحو والاخلاق والمنطق والفقه كلها تفيد الإنسان إلى أن يعرف على احسن التقادير موقفه أمام ا لله ويأتي بها . لكن بعض العلوم يؤدي انعقادها في النفس وتعلق النفس بها تعلقاً واقعياً حقيقياً إلى البعد عن ا لله .

نحن ربما نستخدم كلمة الإرادة استخداماً خاطئاً ، الإرادة عندنا بمعنى القوة وأن النفس تقدر على هذا الشيء ، الإرادة لها معنيان :

١- عندما نقول عن إنسان أنه مريد لفلان ، فهذا معناه أنه ليس فقط محب له ، المريد عنده تعلق بما يريده إلى حد أنه مستعد إلى أن يعشقه بكل ما يملك ، فالإرادة هي تعلق النفس وتعلق الروح بشيء هو عمل .

إذن الطريق بنفسه سالك بصاحبه ، هذا الطريق هو يسري فيك ، لو عرضنا بياناً عقائدياً إلهياً جاذباً للروح هل يستطيع الإنسان أن يرفض هذه الجاذبة ، كلا ، لأن هذا الطريق يسري بصاحبه ، لأن طريق العقائد يجذبك إليه ، هل تستطيع أن تبغض أمير المؤمنين ، إذا كان في قلبك محبة ، إذا كانت فطرتك صافية فقلبك بنفسه سوف يتعلق بالأمير (ع) لآن التعلق مثله مثل البيانات النظرية التي لا يمكن أن ترفض .

عندما نقول ١+١=٢ إذا اقتنع داخلك بهذه النتيجة لا تستطيع رفض هذه القناعة ، المهم أن يثبت المحمول للموضوع وتنعقد النتيجة فلا يكابر ، على الأقل هو قاطع داخل نفسه بهذه النتيجة ، بعض العلوم هي سلوك ، هي جذب ، وهذه تحتاج أكثر مما تحتاج إلى حدة ذهنية ، تحتاج إلى قلب سليم ، ما أكثر الروايات التي تريد أن تخلق قلباً سليماً لا فكراً جافاً سليماً ، نعم عندنا بيانات لكن القرآن الذي يتحدث عن كل شئون الإنسان ، وهذا شأن من شئونه وهذا مراده أن يكون قلب الإنسان سليماً .

عند ذلك إذا قلنا أن الله خلق المرأة بعاطفة أكثر مما في الرجل فإن هذا ليس منقصة ، المنقصة أن تصرف هذه العاطفة والمحبة في مورد ليس من مواردها أن تتعلق هذه العاطفة و المحبة تعلقاً خاطئاً ، ولكن عندما تتعلق هذه المحبة بموردها الصحيح تلقياً ووروداً وإصداراً وعملاً حتى إذا خرج الإنسان من

الدنيا لا تنقطع مسيرة المحبة ، لأن مسيرة المحبة مأمور بها بأتباع رسول الله (ص) والمرء محشور مع من يحب .

الطريق العلمي النظري ينتهي في الدنيا وحدوده المستفادة من المقدمات العلمية لا المعارف الإلهية تتضح قيمتها بعد الموت ، بعد الموت تظهر قيمة علوم كالطب والفيزياء والرياضيات حيث يظهر أن حدودها الدنيا وبعد الخروج من الدنيا والطبيعة لا غرض للإنسان بهذه العلوم ، غرض الإنسان هو التعرف على المعارف الإلهية، على معرفة آل البيت أكثر ، كلما ابتعد الإنسان عن عالم الطبيعة اتضحت وبانت له الحقيقة أكثر ، لاشك أن الذي يموت يعرف مكانه من رسول الله أكثر لأنه (ص) في السماء أحمد منه في الأرض ، ما معنى هذا ؟

معناه أن من يعرفه في الأرض يعرفه بحدود أرضية فلا يرى جمال الرسول (ص) ومحامده كمن يخرج عن حدود الطبيعة ، نحن نعرف الرسول (ص) بالآيات والروايات وكلها علوم آلية ، ولكن عندما تكون معرفتك للرسول (ص) معرفة ليس بينك وبينه لفظ ولا خطيب ولا معلم إلا أن ترفع رأسك وترى رسول الله ، لا تكتمل هذه المحبة إلا بالسير خلفه (ص) والسير خلفه ليس حدوده هذه الدنيا وبهذا القدر ، هذا سير دائمي ابدي ، بل إنك سوف ترى أثر رسول الله في ذلك العالم الذي ليس فيه إلا أيادي وتصرفات الحق سبحانه وليس هناك إلا هيمنته وقدرته ، سوف ترى أن أياديه هناك أطول ، واليد الطولى خير من اليد السفلى .

نحن نأخذ وهم (ع) يعطون ، إذا كانوا في هذه الدنيا على ضيق الطبيعة أعطوا ذلك العطاء ، في ذلك الأفق الذي لا امتداد ولا حد له ليس هناك إلا انعتاق وانفكاك وسوف يعطون أكثر بلا أي شك ،إذا عرفناهم بالروايات والمواعظ ففي ذلك العالم سنعرفهم أكثر ، لذا هذه البيانات كلما كان

الإنسان أصفى قلباً وأقوى تعلقاً وإرادةً فإن القـدرة والمحبـة إذا امتزجتـا معـا فهما بنفسيهما سير إلى رسول الله .

إذن الوصال وغرض الوصول هو غرض المحبـين العقـلاء الواعـين ، والأنـس بلذة الوصال والعلاقة والحديث وسماع بيانات رسول الله من فمه الشـريف ، هذا الذي يستذوق هـذه المعرفـة سوف يرى أن الطريـق بنفسـه سـالك بصاحبه ، بل داع وجاذب له ، وكلما كان قلبه سليماً كان متـأثراً أكثر ، معطاءً أكثر ، وكلما كان له قدم سبق أكثر .

أيهما أصعب الطريق البسيط أم الطريق المركب ؟

الطريق المركب أصعب لأنه مركـب مـن شيئين مـن قـال أن الإنسـان مـن الممكن أن يشخص ١٠٠٪ ومن قال أنه يمكن أن يعمل ١٠٠٪ بما شـخص ، لكن الروح التي تنعقد فيها المعرفة إذا كانت بحدها و بنفسها لهـا الأصالـة وهي الطلب وقلنا أنه ليس المقصود بها أنها عمل في الخارج، بيد أنها عمل في الداخـل ، إذا هُيئـت أرضيـة طـاهرة وإذا لم تتلـوث الفطـرة تسـمع هـذا الحديث وتقطع بمبادئه ، و إذا قطعت يقينا بالمبادئ سـوف تصـل بـلا شـك إلى هذه النتيجة ، وأنت تصل إلى من هو أكـرم منـك ، وأحـب إليـك مـن نفسك ، هذا الذي هو باخـع نفسـه علـى الكفـار فكيـف لا يكـون باخعـاً نفسه على المؤمنين ، بل حتى أن الله عاتب رسول الله على لطفه وأخلاقـه مع الكافرين والمؤمنين أحيانا .

بعض الآيات تتحدث عن جزئيـات أخـلاق رسـول الله (ص) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١٦٨] كـان المسـلمين إذا أرادوا أن

---

[١٦٨] سورة الحجرات – مدنية –آية ٤

ينادوا على رسول الله وهو في بيته يصرخون بأعلى أصواتهم يا محمد بكل جلافة وخشونة ، ولكن في الأيام الأخيرة للنبي تغيرت طريقتهم فأصبحوا يطرقون الباب بأناملهم إذا أرادوا مناداته (ص) هذا الأدب من أين ؟

أنه من نفسية رسول اله (ص) ،مع أنهم كانوا بدو أجلافاً إلا أن رسول الله كان يستحي منهم ، والله لا يستحي من الحق وهذا حق ، ومع ذلك لم يطالب (ص) بأدنى حقوقه والله يعاتبه على ذلك ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [١٦٩] لماذا تأتي لهم بالأعذار ، أنت تهلك نفسك ، كيف تعفو عن شخص أنت تعلم أنه كاذب ﴿ تَعْرِفُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ .

من يدرك لطافة شخصية رسول الله(ص) إلا من يريد أن يكون كاملاً في مجتمعه ، لطيفاً في تعامله مع الناس ، عنده قلب منشرح ، وإيثار ومحبة ، يحب أهل بيته وجيرانه ، أي قلب يسع كل هذا ؟ إلا أن يكون قلباً لإنسان له عاطفة فوق حد العاطفة المنتصفة عند الرجل ، وهذا هو حديثنا .

هناك فرق بين الحزم الذي هو ربط بين المقدمات ، والعزم الذي هو عمل الجوانح (**واشدد على العزيمة جوانحي**) هناك فرق بين عمل كل منهما ، أحيانا يأتي الإنسان بالعبادات والأعمال الجسدية ، وهذه مرتبطة بالجوارح ، ولكن هناك أعمال غير مرتبطة بحركة اللسان أو حركة الجسد إنما ترتبط بالروح وعلو الهمة ، وإرادة التعلق والمحبة والبغض والعداء والتولي والتبري و هذه أعمال جوانح ، وكما أن الشارع قرر ثواباً وأمراً ونهياً على أعمال الجوارح ، ضبط حركات الروح وجعل هناك قوانين لذلك ، وهناك أمور أمر الشارع بالارتباط بها ومحبتها وتهيئة الأرضية لقبولها ، كل هذه المقدمات تؤدي إلى انعقاد هذه التصورات الذهنية ، وتبعث من الفكر

---

[١٦٩] سورة التوبة - مدنية - آية ٤٣

والنظر إلى الروح والقلب فتنسجم مع النفس وتكون عملاً إلا أنه عمل جوانح .

وبمقدار ما يطلب هذا العمل الجوانحي علماً وتشخيصاً يطلب علو همة ومحبة ورقة ودقة في فهم هذه المطالب ، وكلما كان الإنسان أكثر رقة وأشف نفساً كان قلبه صيقلياً أكثر وكان أكثر قبولاً للحقائق ، والقرآن يعبر عن القلب الذي لا تنطبع عليه الحقائق بأن عليه رين ، والرين لا يحدث إلا على الجسم الصيقلي الشفاف ، قد يكون الإنسان مقتدراً من جهة النظر وحدة الذهن والربط بين القضايا والدقة في نسب المواضيع للمحا ميل والمحا ميل للمواضيع ، ولكن هذه الدقة إذا لم يصاحبها رقة وشد على الجوانح وعزيمة وإرادة وشديد تعلق وإرادة محبة سيكون هناك فاصل كبير بين التشخيص والعمل وهو ما يسمى بالحجب .

المحاضرة الثانية عشر

العدالة

في العلوم الإسلامية ثلاث مراتب من العدالة :

١- عدالة صغرى المتحدث عنها في الفقه .

٢- عدالة وسطى المتحدث عنها في الفلسفة .

٣-عدالة كبرى وهي ما يريد الفقيه أن يوصل الإنسان إليه .

عندما نقول إنسان عادل إما أن نقصد به في الفقه أنه لا يأتي بالمحرمات ولا يترك الواجبات فحتى لو كان بخيلاً و لم يكن سخياً ، فشهادته مقبولة ، مثل هذا عادل في الفقه ولكنه ليس عادل في الفلسفة و هذه هي العدالة صغرى اما العادل في الفلسفة فهو الـذي تكون صفاته الروحية معتدلة ، العادل بمعنى المعتدل روحياً، الشجاع ، السخي ، المعطاء ، المؤثر، القوي في ذات الله ، من تتجلى فيه أسماء الله عادل عدالة وسطى ، أما كيف تتحصل هذه العدالة ، فيبحث عنها في الفلسفة وعلم الأخلاق .

العدالة الكبرى في العرفان هي أن يكون الإنسان جامعٌ ومُظهرٌ بنفس الدرجة لكل الصفات الإلهية ، في العدالة الصغرى يؤدي الواجبات ويترك المحرمات ، في الوسطى قد يكون كثير العبادة خاضع لله ، لكن ليس عنده اعتدال في صفاته النفسية وليس عنده مبادرة مثلاً ، قد تكون فيه صفة

نفسية غالبة على صفة ثانية ، هذا الشخص عادل وأحسن من العادل فقهياً ، لكن أسماء الله ليست ظاهرة فيه بنفس الدرجة ، كثيرا ما نرى أشخاصاً مؤمنين متعبدين ولكن قلوبهم لا تطاوعهم أن يتكلموا عن ذلك الإنسان الفاسق مثلاً، في أيام الحرب العراقية الإيرانية طلبوا من العلماء أن يتكلموا عن الجيش العراقي بعد أن دخل صدام إلى الحدود الإيرانية ، فكان بعض العلماء يقول عن الجيش العراقي : شيعة مؤمنون لا نستطيع إراقة دمائهم !!!

ولكن الإمام الخميني الذي كان يذوب رقة وخجلاً أمام الله في الليل أفتى بقتلهم ، هذا النوع من العدالة لا يتحقق للجميع-، هذا هو الاعتدال الذي يكون فيه الإنسان صلباً في ذات الله ، حدث الكثير من المسائل في هذه الحرب وطلبوا من العلماء التحرك والتصدي للافتاء ولكن لم يكن عندهم قوة القلب التي كانت عند الأمام نتيجة للاحتياط الزائد ، ليس هذا عند العلماء فقط بل إنه موجود فيما بيننا إذا حدث وواجه الإسلام مصاعب وكانت هناك مسائل لابد أن ننكرها لأن فيها تضعيف للإسلام هل نقوم بانكارها كما هو مفترض فينا؟ هل في الإسلام مسألة (لا يطاوعني قلبي) ؟ أحيانا بسكوت الإنسان ورضاه يتخذ موقفاً سلبياً من الدين ، ولكن إذا لم تكن عارفاً بالحكم وليس عندك وجهة نظرشرعية في المسألة وليس عندك قطع لا بأس أن تتوقف ﴿ لا تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[١٧٠] ولكن هناك مسائل يعتبر التوقف عندها ضعفاً في الشخصية .

هناك فرق بين عدم القطع والضعف ، وهذا ما برز فيه الإمام ، فهو قد جمع كل هذا في حد واحد ، فهو أخوف الناس في عصره من الله وأشجع

---

[١٧٠] سورة الاسراء- مكية-آية ٣٦

الناس ، واشبه الناس بجده أمير المؤمنين (ع) في شجاعته ، واجهت إيران حرباً مدمرة لمدة ثمان سنوات ، وقفت تواجه العالم بمفردها وصبرت ، والكويت عندما دخلها صدام انقلب العالم من اجلها جيوش العالم أتت من كل مكان لتطرد صدام ، فقط الإمام صبر على ذلكووفقط الإمام الذي أعطى الفتوى بقتالهم ، بقتل هؤلاء الشيعة المترّبين في النجف وكر بلاء ، الإمام عرف ما سوف يكون عليه الوضع ، وهذه هي العدالة الكبرى ، أن يكون الإنسان مُظهراً لأسماء الله في حد واحد ، كل أعماله تذكر بالله ، حربه ، جهاده ، صلابته ، صيامه ،عرفانه ، توحيده ، وأخلاقه ، ربما الآخرون كملوا في شيء أخر كالعلم والمعرفة ، ولكن الإمام كمل في كل شيء .

هذا النوع من العدالة تستوي فيها المرأة والرجل كما استوت عاطفة الإمام مع عقله ، لو فرضنا امرأة ورجلاً في حد العدالة الصغرى ، نرى أنه لا فرق بينهما فيها لأنها ليست مسألة نفسية ، إنسان يصل إلى سن الخامسة والعشرين مثلاً ولا يقدر إلا أن يغتاب فهو مريض نفسياً ، من الطبيعي أن يخطئ الإنسان في هذه السن مرة ومرتين واكثر ولكن بعد كل ذلك يجلس مع جماعة تغتاب أشخاصاً لمدة نصف ساعة ولا يردِ عليهم هذا ليس فقط لم يستفد من التجربة وإنما هناك شك في فهمه لمعنى الغيبة فقهياً ، فهو يحتاج إلى دراسة الرسالة الفقهية من جديد ، لا فرق بين الرجل والمرأة في القيام بحدود هذه التكاليف والواجبات (عدالة الفقه) .

في العدالة الوسطى الكمالات الجمالية في المرأة أظهر ، لأن رقة القلب فيها اصلح لهذا الجانب ، لقد نهى الإسلام عن كثرة الكلام والذي يصمت قليلاً ينفذ هذا الصمت إلى نفسه فلا ينشغل بغيره ، ونهى المرأة عن كثرة الخروج من الدار ،وهذا مطلوب للمرأة لأن الإنشغالات الاجتماعية ليست من

شئونها إلا في حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما واجبان كفائيان ، من توفرت فيه القدرة على القيام بهما تعين عليه ذلك ، والباقون مأمورون بالمساعدة ، وليس الجميع ولاة أمر ، فلو تفرغ الجميع لذلك لاختلت الموازين في المجتمع .

امافي حدود العدالة الوسطى (صلاة المرأة في دارها ، استعدادها لاستقبال زوجها بالتزين وطبخ الطعام بالتعطر) كل ذلك في الفقه ، يرى أن ذلك افضل للمرأة ، ولكن ليس هذا لسان الروايات فقط، فالروايات لا تريد أن تحجز المرأة في البيت ويكون هذا نطاق عملها وحياتها وهدف ووجودها، لسان الشارع اعرف بالكمالات الواقعية التي من الممكن أن تصل إليها المرأة والعطاء الفعال الذي يمكن أن تعطية لخدمة المجتمع والارتقاء به ، ولكن يجب أن يكون هناك مسئولون عندهم كفاءة أكثر يطيعهم الآخرون ويهيئون لهم العلم والتعليم والمعرفة، خدمة الدين في حدود معينة ،في الحد الذي يراه أهل الخبرة أهل التشخيص مفتوح للجميع ولكن هناك حدود أخرى لذوي الخبرة والاختصاص، أما النساء فلسن مأمورات بحد معين لأن ذلك كما جاء في الروايات (أرخى لبالهن) إذا أردت من المرأة أن تهتم بكل الشئون الاجتماعية تكون قد شتت قواها .

الأحفظ للمخلوق الرقيق أن تشغله بشأنه، إذا انشغلت المرأة ببيتها وزوجها وأطفالها وحافظت عليهم ، فليس في هذا تحقير لشأنها بل هو وضع الشيء في موضعه ، ولكن بشرط أن يكون استغراقها في هذا العمل منتجاً لأطفال وبيت رفيع المستوى من حيث الأخلاق والإلتزام حيث توفر جوا من الكمال والمعرفة إذا استطاعت ذلك فهي محترمة بهذا القدر الذي زرعته من أخلاق وروايات وقرآن في نفس أطفالها وبذلك يكون كل المجتمع فيه روايات واخلاق ومعرفة والتزام.

على حد تعبير الشيخ جوادي المجتمع مأمور أن يفكر تفكيرا امومويا لا أبوياً لأن صلة الرحم مأخوذة من رحم المرأة ، كل المجتمع يجب أن يفكر كأنه أم واحدة ، فالأم العاقلة الحكيمة توزع الأدوار في البيت جيداً حتى تحسن إدارة البيت.

إذن معنى الكلام أن لا تستحقر المرأة دورها في بناء المجتمع ، وأن تقدر حجم المسئولية الملقاة على عاتقها ، بحيث تفجر كل طاقاتها في عملها هذا ، في مكانها الذي أراده الله لها وسوف تنجح بإذن الله، ولكن إذا دار الإنسان حول نفسه طويلاً فسوف يشتت قواها ، والله سيساعد من يتحمل المسؤليات الاجتماعية بالإضافة إلى تحمله مسئولية بيته وأسرته .

كما أن الفقيه يريد بتطبيق الرسالة العملية التي تسمى بالفقه الأصغر أن يبرئ ذمة المكلف فقط ، فالعارف يريد إيصال المكلف إلى القرب من الله وأن يتحقق المكلف بكل ما في الرسالة العملية واقعاً وحقيقة لا أن يأتي بالأعمال بشكل صوري ، الأعمال الصورية لا تبحث عن قبول العمل عند الله من عدم قبوله ، ولا تبحث عن صاحب العمل ارتفع واقعا عند الله أم لم يرتفع ، الرسالة تعلم الصلاة وأجزائها وشرائط صحتها ، واجباتها وأركانها ، وهذا عمل الفقيه .

أما غرض العارف أن يوصلك لكي تحقق هذه الحقائق ، العارف يقول أن التكاليف التي في الرسالة هي الصراط ، والصراط لابد أن يسلك ، والصراط ليس جسراً خشبياً يسلكه الإنسان (سارعوا ، سابقوا) ﴿ ولا تَتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ﴾[١٧١] ﴿ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا ﴾[١٧٢]

---

[١٧١] سورة الانعام –مكية –آية ١٥٣

[١٧٢] سورة العنكبوت –مكية–آية ٦٩

العارف يريدك أن تقطع هـذا الصراط وليس أن تتبراء ذمتك فقط ، لأن معنى براءة الذمة النجاة من النار والدخول للجنة على احسن التقادير ، وما يريده العارف أن ترى خزائن السماوات والأرض ، وأن ترى أيادي الله مبسوطة في هـذا الكون ، يريد أن تفتح قلبك لترى ما يراه أولياء الله الصالحين .

العارف هو مربي ومعلم ومشخص لمصلحة السالك على اختلاف الطرق المؤدية لله تعالى ،ولكل سالك طريق يتناسب مع ظرفية هذا السالك ، العارف هو الذي يُعلّم الإنسان أنك كما تطبق الرسالة ابتداء فالرسالة ليست إلا ألف باء التدين ،ليست إلا مقدمات حتى تهيئ الأرضية لشيء أخر ، أما إذا قطعت عمراً طويلاً تطبق الدين في حدود الرسالة العملية ، فأنت تكون كمن أُذن له بالدخول ولكنه لم يدخل ، من يدخل يرى ، أما من لا يتقدم فهو لا يعرف ، وأي فرق بينه وبين المجنون ؟ المجنون لا يدخل النار ولكنه لا يلتذ بمعرفة الله ولا يلتذ بالمعاني فهو ليس بصدد البحث عن هذه المعاني .

الإنسان الذي يكتفي من الإسلام بأخذ الرسالة العملية فهو مثل المسافر الذي هيئ جواز سفره ليدخل بلداً وعندما وصل للحدود وأعطى التأشيرة للدخول توقف و لم يدخل ، و لم يتعرف على هذا البلد و لم يعرف معالمها .

العرفاء يتحدثون عن السير في هذه المعارف وكيف قطعوا الطريق من مقطع إلى مقطع ومن زاوية إلى زاوية ومن مكان إلى مكان ، حتى يروا كل الزوايا ، وعندما يصلون للمحبوب الذي هو الله يدركون شيئا يدرك بالعقل والمعرفة ، وهو أن غرض الإنسان هو وصال الله وليس المطلوب فقط لذيذ الوصال ، وصال الله غرض العاقل العارف المدرك وهو إنسانية الإنسان .

لذا العدالة الصغرى لا تجعل الإنسان يرى شيئا ، بل هي على احسن التقادير لو جئنا بكل ما في الرسالة من تكاليف عل افضل وجه ، فمعنى ذلك أنه لا حجة لله علينا أن يدخلنا النار ولو اشتبهنا من جهة اشتباه الفقيه في فهمه للفتوى فنحن معذورون أمام ا لله لأننا لم نقف ما ليس لنا به علم ، وإنما اتبعنا فتوى هذا الفقيه .

أما العدالة الوسطى فكما أن الإنسان يقوم بجميع وظائفه الفقهية فهو أيضا معتدل المزاج فهو سخي لأن مزاجه معتدل ، والمرض عند الفلاسفة هو البخل ، من العدالة الوسطى أن تكون رحيماً بالمقدار الذي لا يتحول إلى خرق ، لأن بعض الرفق خرق ، حتى لا تكون غير متوازن في أعمالك وصفاتك الروحية ، هذه العدالة يُبحث عنها في الفلسفة ، والمفروض أن يكون أوساط المؤمنين بهذه الصفة فتظهر فيهم بعض الصفات الإلهية ، وهذا مالا يختلف فيه المرأة أو الرجل ابتداء، لا المرأة الكاملة و لاالرجل الكامل ، بل المرأة والرجل المتصفي الإيمان ، وهذا الحديث فيه يطول .

إذا قلنا أن القدرة على الربط والتشخيص النظري تعطي الإنسان حدة في الذهن وبالتالي حدة الإدراك ، ليس معنى ذلك أنها تلقي به في باطن العمل ، الدخول في بواطن الأعمال شيء أخر ،لذا الشارع بلسانه الحكيم قسم المسؤليات والوظائف العبادية والإجتماعية بما يناسب كمال كلا الاثنين ، عندما يرد في الروايات أن اهتمام المرأة بالبيت والأطفال والزوج له هذا الأجر الكثير ، ليس لسان الشارع لسان محاباة للمرأة فهذا العمل من المرأة يحتاج إلى صبر ومعناة وجهاد لا يستطيع وصفه إلا من قام بهذا العمل ، عندما وصف الرسول عمل المرأة بالجهاد في قوله(ص) **(جهاد المرأة حسن التبعل)** لم يكن مبالغا في وصفه ، هذا إذا فهمت المرأة ماذا يعني حسن التبعل.

هناك دقة في تربية الأخلاق المنزلية التي وراءها عرفان وإدراك ووعي ، ليس معنى كلام الشارع أنه يريد أن تنعزل المرأة مطلقاً عن العمل الاجتماعي لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية كل من الرجل والمرأة المؤمنين ، ولكن هناك وظائف تتناسب مع الذوق والرقة أكثر ، القرآن عندما يتحدث عن تأديب الأطفال في البيت ﴿ وإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم ﴾[١٧٣] هذا مفهوم أخلاقي ، تعليم الطفل إعطاء حرمة لكل شيء هذا عمل من ؟

عمل الأب أن يهتم بالقضايا الكبار لأن الجزئيات تحتاج إلى حلم وصبر وصدر منشرح ، فمثلاً التفريق بين الأطفال في المضاجع أو حفظ الكلام والأحاديث في البيت بألفاظ معينة والكناية عن الألفاظ غير اللطيفة واستبدالها بالفاظ الطف وأرقى ، هذا ليس عمل الأب ، رسول الله (ص) كان يكني عن كل شيء يستطيع أن يكني عنه ، وكذلك أهل البيت (ع) لم يجر على لسانهم أي لفظ يستطيعون أن يستخدموا لفظاً الطف منه ، فمثلاً لو أردت أن تقول للطفل أن هذا المكان نجس ، قل له أنه غير طاهر ، بإمكانك استبدال بعض الكلمات باخرى الطف منها .

الإمام الصادق (ع) كان إذا تلفظ شخص أمامه بكلمة غير مناسبة كان يطلب منه أن يغيرها بأخرى أفضل منها ، هذه مسائل جزئية لكنه تحتاج إلى ذوق راق ، وهذا ليس اهتماماً بالتوافه إنما هو نوع من تقسيم الوظائف في المجتمع الأفضل ، إذا لم يبداء الإنسان منذ طفولته تعلم الكناية واختيار الألفاظ فسوف يعبر عن مراده بصراحة وخشونة ، وكل ما يزعجه أو يؤذيه سيعبر عنه دون مراعاة لمشاعر الآخرين ، وبهذا الأسلوب في التعامل

---

[١٧٣] سورة النور - مكية - آية ٥٩

لن يستطيع الاختلاط بالناس أو التعامل معهم ، في البلاغة الكناية ابلغ من التصريح ، والكناية هي استخدام المجازات في الكلام ، عدم استخدام المباشرية ، أن لايكون الإنسان مكشوفاً سطحياً ، إكساب الطفل هذا العمق والغزارة عمل من ؟

كل هذا يأخذه الطفل من البيت الذي رباه على حُسن اختيار الكلمات واستخدام عبارات الثناء ، هذه الطريقة في التربية نجدها واضحة في سنة آل البيت (ع) وفي الحياة الأسرية للزهراء (ع) ، وهذا من أوضح المسائل التي حرص الأئمة (ع) على تعليمها للشيعة .

- إكساب الطفل هذه المهارات وإيجاد الجو الأسرى الصافي عمل الأم ، فالأم هي التي تعلم الطفل كيف يطرق الباب ، كيف يأكل ، كيف يشرب ، كيف يلقي التحية ، كل شيء ، إذا تعود الطفل على هذه السلوكيات منذ نعومة أظفاره اقتضته الإقتداء بها طول حياته (**لسانك يقتضيك ما عودته**) إذا عودت لسانك على نمط معين من الكلام استمر معك طول حياتك ، نلاحظ في حياتنا الاجتماعية أن كل بيت له طريقة معينة في الكلام وعبارات خاصة يستخدمها ، كل بيت له حيثية معينة ونور معين (**من قطع أصحاب والده فقد اطفاء نور بيته**) ليس المقصود نوره الإيماني بل النور العائلي ، هذا النور والحيثية المعينة والحفاظ عليها ليست كلها من شئون الرجل ، ٩٥٪ من الحفاظ على هذا الجو مسئولية الأم .

فأي مسئولية عظيمة ملقاة على عاتقها ، وأي نحو من التحرك عليها أن تتجه نحوه ، تعليم العقائد والفقه ومحبة آل البيت (ع) كلها المرأة مسئولة عنها ، أرضية هذه العلوم بيد الأم ، فهي كمن يفتح جامعة أو حوزة وربما مسئوليتها أكبر من مسئولية إدارة حوزة ، أن تتعامل مع منطق الطفل فترفع

منطقه إلى منطقك ، هذا يحتاج إلى فن وعلم وغزارة وقلب منشرح واسع ، وحنان دافق ، وهذا كله عمل الأم وفي حدود مسئولياتها .

أما في حدود السلوك إلى الله فكلما كان قلب الإنسان متعلقاً أكثر بهذه الحقائق كلما انطبعت في جوانحه وأدركها أكثر لذلك إذا أعطيت المرأة وظائف أخرى ليس إلى لا بدل ، وإنما هناك بديل وفي المقابل هناك وظائف للمرأة لا يمكن أن تستبدل أو يقوم بها غيرها ، وهذا نوع من تقسيم الكمالات ، فالتربية تحتاج إلى علم يسبق الحلم ، إلى ذوق ، وإلى لسان ، إلى سعة بال وأفق حتى تخرج الأم طفلا إلهياً ، وهذا ليس حدا و إعطاء وظائف جزئية ، إنما هو وضع الأشياء في مواضعها فهناك فرق بين الحد والتقييد ووضع الأشياء في مواضعها ، فأي شيء مهما كان جميلاً ولكن وضعته في غير موضعه لن يكون مثمراً ، كمن يكون متوجها لله في ليلة الجمعة ويذهب للدعاء ، فيحدثه إنسان ما عن موضوع لا يمس حياته أو في قضية ثانوية ، فسيجد نفسه لا يتفاعل مع هذا الشخص ، لأنه وضع الشيء في غير موضعه .

كذلك تقسيم الوظائف في الإسلام ، لا تقل أن الإسلام لم يعطي المرأة حقها وقيمتها ، أولاً لنضع الأشياء في مواضعها ثم ننظر ، سنجد أن الإسلام في تقسيمه للوظائف لم يحدّ قدرات المرأة بل استثمر طاقاتها ونماها بما يتجاوب مع طبيعتها وفطرتها للوصول بها إلى أفضل النتائج ، فطرة الرجل والمرأة واحدة فهما مفطوران على توحيد الله ، ولكن هناك فرق بينهما من جهة الطبائع (**كل ميسر لما خُلق**) فهي أميل للعاطفة والإثارة ، وهو أميل للخشونة ، لذلك قُسمت الوظائف التي لها عمق في النظر الإسلامي ، علينا أن لا ننظر للوظائف من فوق ونقول أنه ليس هناك تساوى في الإسلام .

الإسلام يضرب باطنابه في أعماق الواقع وهذا نحو من تقسيم الكمالات ، وعلى هذا البناء من التقسيم يكون الحد المتوسط من المرأة له كمال بطريق معين والحد (في قوى معينة سرعة التأثر إذا كانت مبنية على قواعد إلهية سوف تكون أبين وأوضح) سوف يكون منتصف الإيمان من الرجال من لم تعتدل فيه قوة الجاذبة والدافعة وسوف يكون الغضب فيه أظهر إذا كان لوجه الله أكثر ،ولكن كلما كمُل الإنسان استطاع أن يرمم هذا النقص الطبيعي بفطرته ، ما معنى هذا ؟

لو افترضنا إنساناً لا يميل للعمل الإسلامي كثيرا (طبعا يقوم بواجباته من صلاة وصوم وغيرها) في الواقع نحن لم ننتهي من حد الواجب أبدا حتى نتكلم عن هذه الكمالات وإنما نتحدث عنها على سبيل البحث النظري ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له حد واجب وحد مستحب ، مع ملاحظة أننا مع الأسف لم نقم بحد الواجب ، لو فرضنا أن هذا الإنسان قد قام بحد الواجب ورأى كافر يريد أن يتزوج بمسلمة فماذا يفعل ؟

الفقهاء لا يجوزون زواج الكافر من المسلمة لأنه بمثابة وضع اليد عليها ، والولاية عليها ، السكوت معناه انك تجعل للكافر ولاية على مؤمن ، وهذا غير ما أراده الله ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[١٧٤] إذا كان الفقهاء يحرمون زواج الكافر من المؤمنة فكيف وكّل مقدرات المسلمين بأيدي الكفار يتصرفون فيها كما يشاءون ، كيف ترفع أيديهم عنا ؟

هذا عمل لا يستطيع شخص واحد بمفرده دفعه ورفعه ، هذا أمر يحتاج إلى مؤسسات كبار وقوة واموال حتى تستطيع أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، إذا عرفنا هذا أدركنا أننا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[١٧٤] سورة النساء – مدنية –آية ١٤١

لم نقم بحد الواجب ، حتى نقول يستحب للمرأة أن تذهب لمجالس التوعية والذكر أو لا تذهب ، دعنا نهيئ أرضية الواجب أولًا ، فأي شخص يقاطع مجالس الذكر قد ارتكب محرماً ، لماذا؟

في القرآن ما يسمى بالأمر الجامع ، الأمر الجامع ليس الصلاة والصيام ، هذه أمور فردية الأمر الجامع ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾[175] مثل هذه الدروس أمر جامع ، صلاة الجماعة أمر جامع ، هذه أمور جامعة تجمع المسلمين و توحد قواهم ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ هذه القوة والصلابة والإستحطام يجب أن توجد سواء وجد عدو أو لم يوجد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ ليس معناها وقت القتال يقاتلون صفاً ، لأن الذين لا يحبون بعضهم قبل القتال من المستحيل أن يحبوا بعضهم أثناء القتال بل سيتنازعون أكثر.

بعد ذلك فلننظر هل أدينا عشر الواجب ، عندما نؤدي الواجبات نبحث عن العدالات ، فلا نجعل المستحب من الأمر بالمعروف يزاحم العناية بالأسرة لأن ذلك سوف يخل بالمجتمع ، ولكن لو كان نظام المجتمع مختل بالفعل من القاع والقيع ، وكان بساطه مختلاً ليس بساط المجتمع بل بساط الدنيا كله مختل ، عندها تتغير المسائل ويصبح المستحب واجباً ، حتى تنتهي هذه الفوضى التي يرفضها الإسلام ، ونهيئ أرضية ثابتة صحيحة فإذا انتهينا من ذلك ، إذا كان العمل الاجتماعي يناسب الرجل اكثر تركناه له ، وليس للمرأة أن تقول لماذا لا اصل لله ، لأنها شغلت نفسها بمسائل لا تتناسب

---

[175] سورة النور- مدنية -آية ٦٢

مع ظرفيتها ، كل له ظرفية ، وكل له قدرات ، وهذه مسألة واضحة ، لا تحمل الإنسان فوق طاقته ثم تحاسبه على التقصير.

طبعا هذا في حدود الإنسان المنتصف ، لكن الأكثر إيماناً وعلماً وإدراكاً سوف تكتمل كل قواه سواء في الحدود الإجرائية والعملية والوظائف الاجتماعية ولن تتزاحم مع إمكانياته الإلهية ، طبعا الرجل المنتصف [والتعبير للشيخ] أقل تأثراً وخشوعاً من المرأة المنتصفة ، وعزيمته واندفاعه أقل منها في هذه المسائل ،والمرأة سوف تكون أجبن إذا دخلت في أي موضوع من الرجل المنتصف ،أن تكون المرأة اضعف في العمل الاجتماعي هذا ضعف فيها يجب أن ترممه ، الكمال أن يكتمل الإنسان من كل حيثياته ، من كل جهة ، فلا يتصور من لا يحضرون المجالس أن عدم حضورهم كمال ، بل هذا نقص فيهم ، في دعاء كميل (**واجعل حالي في خدمتك سرمدا**) الكمال أن يكون حاله في خدمة سرمدية لله ، كل حياته سرمد مع ا لله ، هذا يسمى عادلا ، والعادل ليس المقصود منها من تقبل شهادته أمام القاضي في محاكم الدنيا ،بل هو من اعتدلت قواه بحيث يقبل ا لله شهادته ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةِ وَأُوْلُو العِلْمُ قَائِماً بِالقِسْطِ ﴾[١٧٦]

ا لله يقسم الناس إما ضمن الحدود الطبيعية فلا فرق بينهم وبين الجبال والأرض والسماء الموت إلا العلماء منهم مختلفون ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾[١٧٧] فهم ليسوا مختلفين من جهة اللون أو الشكل أو الحيثية أو اللسان ، أولئك مختلفين من كل جهة ، هؤلاء هم الذين يجب أن تقوم عليهم أكتاف المجتمع الإسلامي ، هؤلاء الذين يسعى الإسلام إلى تربيتهم

---

[١٧٦] سورة آل عمران–مدنية –آية ١٨

[١٧٧] سورة فاطر– مكية آية ٢٨

وتعليمهم بالنهاية إلى حاكميتهم في هذه الأرض ثم يكونوا خلفاء الله في أرضه،عند ذلك سوف تعتدل قوى الإنسان الجاذبة والدافعة ،محبته وبغضه وعدائه واشتداد عدائه لأعداء الله .

تخطيط الإنسان وهمته وعزمه ، بمقدار ما هو عازم على قيام الليل فهو عازم على حمل الأمانة الإلهية ، فهو على بينة من أمره في كل شئونه وملابساته عند ذلك يكون عادلا عدالة كبرى ، العدالة التي يريدها العارف المقتدر الذي يعرف أي جناح يرفع وأي جناح يخفض وفي أي وقت ليستطيع أن يطير لله ، هذه الجملة كثيرا ما رددها العرفاء [**أي قطع هذا الذي تقطعون به ، هذا الطيران الذي لا يصل إليه أي طائر إلا بخفض جناح ورفع اخر حتى يستطيع الارتفاع عن حدود الطبيعة ويصل إلى مقاصده فلا جاذبة هناك تجذبه حتى يكون هناك صفيف ودفيف ، ليس هناك إلا الصفيف ، الصافات هم الذين يرتفعون فوق حدود الطبيعة**] فقط مادمت في حد معين يجب أن تعدل قوى على حساب قوى أخرى ، إذا اصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤذي إيمانك توقف لفترة ، حتى تستطيع أن ترمم ذلك النقص الروحي ، بعد ذلك ارجع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخذ من هذا وضع في ذاك ، وخذ من ذاك وضع في هذا ، لكن هذا ليس دائما .

يقول العرفاء : [**طيرانكم الذي لا تصل إليه أقوى الطيور واصلبها ، لأنكم تخرجون من حد الطبيعة ، فلا تحتاجون إلى مقاومة الهواء بخفض جناح ورفع أخر ، وإنما هناك صفيف وصفيف إلى مالا نهاية**] هذا الكلام فقه ولكنه أعلى شأننا من أن يلمسه أي إنسان لأنه كُتب ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [١٧٨] لا يمسه إلا العارف المطهر الطاهر ، إنما يُتحدث بهذا الحديث بما هو ارفع من الفقه

---

[١٧٨] سورة عبس –مكية –اية ١٥

الأصغر ، ويطلق عليه العرفان الأكبر ، قياسا على رواية (**جئتم من الجهاد الأصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر**)..

ذكرنا في العدالة الوسطى أنه إذا كان هناك تفاوت بين الرجل والمرأة فلا إلى غير بدل ،وإنما ظهور بعض الكمالات في المرأةلأنها عليها اقدر ، اوظهور البعض الآخر في الرجل لو قلنا أنها في الرجل أمكن فإنه عليها اقدر ، ليس معنى ذلك أن هذا الكمال افضل من ذاك .

ولكن إذا اعتدلت كل قوى الإنسان وكان مظهرا لجميع أسماء الله فعند ذلك كل كمال سوف يرمم الكمال الذي في الطرف الأخر ، معناه لو قلنا أن المرأة لها القدرة أن تخضع وتسلم وتستكين لله أكثر، و الرجل في مقام الهمة والتصميم أقوى، فعليه عند ذلك بهمته أن يرمم هذا النقص ويتعلم كيف يخضع لله ،وكيف يبين عبوديته لله أمام الله ، نعم وإن كانت المرأة في ذلك المقام أكمل والطريق لها أيسر ، فليس معنى هذا أن كمال الرجل في الطرف الأخر لا يرمم هذا النقص الموجود فيه،وكذلك بالنسبة للمرأة لو كان قلبها إلهي الميولات فعند ذلك حتى القوى الغضبية فيها سوف تسري بالحقد على أعداء الله ، وترمم حالة الغضب التي ربما تكون انقص فيها ، فترمم كل قوى أختها،وبهذا الدفيف وظهور الرفع والخفض والرفع ممكن أن يصل الإنسان إلى العدالة الكبرى ، ويصبح مظهرا لأسماء الله فلا يعود فيه نقص ويكون معتدل القوى بل كاملها .

المحاضرة الثالثة عشر

السفر إلى الله

السفر لله يتفاوت في نتيجته فهناك من يصل إلى الجنة، وهناك من يعطيه الله الأمان من نار جهنم ، ولكن هناك من يعطيه الله نعمة لقاءه ، ولقاء الله لا يتم إلا باختيار الزاد الموصل إلى الغاية ،هناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن الزاد ﴿ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[179] الزاد إما أن يوصل الإنسان إلى أخر الطريق إلى لقاء الله ، وإما أن لا يوصله إلا إلى منتصف الطريق ، ولكن أي زاد يأخذه الإنسان معه ؟.

آيات الحج تتحدث عن القربان الذي يقربه الحاج لله تعالى ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُم ﴾[180] الآية تقول : هذه اللحوم والدماء لا تصل إلى الله ولا ينالها ، هناك شيء أخر يصل لله وهو التقوى ، والتقوى لأنها وصف والوصف لا يوجد بلا موصوف ، وليس هناك وصف موجود في الخارج والموصوف غير موجود أصلاً ، الوصف لا يتحقق إلا بالأصل الذي هو الموصوف ،الوصف عارض مثل الصبغة التي تصطبغ على الشيء ، فلابد أن يكون هناك جسم حتى تجعل عليه الصبغ ،

---

[179] سورة البقرة-مدنية - آية ١٩٧

[180] سورة الحج-مدنية-آية ٣٧

كذلك التقوى لابد أن يكون هناك متقي واصل ينال الله ، والنيل غير الوصول ، النيل وصول باهتمام .

ليس كل زاد يوصل الإنسان لله ، نعم هناك زاد يوصل الإنسان للجنة ، هذا حده بمقدار ماأخذ هذا الإنسان مقدار من الطاعة ومقدار معينا من المعرفة ، والتعلق بالدين ، بمقدار تعلقه يمكن أن يتخلص من النار ، هذا مقدار حسن وجيد ، ولكن بقية الطريق يحتاج إلى زاد أخر ، إلى معرفة أخرى و يحتاج إلى تعلق أخر ومحبة أكثر حتى يقطع بقية الطريق هذا الزاد هو التقوى ، ﴿ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[١٨١] ﴿ واتَّقُونِي يَا أُوْلِي الألْبَابِ ﴾ ما معناها ؟

معناها أن العقل من الممكن أن يحمل من الزاد ما يوصل الإنسان في سير ابعد بكثير مما قد يحمله الجسد من الطاعات ،ليس كل الطريق يقطع فقط بالطاعة .

المعرفة والطاعة والإيمان والتعلق كل هذه زاد الطريق ، بأي مقدار تعرف عن الله ،وأي مقدار تعرف عن أهل البيت ، بأي مقدار أنت تحب ، بأي مقدار أنت متعلق ، بعض هذه التعلقات التي عند المؤمنين مستوى هذا التعلق أن يخرج المؤمنين من نار جهنم ، وهذا أدون مستوى ، في الروايات أن الذي يحب أمير المؤمنين لا تمس جسده النار ، هذا المستوى من المحبة كأنما هو دهان يدهن جسد المؤمن فلا تمسه النار ، ولكن هناك مستوى من المحبة الجاذبة تجعل الإنسان يقطع اكثر إذا تزود أكثر بالعلم والمعرفة والولاية لذا يقول ﴿ اتقوني يا أولي الألباب ﴾[١٨٢] أحيانا يتقي الإنسان النار ﴿ اتقُوا

---

[١٨١] سورة البقرة-مدنية-آية ١٩٧

[١٨٢] سورة البقرة -مدنية -آية ١٧٩

النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[183] وهذا مستوى من التقوى ، أحيانا الله يرّغب في الجنة ، لكن عندما يتحدث عن اتقاء النار لا يتحدث عن اللب .

عندما يتحدث عن اللب يقول أن المعرفة العقلية تجعل الإنسان يشتعل محبة لله ، وهذه المحبة ليست زاد منتصف الطريق ، لأن الذي يحب لا يرضى إلا بالوصول إلى محبوبه مهما أُعطي من جنات وعيون ونعم ، في أخر الآية يعني إذا أردتم زادا يبلغكم الطريق اتخذوني أنا زاداً ﴿واتقوني يا أولي الألباب ﴾ لأن الله يريد من الإنسان أن يرمي ببصره إلى أخر المطاف ، ويجعل له طموحاً لا متناه ، لذلك كلما وصل إلى نقطة ما يرى أنها ليست غايته وليست النهاية ، فلا يستقر ولا يهداء ولا يستكين ما لم يصل إلى هدفه ، لذلك الجنة هي دار القرار التي يستقر فيها الإنسان .

إذا كان الإنسان ذو همة عالية وزاد كبير سوف يصل إلى نهاية الطريق ،ولن يقف في المنتصف ،لأن الذي يبحث عن العدالة الكبرى ، وأن يكون مطيعا لله ليس بجسده فقط ، الذي يريد أن يكون تعلقه با لله بحيث لا يستقر أو يهداء كما في مناجاة المحبين للإمام زين العابدين (ع) **(يا روحي وراحتي ، يا نعيمي وجنتي ، يا دنياي واخرتي)** هذا ليس كلاما علميا ، هذا كلام محب يقول أنت نعيمي أنت جنتي ، بهذا الزاد يصل إلى لقاء الله ، وهذا الزاد لا يتعلق به إلا القلب والعقل وليس الخوف من نار جهنم ، عند ذلك حتى لو وصل هذا الإنسان إلى أعلى المراتب الإيمانية سوف يقول آه ، آه من بعد الطريق وقلة الزاد ، الإمام (ع) قال هذا الكلام وهو واصل لأسماء الله تعالى وقاطع للطريق ، وليس قصده أنه لم يصل ، ولكن تعلقه

---

[183] سورة البقرة – مدنية –آية٢٤

وطموحه أكبر من ذلك ، لذلك يرى الطريق بعيد جدا ، ولكن نحن لأننا لا نعرف لا نرى بُعد الطريق .

إذن بمقدار ما عندنا من زاد بمقدار ما سوف نقطع من الطريق .

نحن لا نبحث الآن عن الطرق إلى الله وكيفية الوصول إليها ، إنما مرادنا أنه ليس للإنسان حد معين ينتهي إليه ، بل المفروض أنه في حالة تكامل مستمرة لترميم قواه حتى يصل إلى الله، ويتقي نفس الله ،يتقي الذات الإلهية ، يتقي رب العالمين ، لا يتقي النار ولا يخاف على نفسه ، ماذا يعني أن يتقي الإنسان الله ؟

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[١٨٤] ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[١٨٥] هذه من أدق الآيات التي تتحدث عن تقوى ذات الله ، الله لا يحذرك نار جهنم ، وإن كان يحذرك منها لكن في مرتبة ثانية ،الله يحذرك ذاته ونفسه ، أفترض أنك جُعلت في جنة لا ترى فيها محمد (ص) وآل بيته (ع) هل لها نفس مقام جنة يزورها رسول الله (ص) ؟؟ هناك من يزوره الرسول سنة، وهناك من يزوره شهرا وهناك من يجاور رسول الله (ص) .

إذن كلما اعتدلت قوى الإنسان وكلما رمم رجلاً كان أو امرأة النقص الذي فيه يصبح بحد المعصومين وعلى حد أولياء الله الصالحين .

شئون الإنسان :

إذا عرفنا بدقة الفرق بين الشئون المودعة في ذات الإنسان ، سوف نعرف في أي شأن الرجل والمرأة يمكن أن يكتملا ، وفي أي شأن أحدهما يمكن أن يكتمل أسرع من الأخر .

---

[١٨٤] سورة آل عمران – مدنية– آية ٢٨

[١٨٥] سورة البقرة –مدنية – آية ٢٧

الإنسان له شئنان :

قوى نظرية ، وقوى عملية ، تكلمنا عنهما في ما سبق ،وبين القوتين حجب، أحيانا حجب نورانية و أحيانا حجب ظلماتية ، ما معنى هذا ؟
الذي يردده العرفاء أن هناك حجاب بين ما يعرفه الإنسان و بين ما يقوم به ، بين العقل النظري والعقل العملي ،ولكن ما هي هذه الحجب ؟
حتى نوضح هذا المطلب نشير إلى مثال حسي يضربه الإمام الصادق (ع) لهذه الحجب التكوينية ، أحدهم سأل الإمام الصادق (ع) عن التوحيد ، وطلب أن يبرهن له عن وجود الله سبحانه ، وفي البيت كان هناك طفل في يده بيضة ، أجاب الإمام الرجل بمقتضى ظرفية وحمل هذا الرجل ، أراد أن يثبت له وفق برهان النظم الموجود في هذا الكون ، قال له الإمام ما الذي ترى في هذا الصندوق الضيق الذي فيه مائعين ، أصفر وأبيض ، وبين المائعين حجاب رقيق ، أضعف و أرق من المادة البيضاء والمادة الصفراء ،إلا أنه مهما تحرك هذا الصندوق فلا الصفار يختلط بالبياض ولا البياض يختلط بالصفار ، ما الذي يحفظ الحجاب الرقيق من الاختراق ويجعله سدا بين المادتين ؟
فاجاب الرجل الذي يحفظه هو الله ،إذن في هذا الكون حجب ربما تكون رقيقة جدا إلا أنه لوجودها لا ينفذ كل من الشأ نين في الأخر .
الآن نأتي إلى البرهان العقلي ، الإنسان فيه شأن نظري يفكر ويدقق في المسائل أو يُشخص ، والمفروض أن الإنسان دائما يبحث عن البرهان في كل مسألة ، ويبحث عن الدليل وعن السلطان – على حد تعبير القرآن – في أي مسالة حتى يؤمن بها ،و هذا شأن القوى النظرية .

وفي الإنسان قوى عملية ، وبهذه القوى يحب ويبغض ، ويتعلق ويصمم ، يعزم ويريد ، وبين هاتين القوتين حجاب ،ولأن الروح مجردة فهذا الحجاب مجرد ، وإدراك هذا الحجاب يحتاج إلى تدقيق كثير حتى يعرف هذا الإنسان كيف أنهما لا يختلطان فيه ، شئون العقل النظري وشئون العقل العملي بينهما حجاب رقيق ، لذلك الإنسان يفكر ويفهم ، ولكنه لا يستطيع أن يحُب ما يفهمه ، بعض المطالب يفهمها بعمق ويشعر أنه يحلق بفكره بعيدا معها ، ولكنه في النهاية لا يعمل بما يشعر ، لأن هناك حجاب إما غليظ أو رقيق بين الشعور والعمل .

- اغلب الناس في المستوى المتوسط عندهم حجب ظلماتية نتيجة للذنوب ، كالكسل ، اللامبالاة ،وغيرها ، وهذه كلها حجب تمنع الإنسان من أن يعمل بما يدرك ،وإلا فليس هناك ألذ من نفس السير إلى الله تعالى ، فليس هناك شيء موافق للنفس أكثر من قربها من الله ،

لماذا يصبح عند النفس نوع من العناد وعدم التسليم للفكر ؟

لأنه على مستوى الحجاب يكون العناد ،إذا كان هذا الحجاب ظلمانياً وكان كثيفاً جدا فإن الإنسان يسمع المواعظ ويدركها عقلياً ونظرياً ولكنه لا يعمل بما يدرك ، لأنه لم ير ، لأن الحجب تمنع الإنسان على أن يعمل ما يريد ، لو أن الإنسان كل ما يقتنع به يأتي به لما كان هناك فاصل بين الاقتناع والعمل ، بين البرهان والعمل ، بين الدليل والعمل ، ولكن لو لاحظنا أي فا صلة ضخمة وأي حجاب كثيف بين ما نعتقد به جزما وبين ما نأتي به ""

كلنا نعلم إننا نموت ، وكلنا نعلم أن غير مناجاة الله والانقطاع لله لا ينفع وبالرغم من معرفتنا هذه فإن أنفسنا لا تطيع ولا تنقاد لأن هناك حجب

ظلماتية ، الذنوب ، المعاصي ،اللامبالاة، الكسل ، قلة المرؤة ،قلة العدالة ، ضعف الهمة ، التعلقات ،هذه كلها حجب ظلماتية .

وهناك أيضا حجب نورانية ، وهذه مهمة جداً ،ولكن ما هي الحجب النورانية ؟

لشرح هذه الحجب نضرب مثالاً دقيقاً من الجهة العرفانية : نحن إذا أردنا التوجه لله والشعور بالخشوع نحتاج إلى قرأة الأدعية والمناجاة،وحتى نتفاعل مع الدعاء نحتاج أن نفهم الألفاظ الواردة لأنها أوعية المعاني ، مناجاتنا هذه تحتاج إلى لفظ ،و اللفظ لإدرا ك معناه نحتاج إلى المفهوم والتصديق والتصور وكل هذه حجب نورانية،يعني هي نور ،ولكن هذا النور حجاب لفظي ومفهومي عن المعنى الذي يمكن أن نصل إليه مباشرة دون لفظ ، المناجاة موصلة لله ، ولكن العرفاء يريدون الوصول إلى المحبوب بلا مناجاة ، بلا لفظ ،لأن المناجاة محدودة بالوقت محدودة بفراغ البال والتوجه ، و مطلوبهم أكثر من السير إلى الله ،لذلك فهم مع وصولهم لله وقيامهم بالطاعات إلا أنهم يرون هذه الألفاظ حجاب بينهم وبين الله ، حتى رسول الله حجاب نوراني ، بمعنى أن هذا المقام الذي وصل إليه رسول الله (ص) يمنع باقي الأنبياء من الوصول إلى مقامه لأن هذا منتهى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان ، بل أنه حتى محبة العرفاء لله تشعرهم بالغم لأن أرواحهم لا ترتفع لتصل إلى المستوى الذي تتعلق فيه قلوبهم بالله تعالى

(شعر عرفاني : أنا ناجيت محبو بي وقلت له أن غمك ساكن في سويداء قلبي ،كثيرا ما أهم بأن أصل إليك ولكن لا أصل ،لقد استقر كل همك والآم بعدك في قلبي لأني أرى حجاب بين ما أريد وبين ما اعرف وما أنا فيه ، أنا في شيء والذي اعرفه شيء اخر بعيد عما أنا فيه ، لذا يا إلهي كل غمك فيني .

يرد الله عليه : لا تخاف أنا رب ،أنا كل غرضي أن ارفع همك .

يرد العارف : إلهي كن أنت قمري ، أنت شع في نفسي ،لا تشغلني بغيرك .
يقول الله :لو كنت لائقاً لشعيت فيك ، صحيح أنا أعطيي وأشع ،ولكن صِرْ أنت لائقاً لأشع فيك .
يرد العابد : تعلم الوفاء من أهل الوفاء ، وأنت أوفى الأوفياء ،أنت خذني واجذبني إليك ،أنا لا أستطيع أن اصل ،هل رأيت عندي ما يمكن أن يوصلني إليك ؟
يرد الله عليه : إن حسان الوجه من الناس الكُمل لا يأخذون أي واحد ، من كانت يده مبسوطة تطال الجميع لا يحب الجميع ،إنما يقع إعجابه على المخصوصين منهم فيختار منهم ويقول لمن اختاره أنا أريك حتى يقع إعجابي عليك حتى إذا أخذتك كنت صالحاً أن تحضر في مجلس القدس .
العابد : إذا كنت بعد كل هذا التعب لم أعجبك ،فسأصعد إلى الجبال لابتعد عنك واشتغل بغيرك .
فقال له : اذهب هل تستطيع أن تتخلص من حبي ؟ لا تستطيع أنا فيك ، لا تستطيع الفرار مني لأنني اسكن في ذاتك ،أينما تذهب لن تبتعد عني إنما تشغل نفسك فقط ، فيزيد الملك ،وتكثر حجبك جرب ،اذهب واشتغل .
العابد : مولاي لاشيء بيدي أستطيع عمله ،لا علم لدي ولا يد و لا رجل ،لا وسيلة لدي ، أنا فقير محتاج إليك .
الله :الآن عندما عرفت حقيقتك وأنك فقير محتاج ، الآن فقط أقول لك أنا رحيم ، أنا رءوف ،أنا أعطيك وارفعك.
بعد ذلك يجذب الله العبد إليه ويعطيه ويوصله إلى لذة الوصال ، فيتدلل العبد على مولاه ، فيمهله الله فترة يرجع فيها إلى نفسه ، فيزداد العبد في الدلال ، فيتركه الله ويقول له أنت لا تكتفي بما أعطيك كلما أعطيتك طلبت أكثر .
العابد ينتبه إلى نفسه : إلهي أرفع الحجب النورانية عني .
الله: إذا كنت تريدني أرفعْ أنت كل الحجب التي بينك وبيني ، أنا أتعامل مع عبيدي بهذا الشكل الذي يريدني لا بد أن يتحرك باتجاهي ، أنت ارفع الحجاب وادخل)

هذه حجب نورانية ،هي بنفسها لذيذة لبعض الناس ، ولكنها للبعض الأخر عذاب ،رفع الحجب الظلماتية والنورانية يعني اندماج القوتين بحيث يكون ما يعرفه الإنسان هو قدرته واقتداره ،لذلك عندما يتحدث الفلاسفة عن شأن رسول الله (ص) يقولون علم رسول الله عين قدرته ،وقدرته (ص) عين علمه ، ومعرفته عين إرادته ، و إرادته عين علمه ،ليس هناك حجاب ،وهذا المطلب واضح أيضا في شخصية الزهراء (ع)فهي عين ما تريد تعمل ، كم دخل عليها رسول الله وهي في حالة مناجاة لله لا يصل إليها بشر ،مثل الزهراء (ع) التي تقضي الليل تدعوا لجيرانها !!

مثل هذا لا يقدر عليه إلا المحب العارف ،العارف يقضي الليل يشكو حبه وهمومه لله وآلامه وحزنه وطموحة ،هذا ما يريده من الله لا يشكو لله حال الآخرين ولا يفكر في معنوياتهم ، عكس الزهراء التي ورد عنها في رواية الإمام الحسن (ع) أنها كانت تقضي الليل تدعو لجيرانها فقال (ع) : **أماه أما دعوت لنا ؟ فقالت : الجار قبل الدار)** ، أن يصل العارف إلى هذه المنزلة ويطلب معنويات الآخرين ،هذا لابد أن يكون إمّا إمام فعلي ،وإمّا أن تكون روحه روح قائد وإمام ، روح قدوه وأسوة للآخرين ، يفكر فيهم ويقودهم كما يفكر في بيته وأطفاله .

الوصول لهذه المقامات يكون عند ارتفاع الحجب الظلماتية عند ذلك سوف يتحد العقل النظري والعقل العملي ، هذا الاتحاد يحل في الجهاد الأكبر ، عندما تنسجم أعمال الإنسان مع عقله في كل ما يعرف وما يسمع وما يتأثر ، إذا انتصر الإنسان في الجهاد الأكبر ، إذا قاوم وأصبح شديدا مع نفسه ، إذا أصبح مريداً وعازماً ، واصبح لا شيء من العادات أو التقاليد التي تعود عليها أو الواجبات الاجتماعية التي جعلها على نفسه بحكمه ، إذا كسر كل هذه الأشياء وقاومها سترتفع الحجب ، وبعد ذلك كما ورد في

المناجاة الشعبانية (**حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة ،فتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك ،إلهي اجعلني ممن ناديته فأجابك ،ولاحظته فصعق لجلالك ، وناجيته سرا ،وعمل لك جهرا**) في البداية طلب أن يناجي هو الله وكان هذا مطلبه الأول ،ثم طلب من الله أن يناجيه ، وان تكون المناجاة سرية بينه وبين الله ،فالله ساكن في سويداء قلبه ،ثم بعد ذلك يطلب من الله الهمة والهم ،.

العارف يطلب من الله أن لا يبعد عنه ألم المحبة (**لا تبعد همك عن قلبي**) شعر للإمام الخميني [**ما ادري قلبي مجنون بمن ، أين يدور وفي بيت من ؟ أنا لا ادري ،ولكن إلهي اجعلني أموت ولا ترفع همك عن قلبي ،لا عمر قلبي أبدا بلا همك ، هذا الألم يعمر قلبي ويبنيه ،ماذا أريد من الدنيا إذا لم تكن أنت همي وألمي**] مع أن هذا الهم ألم وعدم استقرار إلا أنه افضل من الاطمئنان للدنيا والرضى بها ، ﴿ إن اللهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[١٨٦] يقول سعدي في معنى هذه الآية [**أي شيء تريد أن تعمله (هذا عن لسان الله يكلم الإنسان) اعمل كل شيء يا محبو بي تريد أن تعمله ولكن لا تشرك بي ، لا تتخذ لك محبوباً غيري ، المحب يتحمل من محبوبه كل شيء إلا أن يشاركه غيره في المحبة ،الشريك بمعنى الذي تحبه ، الشريك لا يزاحم الله في العبودية إنما يزاحمه في المحبة**]

آيات القرآن تطلب من الإنسان أن يتحد عقله النظري والمحبة والعاطفة ،فتخترق هذه الحجب ويحب الإنسان الله ولا يريد غيره ،إذا اصبح لا يريد إلا الله فهو من جهة برهانية (سلطان بين).ومن جهة (أفلا يتفكرون) كل هذه الآيات عنده متحدة مع الآيات التي تقول ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٨٧] أليس هناك من يتذكر ، ويعود ويتوب ، وينيب ويخضع ،لأن القرآن يريد

---

[١٨٦] سورة النساء – مدنية – آية ٤٨

[١٨٧] سورة القمر – مكية –آية ٣٢

إصلاح كل شئون الإنسان ،فهناك آيات تتحدث عن إصلاح الشئون النظرية وتقويمها وتتحدث عن السلطان البين،تتحدث عن البرهان ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾[188] وهناك آيات تريد أن تُعَدل من الشئون العملية للإنسان ﴿ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[189]

مامعنى أن الشرك ظلم عظيم ؟

بداية الآية تتحدث عن مسألة نظرية :لا تقول لا تشرك با لله لأنه ليس هناك إله إلا ا لله بدليل أن هذا الكون منظم ،وهذا النظام بيد ا لله ، إنما تقول: إذا لم تتعلق بما هو أهل للتعلق فأنت ظالم ،والظلم من أعمال الإنسان العملية فلا يقال للإنسان الذي يفكر تفكيراً باطلاً أنت ظالم ، الظلم ليس نظرياً لذلك الشرك ليس مضر بالعقيدة فقط الشرك ظلم ،فمع أنه يتكلم في الآية عن مسألة نظرية وهي توحيد ا لله وعدم الإشراك به ،يأتي بدليل أن العقل العملي ،أو المحبة والبغض ،والإرادة والتصميم لا تقبل الشرك ،الشرك هو التعلق بأي شيء كان ، والتوحيد هو التعلق بوجه ا لله فقط ،الآية تريد أن تجعل هناك اتحاد بين عقل الإنسان النظري وعمله وسلوكه ،لأن الظلم سلوك وممارسة وتعلق وليس مسألة في الحدود النظرية .

إذن غرض القرآن أن يوحد هاتين القوتين ، وسنأتي ببعض النماذج التي توضح معنى هذا الحجاب الفاصل بين العقلين وفي نهاية هذا المطلب سنرى أي نوع من هذه الحجب موجود عند المرأة ، وما مقداره ، وما كثافته ، وكيف يمكن أن نرفعه .

---

[188] سورة الانبياء -مكية - آية ٢٢

[189] سورة لقمان - مكية - آية ١٣

١-هناك آيات كثيرة تتحدث عن هذا الفاصل ،منها قصة نبي الله إبراهيم :
إبراهيم الذي آمن بالله في أمـة ومجتمع تطاولت عليه السنين والأمد في عبادة الأصنام ، الشاهد في بحثنا موقف إبراهيم من قومه بعد أن كسر أصنامهم عندما خرجوا في عيد لهم ، وعلق الفأس في عنق الصنم الكبير الذي أبقاه ،عندما رأوا الأصنام سألوا من كسرها ؟ قالوا ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُم يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[١٩٠] ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُم يَشْهَدُونَ ﴾[١٩١] اخذوا إبراهيم للتحقيق معه ، ولكن إبراهيم لم يدافع عن نفسه ﴿ قَالُوا ءَ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم فَسْأَلُوهُم إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[١٩٢] لم يقل أنا لم أفعل بل قال كبيرهم هو الفاعل ، والفأس معلق عليه ،كان يريد أن يريهم عياناً بياناً أن هـذه الأصنام لا تدفع عن نفسها سوء ، فلا هذا يستطيع أن يقتل ولا هذه تتحرك ،﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهُم فَقَالُوا إِنكُم أَنْتُم الظَالِمُونَ ﴾[١٩٣] رجعوا إلى ضمائرهم وفطرتهم ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤوسِهِم لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنْطِقُون ﴾[١٩٤] انتم الظالمون معناها أن كل واحد منهم لما نظر إلى فطرته قال : واقعاً أنا ظالم ، لسانهم الجمعي لم ينطق بذلك ،لان في ذلك اعتراف منهم بصدق إبراهيم .
نكسوا على رؤوسهم لها معنيان كلاهما مفيد في معنى الحجب الظلماتية التي نتحدث عنها في كتاب الميزان :هذا البرهان برهان التوحيد علا في

---

[١٩٠] سورة الانبياء - مكية - آية ٦٠

[١٩١] سورة الانبياء - آية ٦١

[١٩٢] سورة الانبياء - آيه ٦٢،٦٣

[١٩٣] سورة الانبياء - آية ٦٤

[١٩٤] سورة الانبياء -آية ٦٥

نفوسهم ولكنهم نكسوا هذا البرهان ، وتحدثوا عن البرهان الباطل الذي يدّعونه ،يعني هم قطعوا أنهم ظالمون ،ولكن في مقام الاحتجاج والبيان نكسوا هذا البرهان وهذه الفطرة التي ارتفعت فيهم أغرقوها، وغلبت عليهم عاداتهم المتطاولة وسنتهم المتطاولة ، وغطوا الحق وما ظهر ، ليس معنى نكسوا على رؤوسهم أنهم خضعوا للحق ،السوء الذي اعتادوه كأنما طفا كما يطفو الزيت في الماء ،وغطى هذه المعرفة التي كشف إبراهيم حجبها ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ رأوا فطرتهم الواقعية فنكسوا على رؤوسهم ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[١٩٥].

المعنى الأخر : نكسوا على رؤوسهم تنكست حجتهم عليهم في مقام الاحتجاج عندما أرادوا أن يحاجوا إبراهيم (ع) فرد عليهم واسقط حجتهم فاصبحوا بلا حجة ولا بيان ولا برهان ولا دليل ،ومع ذلك كان قرارهم إحراق إبراهيم ونصر آلهتهم ، وهذا يُظهر كيف يكون للعادات السيئة والهوى الاجتماعي وتأثير الآخرين من اثر قد يطفو على المعرفة وحتى على العرفان والدليل وكيف يكون حجاباً يغطي على البرهان فلا يمتثل الإنسان في مقام العمل .

كلما كان الإنسان اكثر ارتباطاً بالماديات كلما كان اكثر كثافة و اقل تجردا ، وكلما كان الإنسان ذهنه غليظاً وروحه ونفسه اغلظ ،كلما كان هناك فاصل بعيد وطالت الفاصلة بين العقلين والبطء في السير في المسائل التي نعلمها .

لو لم يكن هناك حجب كثيرة بين ما ندرك وما نمارس لكان هناك اتحاد وانسجام في داخل هذه الشئون بذلك سوف يكون هناك تجرد بين قوى

---

[١٩٥] سورة الانبياء - ٦٨

الإنسان العملية والنظرية ويصبح الإنسان عين علومه ومعلوماته ، وسوف يصبح لا إنه يعرف وصف التقوى ، ولا أنه متقي ،ولكن يكون هو تقوى ، لا أن يعرف وصف البر بل هو البر ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ الذي آمن هو البر .

عندما يصل الإنسان ويتحد مصداقاً ومفهوماً ، عندما تكون كل قوى الإنسان في خدمة مفاهيمه وعلومه عندما تكون قواه وجوارحه خادم لما انعقدت عليه جوانحه ولما أدركه بعقله وفكره عندها يشف هذا الحجاب ويرق ويتحد ، إذا اتحدت قوى الإنسان في سلوكه لله و لم يعثر قواه ،و لم يعثر وجوده عند ذلك سوف يرى حقيقة إنسانيته وهي محّض التعلق با لله ، وبعد ذلك سوف يطوي كل الطريق ، نصف الطريق هو المعرفة والإدراك وبقية الطريق أن تتحرك .

لذا العلماء العرفاء إذا كانوا يشكون في أسفارهم من البعيد من ا لله ومن عدم وصال ا لله أو على حد تعبيرهم من هجران ا لله ، أو الحرمان من لذيذ وصال ا لله ،ليس معنى هذا أنهم لم يصلوا و لم يتصلوا ولكن هناك مسافة كبيرة بين ما يعملونه وما يريدونه وبين واقعهم ، لذا يكون هذا المقطع وهذا الحد هجراناً ويسمونه ابتعاداً ، في حال أنهم لم يتركوا صلاة و لم يتركوا مناجاة ،ولكن هذا الفاصل بين هذه المحبة وبين واقعهم وما هم فيه يشعرهم بالمرارة والغم ، وهذا الغم وأن كان جالباً للحزن والألم ،لكن القلب الذي لا يغتم بهذا الغم فهو ميت ، هذا الغم سبب لحياة قلوبهم لذلك هم يناجون ا لله [أن يا إلهي لا تعمر قلوبنا بغير هذا الغم] إذا ارتفع هذا الغم عن قلب الإنسان اطمئن ﴿ الَّذِينَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا

والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾[١٩٦] هذه الآية كان الأمير (ع) يتلوها عندما يستيقظ لنافلة الليل ، بمقدار غفلة الإنسان يكون انصرافه عن الله والعرفاء يشكون لحظات الأنفصال،لأن مرادهم الذي هو الوصال الدائم مع الحق وهو بنفسه علة وألم ومجلبة للحزن ،ولكن القلب لا يحي إلا بهذا الحزن .

ماذا يعني القلب عند العارف والمتأله؟

هل القلب هو تعلقات الإنسان بأهله وأصدقائه ؟

أو القلب يقصدون به هذا التعلق وهذه المحبة والفاصلة بين ما يحبون(على حد تعبير الإمام) عندما يسمعون كلام محبو بهم (في وصف المتقين في الليل)[**يرتلون القرآن يحزنون به أنفسهم**] يقول (ع)هل هناك إنسان محب لا يطلب الحزن ؟

هم يريدون أن يحيوا الحزن في قلوبهم لأنهم بلا حزن وغم وطلب وصال وابتعاد وهجران لا يحيون [يحزنون به أنفسهم] يرتلون القرآن ترتيلاً إذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، هؤلاء يبكون لأنهم عندما يقرؤون القرآن يسمعون الصوت لكن لا يرون المحبوب ،هم يلتذون بهذا الذكر الذي كما في دعاء كميل أن الله لا يحرق أسماعاً تلذذت بهذه المعاني ، هم يلتذون ولكن الساقي (على حد تعبيرهم)لا يرونه ،تشرب و **لكن كيف تشرب وأنت لا ترى الساقي، هذا يزداد ألمك وهمك لأنك لا ترى المحبوب ،نعم تصلك رحمة المحبوب لأنه باسط اليدين بالعطية ،لكن الذي يريد أن يرى وجه المحبوب لا يريد فقط الشراب ،الشراب يزيد اللهب اشتعالا ، عندما**

---

[١٩٦] سورة يونس –مكية – آية ٧

يكرمك الكريم كرائم متتالية الواحدة تلوا الأخرى وأنت لا تجد ولا لحظة تعطيه شيء يجبر هذه المحبة التي في نفسك.

إذا اكرمك شخص يحدث عادة انكسار في النفس وتذلل أمام كرمه وأياديه ،عندها تريد النفس التحرك بأي حركة حتى تجبر هذا النقص فماذا تستطيع أن تقول أو تفعل لتجبر كسرك أمام كرم الله إلا حمده ، وأنت تحتاج في كل مرة تحمد فيها الله أن تحمده لأنه جعلك تحمده [**كلما قلت لك الحمد وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد**].

إذن مالذي يسكن رغبتهم هذه ؟

لا يسكنها إلا النظر إلى المحبوب ،لذلك إذا قيل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١٩٧] فهي بهذا المعنى ،وإذا قيل ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * وَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[١٩٨] فيها نسبة لله تعالى ، لله جنات ليست منسوبة للذات الإلهية ،ولكنهم يريدون الجنة المنسوبة للذات الإلهية ،هؤلاء يعلمون أن بداية الطريق هم الذين يقطعونه ويطوونه ،ولكن أخر الطريق يجب أن يناديهم الله ويقول ﴿ ارجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ نصف الطريق يقطعونه بأقدامهم ،ولكن أخر الطريق الوصال النهائي هو بيد الله .

للشيخ جوادي بحث في شرح أحوال الحسين (ع) في العاشر من محرم يقيس فيه كل لفظ قاله الحسين منذ خروجه من مكة إلى اللحظات الأخيرة التي استشهد فيها ،وفيها ملاحظة بدء لذة الوصال والسير إلى الله من الحسين (ع) والبحث الجدي والحقيقي وترك الأهل لله ،بعد ذلك يقول الشيخ

---

[١٩٧] سورة القيامه – مكية – آية ٢٢

[١٩٨] سورة الفجر – مكية – آية ٢٧

بيتين من الشعر قالهما أستاذه لم يقل أحـد مثلهمـا أبـدا ترجمتهمـا :[عندما **سقط الحسين عن ظهر الفرس ،كان الإمام (ع) قد قضـى عمره في التقرب إلى ا لله ،ولكن لم يكن يـرى نفس وجه المحبوب ،كـان يـرى فيوضـات المحبوب ،ولكـن لم تنكسر المرآة ،ولكن عندما سقط ووقع علـى الأرض انكسـرت المـرآة ،ورأى أنـه لم يكن يسطع شيء في وجه المرآة إلا وجه تعالى ،ورأى كل شيء فانراِلا وجه المحبوب ،لذلك كان وجهه (ع) في معركة كر بلاء يزداد نورانية لحظة بعد لحظة ، لأنه لم يبق له إلا المحبوب ،لم يبق إلا أن يجذبه إليه فيقول ارجعي إلى ربك].**

لذلك يستحب في صلاة الليل قرأة سورة الفجـر الـتي فيهـا هـذه الآيـة،وفي الرواية أنها مخصوصة بالإمام الحسين (ع) ولأن قطع هذا الطريق يعتمد على توفيق ا لله وعلى جذبه للإنسان لذلـك يقـول الحسـين (ع) في دعـاء عرفـة [**إلهي اجذبني برحمتك حتى اصل إليك**]ولكن ما هو الجذب ؟

الجذب ليس مسألة تحريك ، الجذب يعني حركة سريعة **يقول الامام (ع)[إلهي أغنني بتدبيرك عن تدبـيري-]** أنـا ضعيـف لا أسـتطيع أن اسـلك أنـت دبرني ،[**وباختيارك لي عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري ،إلهي أخرجـني من ذل نفسي وطهرني من شـكي وشـركي]** هـل هنـاك شـرك في الإمـام حتـى يطهره ا لله ؟ قطعا لا ، لكنه(ع) كان يعد أي شغل حتى إذا كان لوجه ا لله فهو حجاب ،لأنه يريد الوصال والاقتراب من نفس الذات ،وهذه الفاصلـة يعدها العارف عـذاب وحجـاب ،حتـى وأن كـانت هـذه الفاصلـة فاصلـة نورانية وليست ظلماتية ،ليس هناك لذة تعدل لذة السالك عندما ترتفع كل هذه الحجب ويرتفع اللفظ والمعنى والتصور والمفهوم ولا يبقى هنـاك شـيء إلا الوصال مع ا لله.

أما الحجب الظلماتية من ذنوب ومعاصي فإنها تصد وتمنع وتبعد وتقلل مـن رغبة الإنسان وميولا تـه وتضعـف قـواه ،فمـن الممكـن أن يتصـور المطلـب

بشكل دقيق ويفهمه ،ولكن إذا لم يكن له رغبة ؟أو كانت رغبته ضعيفة!! الذي يضعف رغبة الإنسان هي أعمال السوء كل ذالك يُكّون الحجب الظلماتية .

كلما كمُل الإنسان ورقى ،كلما رقت وشفت هذه الحجب ،وكلما كانت قوى الإنسان الفكرية أشد وأقوى من رغباته صعب أن يستثار هذا الإنسان فمن الممكن أن يسمع المواعظ ولا يتحرك ،عندها ستكون علومه عليه حجة وسوف ما يكون عنده هو تكاثر في المعلومات ، وما الفائدة من جمع المعلومات بدون عمل ؟

لكن عندما يكون الإنسان سريعاً ومسارعاً يُلهم [**إذا الهم أحدكم الدعاء فليدعوا**] لا يتأخر إذا أُلهم الدعاء فإن في تأخير الدعاء آفات ،وإذا تأخر الإنسان في الاستجابة وكان بطيء كان علمه وبال عليه ،لأن العلم على حد تعبير القرآن لا يرسخ في النفس ولا يدخل في داخلها، كانِ أحد علماء بني إسرائيل عابداً ولكن علمه لم يكن ثابتاً في نفسه ﴿ الذي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ عَنْهَا ﴾[199] كان علمه ثوباً فانسلخ عنه ،السلخ :فسخ الجلد عن اللحم ، كانِ عنده تكاثر في العلم الرباني ولكنه لم يصل إلى قواه ورغباته وميولا ته الواقعية والحقيقية لذلك انسلخ عنه ،كأنما كان سهلاً أن يتعرى من هذه العلوم .

الذي علومه في حد الألفاظ والسماع والرواية يمكن أن ينسلخ عنها ويتبرىء من هذا الثوب في أي يوم ،فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث في كل حال ،هذا العلم الذي لا يستقر في الجوارح ولا ينفذ وبالتالي لا يحرك الجوارح .

---

[199] سورة الاعراف – مكية – اية ١٧٥

والآن فلننظر أي من الرجل والمرأة ممكن أن يستثار أكثر ، ومن الممكن أن يتحرك أسرع ،إذا قلنا أن الرجل أكثر إدراكاً ، وذهنه أكثر دقة ،لكنه لا يتحرك أسرع ،المسألة ليست مسألة تكاثر في العلوم ، المسألة أن تتحرك بما تعلم عند ذلك الذي يستثار أكثر ، الذي علمه ثورة واستثارة وتحريك ومحبة وغم و ألم وفراق وإحساس بالمسؤلية وإيثار ،أي منهما لديه ذلك سوف يكون سيره أسرع .

إذا كنا نلاحظ الأشد فلا يقال عن المسائل الذهنية أن هذا فهم المسألة بدرجة واحدة ، والأخر فهمه أشد إذا كانا وصلا إلى نفس النتيجة ففهمهما في درجة واحدة ،لأن المسألة ليس مفهومها مشككك ،ولكن من الممكن أن نقول هذا الإنسان تفاعله مع المسائل أشد ،والسير إلى الله ليس حركة جسدية فقط بل حركة فكرية أيضا .

السير إلى الله يكون باشتداد الذكر والمعرفة والرغبة والميولات ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ مثلها مثل ألا من ناصر ينصرنا،لقد أنزلنا هذا القرآن لغرض ،ولكن هذا الغرض لا يريدك أن تفهم هذا القرآن فقط ،ولكن أن تتذكر به،هل من ناصر يعني هل من متذكر ،طريق الذكر يسير للذي يريد أن ينتهي إلى الله .

معرفة أن الموت حق على كل إنسان هذه مسألة يسيرة يقول الصادق (ع) :[لم أر شكاً في حق كالشك في الموت]الذكر سير والسير ليس يسيراً ، الذكر جزء من السير ،وطي الطريق هو الجزء الأخر ، هذه مسألة .

والمسألة الأخرى :أن الطرق لله تعالى ليست طريقاً واحداً بحيث أن الجميع مجبورين أن يسلكوا نفس الطريق ،الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ،علينا قطع السبل وعلى الله قصد السبيل ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

﴾[٢٠٠] بعض الطرق أكثر ملائمة لنا من البعض الآخر ، حتى نوضح هذه النقطة نضرب لها مثالا :

من المسائل الاجتماعية التي جاء الدين ليهذبها ويجعلها في مواقعها صلة الرحم و الارتباطات الاجتماعية والاهتمام بمصالح الآخرين ،والزيارة الأخوية حبا لله كل هذه الأمور مستحبة شرعاً ،لكن الشارع أعطى لها شكلاً معيناً وصيغة خاصة ، وبهذه الصيغة يمكن أن تجعل هذا العمل مستحباً وقربة لله وممكن أن يقطع بك الطريق ، في الروايات أنه ليس هناك أفضل من زيارة الحسين (ع) ،وقضاء حاجة أخيك المسلم أفضل من زيارته (ع) ولكن كّيف تضفي على قضائك لحاجة أخيك الصبغة الإلهية وتجعله قربة لله بحيث يقربك من ا لله ؟

هذاالامر تتفاوت فيه الأنفس ، فليست المسألة أن تجلس المرأة في البيت أو لا تجلس ،لأن من الممكن أن تجلس في بيتك وتقرأ وتطالع ولكن لا تتقرب بهذا العمل من ا لله ،هنا تفاوت ،أصلاً من جمال النفوس اختلافها ،ومن ألطاف ا لله أن جعل هذه الطرق متفاوتة حتى تتناسب مع ظرفيات الناس ،كل له قدرة واقتدار وله ظرفية وميولات معينة ،نعم هناك شيء أساسي أن يكون هذا العمل عبادة لله،إذا استطعت أنت أن تجعل من أعمالك الاجتماعية بمستوى الأعمال العبادية فإن هذا فن وقدرة واقتدار مثل القدرة على قيام الليل .

هناك تناسب بين كل سالك وطريقه الذي سلكه ،القدرة والاقتدار أن تعرف كيف تصبغ هذا العمل بصبغة شرعية ،وكيف تجعله يقربك من ا لله

---

[٢٠٠] سورة النحل - مكية - اية ٩

الإسلام لم يأتي ليقطع العلائق بين الناس ، كما أنه دعا إلى صلاة السر دعا إلى زكاة السر ، وكما تحدث عن صلاة الليل تحدث عن زكاة الليل ، ولا فرق في الإسلام بين النوم الذي هو قربة لله وبين الصلاة التي هي قربة لله ،قارن الشيخ جوادي بين النوم المستحب والصلاة ،الصلاة المستحبة يستحب لها أن يستقبل المصلي القبلة والوضوء ،وكذلك النوم ، الصلاة يستحب لها السواك وكذلك النوم ، الصلاة كل حركة فيها بذكر ، وكذلك النوم يستحب إذا قام منه أن يسجد ويسلم على الملائكة وكذلك الصلاة ، الذي كل حياته مليئة بطاعة الله لا يقول هذا نوم يبعد عن الله ، بل هذا نوم مليئ ما بالروح بما في الدنيا .

عندما يكون ما في نفسك مأخوذ من الله تملاء به ما في الدنيا ، عندما لا تأخذ إلا من الله وتعطي كل شيء صبغة إلهية فتعطي النوم هذه الصبغة و تعطي الأهل والأصدقاء ،هذا كله سلوك كله ممارسات ،والدين المعاملة والدين شامل لكل هذه الأشياء .

هذه الممارسات تختلف حسب ميول الإنسان ،ربما يميل البعض للعبادة أكثر ويظهر اقتداره في الصلاة والذكر والدعاء ،والبعض ربما يكون أكثر إيثارا للآخرين وخدمة لهم ، يقدم مصالحهم على مصالحه ، هذا بنفسه سلوك لله ، والإسلام غني بكل شيء ،فالمعارف الإلهية تملاء الأكواب (**كل ما هو موجود في هذا الكون قدح الله ،خمر الله –على حد تعبير العرفاء – الذي يملا كل قدح في هذا الكون أنت فقط أشرب وتعلم**) .

لذلك هل نقول أن طريق الفكر هو الوحيد الموصل أو طريق العلم والدرس هو الطريق ؟ من قال ذلك ؟طريق الفكر ليس الطريق الوحيد الموصل لله فربما العنة والضعف في أنا ، والقوة في الطرف الأخر في ذاك ، هذا أولاً .

ثانيا : طريق الفكر والمعرفة في سن معين فقط ،فالإنسان إذا كبر لا يستطيع قرأة صفحة واحدة ،وينسى الكثير من المعلومات حتى الأولية منها ،لكن طريق القلب والطاعة والحكمة لا يتغير الذي ثبت فيه الإيثار والكرم و تطبع بالطباع الحسنة لا يستطيع أن يغيرها فالكريم لا يستطيع أن يكون بخيلاً فالملكة كلما طال عليها الوقت تأكدت في الإنسان بخلاف العلم ، القوى الذهنية قد تؤخذ من الإنسان بعد سن معين ،لكن ما الشيء الذي يبقى مع الإنسان من مهده إلى لحده ؟

(إذا ولد الطفل يؤذن والده في أذنه فهل يفهم هذا الوليد الأذان ، والميت يلقن بعد الموت ،لماذا كل هذا ؟

كي نقول له أنك وإن لم تكن تدرك الألفاظ فأنت تفهم ما ورأها .

إذن حركة القلب والروح والأخلاق في المرأة أشد وهي الزاد الذي يحمله الراكب ، والمرأة تتأثر بالمواعظ أكثر من الرجل فتتحرك أسرع ، قوى الفكر مرحلية وإذا لم تكن تحت زمام الطاعة والعبادة فلا فائدة من العقل والفكر ، إذا لم تكن تحت زمام الذكر والتحقيق والتخلق وإلا فهي كالتكاثر بالمال والأولاد ،و لم يشتكي الإسلام أكثر من شكواه ممن اتخذوا دين الله بضاعة يشترون بها الحياة الدنيا .

المحاضرة الرابعة عشر

رفع الحجب

عندما يتحدث القرآن عن الإنسان يقول ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾[٢٠١] تيسير السبيل على كل سالك فعل الله ،وعليه تعالى قصد السبيل ، وإيصال الإنسان إلى غايته ونتائج أعماله على اختلاف الطرق ، وألوان التدين ،جاء في الروايات [أن الإيمان سبع درجات فلا يقول من كان في الدرجة العليا لمن كان أدون لست على شيء فإذا قال له ذلك فقد كسره ومن كسر مؤمنا فعليه جبره] لا نقول لمن لا يدرس ولا يبحث أنت لست بمؤمن .

يستفيد الفقهاء من هذه الرواية أن كسر قلب المؤمن غير جائز من الجهة الشرعية ويجب عليه شرعاً جبر هذا الكسر ، فاختلاف الطرق لا يدل على أن هذا اكمل من ذاك أو أن هذا الطريق فيه معارف اكثر ، نعم يجب أن يتعلم من الدين ما يجعله يأتي بأعماله بوجه صحيح ،والقدر الأخر من العلوم يقلد فيه العالم الفقيه المجتهد ،المقلد الذي يقلد عن ثقة ومعرفة لمن ارتضاه الشارع كاف له ، وربما يكون قطع بقية الطريق نتيجة لذلك أيسر له.

بالنسبة لأواسط النساء وليس كل النساء طريق القلب لمن سلوكه انسب ، وطبيعة هذا الطريق أقصر والسير فيه أسرع ، لأن نفس السير في هذا الطريق

---

[٢٠١] سورة عبس – مكية –آية ٢٠

هو عمل جوانحي ،ولأنه ليس مركباً من مقدمات ونتائج إنما هو بنفسه عمل .

القرآن تحدث عن وجود هذين الطريقين (العلم والعمل)وأوجد رابطاً بين هذين الطريقين بحيث أن الإنسان لا يستفيد من الحياة الطيبة التي دعا إليها القرآن وضمنها إلا أن يسلك هذين الطريقين وأن يوجد هذين العقدين بين معلوماته وعلمه ،بين ما يدركه وبين عمله ، بحيث يرق ويرتفع هذا الحجاب ب فيعمل بمستوى علمه .

إذا كان الإنسان يدرك وبمستوى دقيق ولكن شدة حرارة إدراكه خفيفة لا تصل إلى مستوى العمل ،سيكون هذا الإنسان والعياذ بالله مبتلى بأبطال النية ،وإبطال النية ليس في مسألة العبادات فليس الوسواسي هو الذي ينوي أن يقيم الصلاة ثم يبطلها ،بل أن كثير من المسلمين من يعزم ويجزم في الليل على الطاعة والصلاح ولكن في النهار تفتر همته ونيته لأن هناك حجاباً غليظاً بين ما نواه وبين قدرة إرادته وتصميمه وهمته .

رفع الحجب والربط بين القوى :

القرآن بصدد رفع الحجب والربط بين القوتين القوى الفكرية والقدرات العقلية والقوى العملية في القرآن ،وللحديث عن هذه العقدة والربط بين النظر والعمل نورد بعض الأمثلة من القرآن الكريم توضح هذا الغرض :

يتحدث القرآن الكريم عن إبراهيم (ع) الذي جعل العلم جسرا للوصول إلى الله تعالى ،إبراهيم كان يبحث عن رب ،رأى كوكبا بازغا ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ * فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾[٢٠٢] الحب

---

[٢٠٢]سورة الانعام - مكية - آية ٧٨

القرآن يبحث في طريق الفكر والمحبة ،ويقول لابد أن يكون في توحيدكم رابط عملي بين ما تؤمن به وما ترتبط به نفسياً وسلوكياً ،فتنسجم مع هذا الكون الذي هو ممتلئ بعطف الله ورأفته.

إبراهيم الذي أمرنا الله بأتباع سنته ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[٢٠٣] هو الذي وضع لهذا الدين هذا الاسم ، وهذه سنة إبراهيم أن يبحث عن رب أهلاً لأن يحب ، وإلا القلب الذي لا يعرف معنى الحب والعشق و لا يعرف مناجاة الله هذا ليس قلبه ميت بل لا قلب له ، إما إنه يحتاج إلى تعليم وتوجيه حتى يعرف ويحب ،أو أنه يعيش طوال حياته جنازة ولكن عمودية .

هذا أحد براهين الربط ، والقرآن يريد هذا الربط لأنه يريد أن يكون حب الإنسان عن علم ومعرفة وتفكر وعمل ،وعمله علم ومعرفة وتفكر ،وتفكره عن هيجان ومحبة وتلاطف ،حتى ينشئ هذه العلاقة بين هذا البيان بهذه الكيفيات .

٢- المثال الثاني :

معية الله:

آية أخري تتحدث عن الربط بين محبة الله و بين السلوك العملي لله تعالى من سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اللهُ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ

---

[٢٠٣] سورة الحج - مدنية - آية ٧٨

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَ أَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُم وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَلأُدْخِلَنَّكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٢٠٤] الآية تتحدث عن وصال الله الدائم قول الله ﴿ إني معكم ﴾ تختلف عن قوله ﴿ هو معكم أينما كنتم ﴾ ، هو معكم أينما كنتم تلك المعية ليست وصالاً أو محبةً أو معونةً ، معناها أن كل ما في الكون مرتبط بالله ،ذاك لسان يتحدث به الله مع البعيد عن مقام القرب الإلهي وساحة القدس ،في أي حال كنتم وفي أي مكان كنتم فالله معكم بنفس الدرجة أنتم والحيوانات ، الجميع مشترك في هذه المعية .

المعية الثانية في قوله تعالى ﴿ قال الله إني معكم ﴾ ليست معية تكوينية لكل الناس بنفس الدرجة والمستوى ، هذه المعية حديث عن وصال دائم مع الله عن نظر اللطف من الله تعالى كما في الدعاء [**إلهي هب لي لحظة من لحظاتك تكشف بها ما ابتليتني به وتعيدني بها إلى احسن حالاتك عندي**] هذا هو اللطف الذي يرفع الله به الإنسان من حال إلى حال ، هذه المعية ليست كتلك المعية .

نلاحظ في هذه الآية قال الله لم يقل قال الرحمن أو أي أسم من أسماء الله جل وعلا ،إذا قال: قال الرحمن إني معكم أي إني معكم من جهة اللطف والرحمة والحنان ، ولكن إذا قال : قال الله إني معكم أي أنا معك بجميع ذاتي ،أنا معكم مستكملاً في كل صفاتي ،في كل أسم من أسمائي أنا معك ،هذا وصال من الله وصال هوية الله وليس وصال الرحمة والعفو فأسم الجلالة مستكمل لكل الصفات الإلهية .

---

[٢٠٤] سورة المائدة – مدنية –آية ١١

عندما يقول قال الله غير أن يقول الرسول قال الله ، قال الله من الله تعالى هذا منتهى الإقبال من الله على العبد ،هذا رفع لكل الوسائط وكل الحجب الظلماتية والنورانية ، عندما يقول الله قال الله يعني لا حجاب يعني أنت فقط أقبل هذا حديث عن وصال كامل وتام يملاء به وجدان الإنسان .

ثم بعد ذلك يقول : قال الله إني معكم ويعطي طريقاً لهذه المعية هذا تعليم ﴿ قال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة ﴾ هذا يعطي طريقاً لأن في أخر الآية ﴿ فمن كفر منكم بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل ﴾ لأن هذا طريق وسبيل ، أستاذ الشيخ جوادي إلهي قمشيء الذي كانت له حالات كثيرة مع الله له شعر في نص هذه الآية ترجمته (**أي شيء أفضل من أن تنحر هواك في ليلة مظلمة،قيام الليل يفيدك في نحر هواك-لا تريد من الله إلا الله لا تريد من دعائك إياه إلا أن يوصلك لهذا الوصال ، اقرأ آية واحدة من القرآن تحرق بها كل كتب الرياء التي في نفسك ربما تحرقها بدمعة**)

بعض علمائنا كان يقنت بهذا الشعر ثم يقول ما ترجمته (**إن الله أحيانا يعطيك طريقاً وليس معلومات فقط ،أحيانا يعطيك فن السلوك أحيانا يوضح لك معالم الطريق يعطيك طريقا بحضوره ،يعطيك طريقاً هو في معالم كل هذا الطريق ، طريقاً هو حاضر فيه**) والآية تعرف هذا الطريق الذي يرفع الحجب و يوصل للمحبة إلا أنه طريق يستلزم عملاً ﴿ لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة و آمنتم برسلي و عزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ بكل الرسل يعني بكل شيء له ارتباط بتوحيد الله بكل نبي وكل ولي وإمام بكل من كان له خدمة في هذا الدين .

وعزرتموهم أي قدرتموهم و أجللتموهم ،عندما تنظر إلى الإلهيين بنظرة إجلال وتقديس فهذا توفيق وطريق لله عندما تنظر إليهم ثم تنظر إلى

نفسك وتقيس حياتك وأعمالك على حياتهم وأعمالهم ، عندما يكونون لك قدوة ، عندما تكون متصدياً لخدمتهم ونصرتهم ونصرة الدين عندها سوف تذوب في الصراط المستقيم ،سوف لا يبقى لك وجود كل وجودك ذائب في الله ووجود أولياءه .

﴿ وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ لماذا أتي باسم الجلالة و لم يكتفي بالضمير فيقول أقرضتم ربكم مثلا ؟

يريد أن يقول :حتى هذه الأعمال التي بينك وبين الله وسائط كثيرة لأنها أعمال اجتماعية عادة وليست مثل الدعاء والمناجاة ،يقول عندما تقرض لا تنظر إلى هذا الحجاب ، أنا رفعت الحجب فارفعها أنت ، ابتداء قلت (إني معك) عندما تعطي فأنت تعطيني أنا عندما تنصر الدين تنصرني أنا ، رفع الله الحجب فلا تعقد نفسك وتوجد حجب أخرى ، لا توسوس أحرق كل كتب الرياء ، لماذا توجد في نفسك الرياء بالتفكير في عملك ورأي الآخرين به أرفع ، الله رفع ،لماذا تسدل ستارا بينك وبين الله .

نتيجة هذا الطريق :

١- تنظيفالإنسان من سيئاتة ﴿ لأكفرن عنكم سياتكم ﴾ يغطي كل السيئات هناك رواية أنه يوم القيامة هؤلاء عندما ينظرون إلى صحائف أعمالهم يقولون هذه ليست صحائفنا نحن عملنا ذنوباً كثيرة لا نراها مكتوبة فيأتيهم النداء من الله وليس من الملائكة أن لا تنطقوا بهذا صوتاً فيسمعكم الناس الله ستر عليكم يريد حفظ مكانتكم فغطى عليكم وكفر سيئاتكم و لا يريد أن يسمع من حولكم ما تقولون ، بعد ذلك يأمر الله الملائكة أن تسوقهم للجنة ، وهناك فرق بين سوق الملائكة لهم إلى الجنة وسوق الملائكة

للكفار إلى النار ،أولئك يسوقونهم بضرب أدبـارهم ، ولكـن هـؤلاء سـوق الملائكة لهم نضرب له مثلاً بانك لو جاءك شخص عزيز لـه مكانـة وحيثيـة وموقعية لزيارتك ، فأنت لا تستقبله في المكان الذي أنت فيه بل تذهـب إلى خارج الدار لاستقباله والترحيب به ،ثم تسوقه للمكان الذي تريد أن تجلسه فيه وهيأته له .

٢- بعد أن رفع الله عنهم الحجب وكفر عنهم سيئا تهـم يدخلهـم جنـات تجري من تحتها الانهـار،يدخلهـم مقامـات كثـيرة ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾[٢٠٥] الآية فيها معاني عرفا نية لسنا بصدد الحديث عنها .

أما الذي كفر ولم يسلك هذا الطريـق فقـد ضـل سـواء السـبيل ، نعـم هـو سالك لكن ضال.

القرآن يتحدث عن الضلال :

هناك من ضل ضلالاً بعيداً وهناك من ضلاله قريب ، الذي يضل عن قريب هناك أمل في رجوعه إلى سواء الطريق ، أما من كان ضلاله بعيد جـدا هـذا ليس فيه أمل أن يرجع لأنه ليس لـه القـدرة على الرجـوع ، الـذي يسـلك عمراً طويلاً بعيداً عن الله كيف يرجع و بأي طاقة ،أي شباب بقي له حتى يرجـع ،أي تفكـير ، أي قـدرات بقيـت لـه حتـى يستنفذها في طاعـة الله ،هؤلاء على حد تعبير القـرآن ﴿ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾[٢٠٦] لكـن علـى حـد تعبير الإمام(ع)[**السائر الضال عن الطريق لا تزيده كثرة السير إلا بُعداً وضلالاً**] أحيانا الإنسان يضيع في ربع الطريق ونصف الطريق وكلما يقطع

---

[٢٠٥] سورة البقرة - مدنية - آية ٢٥

[٢٠٦] سورة النساء - مدنية - آية ١٦٧

عمراً أكثر ووقتاً أكثر كلما يكون بُعد عن هدفه وسقط في الهاوية وأقترب من نار جهنم و ابتعد عن غايته .

إذن هذا الحديث ليس حديثاً علمياً جافاً إنما هو حديث محبة ووصال لكن في مقام تعليم أيضا ،وشرح وتفصيل للطريق أكثر ،ولا يستطيع أي كان أن يختزل ما في هذه الآية من لطف ومحبة وتكرم وتعليم سيما إذا كانت الذات الإلهية هي التي تتحدث مع العباد .

رغم أن طريق الفكر غير طريق القلب إلا أنهما يمكن لكل منهما أن يكون طريقاً لله ، لكن القرآن يريد من الإنسان أن يكتمل في كلا الطريقين ، إنه يريد من الإنسان في مقام التوحيد أن يستدل بالمحبة ،وفي مقام التفصيل والشرح والتعليم أن يستفيد من الوصال الإلهي ، وأن يحصل على الطريق والسبيل عن طريق التعلم وشرح الحال وتوصيف معالم الطريق

والآيتان السابقتان فيهما هذا السجم والانسجام والاتحاد بين الطريقين .

المثال الثالث:

الجهاد:

هنا آية الربط فيها أوضح واسهل وهي من الآيات التي تتحدث عن الجهاد والتضحية والتصدي للأعمال الثقافية والسياسية والاقتصادية ،حيث تبين من الذي يتحرك في ساحة الوغى ومن الذي يدبر ويتولى ،يصف القرآن أولئك الذين لا يفرون في المعارك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَومَةَ لاَئِمٍ ﴾[٢٠٧] إذا جاءت لحظة المواجهة مع الخطر لحظة الصفر من الممكن أن يفر الجميع إلا من أحب الله واعتاد الوصال معه ، كيف يهرب ؟

الدين هو روحه ،هو وجوده والحفاظ على الدين هو غايةوجوده ، لذلك عندما يستبدل الله لا يأتي بأناس أعلى منكم ولا أقوى منكم ،ولا أقدر منكم ،بل يأتي بقوم لهم في ساحة المعركة وصال ومحبة وارتباط مع الله .

﴿ من يرتد منكم عن دينه ﴾ الآية في مقام الحديث عن الجهاد والتصدي ونصرة الدين ،و عدم التصدي يعده الله ارتداد عن الدين ،وعندما يقول سبحانه سوف يأتي الله بقوم لا أعلى ولا أصلب منكم ولكنهم يحبون الله والله يحبهم،فهذا تهديد للذين لا يحبون الله ، إن الله لا يأخذهم لهدى أبدا لأن الله يقبل الجندي الذي يحب الله وينصر دينه .

المسألة ليست مسألة جسم و قوة تحمل واحتمال ، لأن الجندي لو كان قوياً ولكنه غير محب لله لو تزاحمت مصالحه وعلائقه لترك الدين ، ولكن الذي نفى كل العلاقات و لم يبقى في نفسه إلا أنه يحب الله والله يحبه فهو أصلاً لا ينظر إلا لهذه المحبة وهذا الوصال ،لذا إذا تولى المسلم وترك التصدي فالله هو يأتي بأقوام يمدحهم ويعرف من أي عالم يأتي بهم ، من أي مرتبة وجودية هم ، سوف يأتي الله بقوم شرطهم أنه تعالى يحبهم .

الآية تتحدث عن الجهاد والتصدي والحركة ،ولكن ليس الكل يتصدى لا يتصدى إلا المحب ، ثم يوضح لماذا هذه المحبة هي التي تحفظ الدين فقط ولا يحفظ الدين إلا بالمحبة ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ يقول إذا لم يكن هناك ذلة على المؤمنين سوف يكون هناك كل الاختلاف بين هذه

---

[٢٠٧] سورة المائدة – مدنية – آية ٥٤

المجموعة ، عندما لا تتنازل عن حقك أبدا ،وحتى لو كنت على حق تريد أن تثبت أنك أنت الذي على حق ،هذا معناه تعزز حتى على المؤمنين ، عندما تريد أن تحفظ عزك ومقامك وحيثيتك وموقعيتك حتى مع المؤمنين كيف ستنصر دين الله ؟

الذي يحب الله عليه أولاً أن يهدم كل هذه الجبال الخيالية و أن لا يكون مختالاً فخوراً بما فيه من صفات ، أولاً كن ذليلاً على المؤمنين ، الذي يحب الله عندما ينظر للمؤمنين يرى أيمانهم ، إذا كان يحترمهم يعطيهم يبذل من وجاهته لأجلهم ، ،أما من يريد أن يرى عمله هو الصحيح وأن رأيه مقدم على الآخرين لن ينجح ولن ينجح أي عمل أو نشاط اشترك فيه ، شرط النجاح هو أن يكون هناك ذلة على المؤمنين ،هناك أكثر من تواضع ، الذلة غير التواضع ، الذله على المؤمنين لا تعني أن تكون ذليلاً مسحوقاً لهم ، بل معناها أن تكون لك اليد الطولى عليهم ، أنت المعطي ، أنت المؤثر ، أنت المتنازل ،أنت الباذل ، أنت الجاذب لله دائماً ، تتعب من أجلهم وتسعى لصلاحهم وصلاحك ،حتى إذا اخطأ أحد عليك وأنت تعلم أنه هو المخطئ تتهم نفسك أولاً ، المؤمن يتهم نفسه أولاًوينسب العيب إلى نفسه ،هذه هي الذلة على المؤمنين ، التغاضي عن أخطائهم .

من أخلاق الكريم تغاضيه عما يعلم ،لماذا ؟ لأن الكرم ليس فقط بالمال ، الكرم يكون في التعامل والسلوكيات والتغاضي عن أخطاء الآخرين كأنما لم يحدث خطاء ، المؤمن يأخذ المحبة من الله تعالى ثم يرجع من الحق إلى الخلق بالحق ،المؤمن الذي يفكر كل ليلة بأربعين مؤمناً يدعو لهم في صلاة الليل ،ثم يستبدلهم بأربعين آخرين في الليلة الثانية ، هذا واقعاً يفكر بهؤلاء الأربعين إلى حد الإيثار والكرم والعطاء ،هذه هي الذلة على المؤمنين.

مفهوم الذلة واسع يشمل كل تصرفات الإنسان مع المؤمنين من بيع وشراء ومعاشرة وتعاملاً، يستحب أن تعطي أكثر وتأخذ أقل ، تتنازل ، سلم أنت أولاً على اخيك ، وإذا تجاهلك لا تتجاهله ، إذا كان هو جالس قف أنت له ،هذه مسائل و آداب يعرفها الجميع .

عندما تكون أنت البادئ ،أنت المعطي ، تكون قد حققت مفهوم الذلة على المؤمنين ، عندها تكون ممن يقومون بالعمل الإسلامي ،أمثال هؤلاء فقط يأتي بهم الله لانهم يأخذون هذا من محبتهم لله ،فالذي يحب الله لا يرى لنفسه حيثية ولا موقعية يحتاج دائماً أن يزاحم الآخرين حتى يحفظها ويناقش فيها .

﴿ أعزة على الكافرين ﴾ :أمريكا بالرغم من معرفة الجميع لما فعلته أمريكا بالمسلمين على مدى السنين وادعائنا بأننا نكرهها على ما فعلت ، ونكره إسرائيل ،ولكن هل كراهيتنا لهم كراهية حقيقة ؟ وما دليل هذه الكراهية ؟ الذي يكره شيئاً ما لا تستطيب له الحياة ولا يشعر بالراحة إلى جانب هذا الشيء أو الإنسان ،ولكن هانحن نعيش في راحة ورفاهية وسعادة مستمتعين بما نأخذه من أمريكا مدعمين بذلك قوتها في السيطرة علينا ،أين هذا من أعزة على الكافرين أو ﴿ يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم ﴾ هذا كله مأخوذ من المحبة ، كيف لا يخاف المؤمن لومة لائم ؟

منطق الناس لو خلوا وأنفسهم و لم تقيدهم الآداب والأعراف لانصرفوا إلى نقاط الضعف التي في المؤمنين والعاملين في سبيل الله ، وتناولوهم بألسنتهم بالذم والقدح ،مما يُسقط أكثر العاملين مع الأسف لأنهم لا يستطيعون مقاومة المجتمع ، العامل في سبيل الله يعرف نقاط ضعفه ، لأن الذي يفرش صفحة قلبه ليلياً أمام الله فيشرح ويفصل حاله يعرف نقاط ضعفه ،ولا

يحتاج أن نلاحقه بهذه النقاط حتى يراها لأنه اعلم بنفسه منا ، أما من يفرح برأي الآخرين فيه ومدحهم له فليس بعاقل [**من فرح بقول الجاهل فيه أو ضاق بما يقول الجاهل عنه هذا ليس بعاقل**] .

الذي يحب الله ويأخذ منه كل غرضه الوصول إلى المحبوب و لا يخشى إلا إعراضه عنه ،ولا يخاف لومة لائم غيره ،الآية تتحدث عن الجهاد عن الحركة والنشاط عن الفاعلية ، لكن هذه كيف تحفظ ؟

هل بالاندفاع الأول ،أم يجب أن تغطيها المحبة دائما ؟عند ذلك من يكون محبا أكثر فهو صاحب الوسام هو الضابط المسئول ، بما عندك من المحبة يأتي بك الله في الموقع المناسب و يعطيك ما يناسب محبتك .

إذن وصلنا إلى أن العقل ليس فقط القدرة على التشخيص ، وانه لا فائدة من التشخيص إذا كان هناك حجاب وحائل بين التشخيص والعقل ،هذه تسمى فطانه وإذا لم تنتهي هذه الفطنة إلى الله فهي فطانة بتراء مقطوعة الطريق ، وإذا كانت ذكاء وتوقد ذهن وكثرة معلومات فهي ليست بصيرة ، لأن البصيرة تجعل قلب الإنسان مبصرا يرى الواقع ، وأنه لافائدة من الربط ودراسة المقدمات ودلالتها إلى النتائج الصحيحة المطابقة للواقع ثم التوقف في حد المعرفة لأن هذه المعرفة ستكون وبالاً على صاحبها لأنه أدرك و لم يعمل بما أدرك وسوف تتم الحجة عليه .

إذن العقل ليس التشخيص فقط بل هو رفع الحجب بين التشخيص والمعرفة والانقياد والخضوع لله تعالى ،لذا جاء في الروايات [**العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان**] لذلك عندما ندعي أن قدرة عقل المرأة على الإدراك أسرع في سن مبكرة نعرف لماذا كلفت المرأة قبل الرجل بخمس سنوات على الاقل، لذلك التكليف الذي يدور مدار العقل يخاطب المرأة أسرع ؛ لأن

العقل الذي هو مجموع الربط بين التشخيص والانقياد عند المرأة اسرع نضوجاً من الرجل .

استسلام المرأة وإيصال عصارة ما في الذهن ومزجه بما في الروح نوعاً في نوع المرأة اشد وأسرع والشدة هي مدار الرتب القرآنية ، الرتب الجنوية التي في الجنة فالعبرة في شدة هذه اللذة وليس في طولها أو امتدادها .

المحاضرة الخامسة عشر

التقوى

الكمال الذي هو رحى كل الأحكام والتعاليم الابتدائية هو التقوى ، ولأن التقوى هي الكمال الذي يدور حوله رحى الدين والقطب الذي تنحدر عنه كل سيول هذه العلوم والمعارف ، لذا سنتحدث عن التقوى لنثبت بالبرهان أن المرأة من الممكن أن تنال من التقوى أكثر لما فيها من ميزة ،ولكن بشرط حسن التعليم والتربية ، بشرط أن لا تنشئ في الحلية ، لأن الذي في الخصام غير مبين ، الذي لا يتربى و لا ينشئ في أحضان القرآن فهو فضلاً عن أنه غير مبين في الخصام وليس له منطق وبيان ،ليس لـه منطق حياة و لا منطق صواب .

شرط التربية والتعليم يجعل المرأة نوعاً أتقى ،وحتى نوضح معنى التقوى قدمنا أن التعاليم الابتدائية على لسان القران حتى توصل الإنسان إلى مقام القرب الإلهي ومقام المعرفة فهي تبداء من القانون الأصيل قانون الحلال والحرام والمستحب ، ولكن هذه التعاليم الأولية ليست مرتبة الكمال و لا غاية التقوى التي يدعو لها القرآن .

نريد أن نتكلم عن مفهوم التقوى في مقام تكوين جمل مقام التقوى بعد انتهاء الإنسان من هذا التعليم الأولي .

الإسلام والقرآن بما أنه يدعي أنه منهج متكامل لكل سير الإنسان في حياته وأنه يعطيه طريقا ويبين له معالم الطريق ،ويدعي أن الله على طول الطريق وليس في أول الصراط فقط بل على امتداد الصراط وفي كل مرحلة ، لأن الله هذا الوجود الصرف والكمال المحض لذا قال تعالى ﴿ **إني معكم لئن أقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة** ﴾ معية الله هذه ليست بدرجة واحدة ، الله مع الذين يتقون المعاصي ولكن له معية أخرى معية واعية مدركة للذين هم في مراتب أعلى من هذه المراتب ،الذين تطهروا ودخلوا في عالم التقوى وسلكوا هذا الطريق الذي من المفروض أن يسلكه كل إنسان .

معنى التقوى :

١ -معناها الوقاية والستر والجنة والاحتياط من الخطر ، هذا الاحتياط أحيانا منظور له في حد الاحتياط من المعاصي والخوف من النار والحذر من جهنم ، لكن في رتبة أخرى ليس هذا معناه .

٢ -**معنى التقوى** : هو النظرة الإلهية والرؤى الكونية الواعية للدنيا والآخرة والناس ،ما معنى هذا ؟

القرآن يعرّف الإنسان على الله تعالى بعد أن يعرف الإنسان أسماء الله وصفاته بشكل فطري طبيعي فيحب هذا الإنسان الله ، لأن التوحيد والمحبة عقدان متماسكان ، كلما كان الإنسان اكثر توحيدا ومعرفة بالله وبما حوله كلما رأى أنه لا يحب إلا الله تعالى .

ولكن هذه المحبة كيف تحدث وكيف تكتسب ؟ كيف يعقد الإنسان في قلبه هذا الربط بحيث لا بنفك ؟

أول خطوة لهذه المحبة هي المعرفة فمعرفة الله ستر ووقاية وجنة من المعرفة الغير واقعية والغير صحيحة والمنحرفة ،دعاء الجوشن من الأدعية العظيمة التي تقرأ في ليلة القدر ،وفي هذا الدعاء تعريف بأسماء الله تعالى وصفاته والعلماء العارفون يقرؤون هذا الدعاء كل ليلة ،ولكن ما معنى الجوشن ؟

الجوشن: هو الدرع الذي يلبسه الفارس قبل التوجه لساحة الحرب ليقيه سهام الأعداء ، إذا عرف الإنسان الله وعرف أسمائه فعلاوة على أنه سيتقي المعاصي سوف تكون له رؤى إلهية ، بداية المحبة هي الرؤية والمعرفة والإدراك ،لذلك في هذه الأسماء تعريف بالذات الإلهية [**اللهم إني اسئلك باسمك يا حنان يا منان يارؤوف يا رحيم يا رحمن**] كل هذه الأسماء تعاريف با لله وليست ألفاظا في حدود اللفظ والمفهوم والتصور .

هذا تعريف بالذات الإلهية لأنك عندما تريد أن تعرف شخصا ما لآخر فأنت تقول له إنه فلان الطويل القامة العريض المنكبينالواسع العينين مثلاً ، فتشخصه بكل معالمه ، أخلاقه ، نفسه ، صفاته ، حتى كأنه يتجلى للسامع ، وعندما تصف الله بهذه الطريقة فأنه يتجلى للسامع بشكل طبيعي لأن فطرة الإنسان تريد أن تسمع هذه الصفات وتميل إليها ،وسوف يتضح لنا أن الله يتخلل بين الإنسان وفطرته ،فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه ، الله يتخلل بين ما نحب وما نكره ، بيننا وبين ما نميل إليه ،بيننا وبين أنفسنا .

لذا كلما عرف الإنسان أكثر كلما أخذ جُنة أكثر و تقوى أكثر وكلما تهيأت له أرضية المحبة أكثر ، لأن التقوى بالدرجة الأولى ليست فقط في أداء الواجبات والانتهاء عن المحرمات ،هذه أول درجات التقوى ثم بعد ذلك الرؤى والمعرفة حتى يصل الإنسان إلى حد الاشتياق لله تعالى الذي على حد تعبير الأمير في وصفه للمتقين [**لولا الأجل الذي كتبه الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين**] عندما سأل همام الأمير عن صفات

المتقين كان يعرف مجمل صفاتهم ويعتقد بها ،و الأمير فصل له هذا الاعتقاد ،وتوافق اعتقاد همام مع قول الأمير (ع) لذلك لا الحزن ولا الشوق يترك الإنسان ،الإنسان إذا حزن حزناً شديداً غالباً ما يفقد السيطرة على حواسه ،وإذا كان الحزن فوق طاقة الجسد وصارت الروح أقوى من الجسد خرجت الروح من الجسد ،كذلك الشوق والمحبة إذا أغرقت الروح وغطتها فإن الروح لا تبقى في الجسد ،إذا اصبح يوم الإنسان إغراق في الثناء على الله ،من المحال أن تبقى الروح في داخل الجسد لأن الجسد سجن و الروح عندما تحمل علماً أكبر منها و معرفة أكثر منها ومحبة أكبر منها تضيق الروح بهذه المحبة لأن ظرفيتها أصغرلذلك تنفجر فتخرج الروح منّ الجسد .

في ضمن هذه التربية يحصل الإنسان على التقوى والوقاية ، أدنى درجات المعرفة هو الانقياد والتسليم حباً لله يعني الإتيان بالطاعات على نحو الحب وليس على نحو أن الله إله جبار السموات والأرض يعاقب ويدخل النار ، بل حتى لو لم يحرم الله مثلاً الاستغابة و لم يعاقب عليها لا يغتاب لأن الذي يحب يبحث عما يقربه من هذا المحبوب ويرضيه شرط أن يحب حباً صحيحاً واقعياً ضمن تعاليم الشريعة .

هناك بعض أسماء الله تعالى التي تُذكر مرارا في الأدعية وتدور مدار التوحيد نريد أن نعرف بعض معانيها :

سورة التوحيد أو الإخلاص التي تعادل ثلث القرآن ،هذه السورة التي تقول الروايات أن الله يعلم أنه سيأتي في أخر الزمان أناس متعمقون في العلم فأنزل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ + اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[٢٠٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

[٢٠١] سورة الاخلاص - مكية - أية ٢،١

والمَلاَئِكَةُ وأُولُو العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ ﴾ ﴿ وقُلْ اللّهم مَالِكَ المُلْكِ تُؤتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾[٢٠٩] لهؤلاء .

فما معنى الصمد ؟

الصمد : هو الممتلئ وغير الصمد هـو الأجوف ، وفي الرواية [**كل شيء خلقه الله أجوف إلا الله سبحانه**] لأن عندنا أن الله داخل في الأشياء لا بالممازجة ،خارج عنها لا بالمزايلة ، ماذا يعني هذا ؟

الله ليس فقط يحول بيننا وبين الأشياء بل هو ليس موجوداً خارجاً محيط بخارجنا و إنما هو سبحانه وتعالى محيط بداخلنا وحتى بأنفسنا لأننا نحن الأجوف وهو الصمد ، لأننا نحن الفارغون وهو الممتلئ ، لأن الله إذا تحدث عن أناس لم يملأهم الله معرفة وصفهم بأن ﴿ **أفئدتهم هواء** ﴾ و عندما يتحدث عن الذين ليس عندهم فكر إلهي في المقابل يتحدث عن القرآن ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾[٢١٠] أولئك كلامهم هزل وفارغ ،ولكن كلام الله عندما يلقيه ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[٢١١] هذا العلم الثقيل الذي يتخلل بين الإنسان وإنسانيته ،هذا الصمد الداخل في الأشياء لا بالممازجة في كل شيء ، الله كما أنه يحول بين الإنسان وما يريد وما يحب أيضا يحول بينه وقلبه .

---

[٢٠٩] سورة آل عمران - مدنية - آية ٢٦

[٢١٠] سورة الطارق - مكية - آية ١٣

[٢١١] سورة المزمل - مكية - آية ٥

قلب الإنسان ما هو؟

قلب الإنسان هو الإنسان ،الإنسان ليس شيء أخر غير قلب ، لأن القلب هو الإرادة والتفكير والميولات والتوجهات ، كل هذه الأشياء الله أقرب لك منها ،إذن ماذا يبقى للإنسان ، وإذا كان الله هو الأول والأخر ليس معناه أنه ابتداءً خلق الكون وانتهاءً ينتهي إليه الكون ، لا ليس هذا هو المعنى ،بل قبل كل أول هو الأول وبعد كل أخر هو الأخر .

ماذا يبقى في الإنسان ؟ يبقى فيه أنه مضغة وجوهر إلهي فقط ، إذا التفت الإنسان إلى هذا الجوهر الإلهي سوف لا يرى أن هناك واجب الصمدية والامتلاء إلا الله تعالى .

إذن الله عندما نحبه لا نحب شيء خارجنا أوبعيد عنا عندما نحب الله فنحن ندعي أن كل الكمالات والكمال المحض هو أقرب لنا من أنفسنا ، نحن نتلذذ بسماع المسائل الأخلاقية و الكمال فكيف إذا كنا معجونين به ، الإنسان عجينة إلهية مع الكمال ،كل الموجودات معجونة مع الله ولكن الفرق بينها وبين الإنسان ،أن الإنسان بإمكانه أن يدرك هذه العجينة الإلهية ، بإمكانه أن يدرك هذا الذي يتخلل بينه وبين هواه وبين رغباته ،هذا الصمد الذي يملاء كل شيء وجوده ،ليس شيئا بعيدا حتى نبحث عنه لأنه الصمد المطلق ،ليس شيئا الطريق إليه بعيد جدا حتى نتعثر فيه وإنما هو بنفسه الطريق وهو الطريق إلى نفسه ، هو الذي يعرفنا نفسه ،إذا عرفناه [**إلهي بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدر ما أنت**] .

هل هناك أحد يعرف الله بغير الله ،على حد تعبير العرفاء: **الوجه الجميل لا يُعرف إلا أن يكشف الستر عن وجهه حتى تراه**] الله سبحانه تعالى الصمد والأول والأخر والظاهر والباطن ،نعم هو صمد ومتخلل الأشياء لكنه باطن هذا التخلل ، أنت أفرغ نفسك قليلاً على حد تعبير الإمام الصادق (ع)

:تبحروا في أنفسكم فإن أنقاها الله من الهاجس فعند ذلك فادعوا يستجاب لكم]
قلوبكم بحار والذي لا يبحر لا يرى اللالىء ، ومن لا يرى اللالىء لا يتعلق قلبه باللؤلؤ يقول سعدي [**الذي خارج الساحل ، الذي لم يجرب ولم يشاهد من أين يعرف أحوال الغواصين الذين كانوا يغوصون ويستخرجون اللالىء ،الذي لا يرى اللالىء لا يتعلق قلبه بها ،لكن الذي جرب لحظات وصال الله ولو للحظات ،الذي جرب لحظات مناجاة الله ولو للحظات قليلة ،عندما يبحث عن شيء جربه ،يبحث عن شيء يعرفه ،لكن خفيفي الحمل الذين لا يحملون شيء من أين لهم أن يعرفوا أحوالنا ، أي حال نحن فيه ، أي لذة نصفها لهم]**
هؤلاء أصحاب المحامل الخفيفة خفيفي العقل والروح ،خفيفي المعارف ،هؤلاء الذين لا يعرفون أن الصمد يتخلل كلّ شيء المشغولين بكل شيء إلا الصمد وهو معهم ،لكن لا بالممازجة و إذا كان خارج عنهم فلا بالمزايلة ،يعني لا بمعنى أنه يزول عن هذا المكان في مكان أخر ،خارج عنا بمعنى أنه هو الذي وجوده عين حقيقته هو الوجود ،هو الواجب الوجود هو الغني عنا ،هذا معنى خروجه عنا .

بنفس الدرجة الذي هو غني عنا نحن بحاجة إليه ،نحن بحاجة لله بالضبط بنفس الدرجة التي سبحانه غني عنا ،بنفس الدرجة التي هو الصمد نحن فارغون ،أي شيء نحن لو لم نعرف الله تعالى لذلك إذا جاء الأنبياء بالتوحيد وحاربوا عليه لأنهم لا يريدون من الإنسان أن يترك الأصنام ويعبد الله نفس عبادة الأصنام يريدون العبادة التي بدئها توجيه الوجه للقبلة والركوع والسجود ثم بعد ذلك هذه المعرفة ،هذه المعرفة التي أرسل الله لها كل الأنبياء ،وإلا الأنبياء إذ يأتون ويطرحون عقيدة التوحيد ويحاربون الناس عليها ،هل فعلوا كل ذلك من أجل هذه العبادة التي نعبد الله بها؟

هـذه العبـادة لا تستحق أن يحـارب لأجلهـا واحـد مـن الأنبيـاء ، العبـادة الصادرة عن معرفة هي التي حارب الأنبياء من اجلها هذه المعرفة الـتي لـو لم يؤمن من بعض القرى إلا إنسان واحد ولو لم تنعـش هـذه المعرفـة إلا قلـب إنسان واحدلكفت، لذلك نداء رسول الله حياة ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٢١٢] بعض الأمم كان عندهـم حضـارات وآداب وكـان هناك عدل ،ومـع ذلـك يـأتي الأنبيـاء بـالتوحيد ويزيلـون هـذه الامـم ،لأن التوحيد معناه أن يرى الإنسان واقعه وأن يرى فقره المحض وغنى الله المطلق ،أن يكسر هـذه القيـود الـتي وضعهـا حـول نفسـه وفكـره وقلبـه ووجـوده ،يكسر هذا القفص حتى تحلق هذه الروح في معرفة الله تعالى ،لـذا إذا قيـل دعاء الجوشن فمعنى هذاأن يفهم الإنسان المعاني الوتـردة في الدعـاء فيلبس الإنسان الدرع أمام الرؤى الخاطئة ،وحتى يكون ممتلئ ومحاطاً لأن الـدرع يجب أن يحيط بالإنسان ،فيكون محاطاً بأسماء الله وصفاته ،حتى يكـون هـو أجوف وممتلئ بـالصمد وبأسمـاء الله وصفاتـه ،حتـى كلمـا امتزجت هـذه الأسماء في نفس الإنسان أكثر كلمـا نسـب كـل الكمـال لله وكـل الخطـاء لنفسه ،وهذا هو مفاد التقوى .

يصف القرآن المنافقين بأنهم لا يكادون يفقّهون حديثا ،﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[٢١٣] هـؤلاء إذا أصابتهم مصيبة ينسبونها للرسول ،يقولون له أنـت لم تعرف تدبير الأمـور ولم تستطع إدارتنا ، لم تعرف كيف تحكم ،هذا ناتج من سوء تدبيرك وعـدم قدرتك ، بماذا رد الله عليهم ؟

---

[٢١٢] سورة الانفال - مدنية - آية ٢٤

[٢١٣] سورة النساء - مدنية - آية ٧٨

﴿ كل من عند الله ﴾ ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[٢١٤] أولاً يقول كلا الحسنه والسيئة من الله ،ثم يقول أن الحسنة من الله والسيئة من نفسك ،ما معنى هذا؟

يعني أن كل ما يحدث في هذا الكون وجوده التكويني من عند الله ابتداء ،ليس الحسنة فقط بل الفضل والرحمة منه أيضا ،السيئة من الأسباب الطبيعية من عند الله يعني الله أجاز بها ،لأن الله يريد من الإنسان إذا رأى حسنة والتفت بأي درجة من الالتفات إلى هذه الحسنة أن يرى أيادي الله حتى يحبه تعالى .

وإذا رأى سيئة ،السيئة لا تكون من الله ،السيئة من عند الله ،أي منا ، هذه السيئة التكوينية الله خلقها ،لأنه لا يوجد شيء في الكون إلا الله خلقه ،لكنه لم يخلقه حتى يكون سيئة ،الإنسان جعله سيئة ، الحسنة من الله مباشرة تبداء منه وفي الوسط منه وفي النهاية منه تعالى ،لذا المتدرع بهذه المعرفة محال أن لا يحب الله ، لأن أي عمل يقوم به قربة لوجه الله أي توفيق هو حسنة،أو يطلق عليه حسنة ،أي شيء فيه كمال لهذا الإنسان فهو حسنة ،والحسنة من عند الله ومنه ،والسيئة فقط من عند الله بمعنى أن الله أوجد علل هذه السيئة .

المتدرع بالمعرفة سوف تكون له نظرة إلهية ناشئة عن وقاية بحيث لو رأى سيئة يبعدها عن هذا الإله ،عن ربه الذي يتخلل داخل نفسه بل ينسبها لأي علة في هذا الكون ولكن ليس لله هذا هو الدرع والجوشن ،هذا هو الستر ،هذا الذي يجعل الإنسان يرجو رحمة ربه ويحذر الآخرة ،لا يخاف من الله ،يخاف من الآخرة من سوء أعماله على حد تعبير القرآن ، الرجاء من الله

---

[٢١٤] سورة النساء - ..... - آية ٧٩

لأنه الكامل الغني المحض الذي لا إنه فقط لا يحتاج إلى عذابك بل أنـه تعـالى يحتال عليك حتى يرحمك ، وهذا معنى إطلاق أرحم الراحمين .

أرحم الراحمين:

معناها إما نسبي يعني أن هنـاك أنـاس في هـذا الكـون يرحمـون والله أرحـم منهم ، وإما معناه مطلق وما ندعي نحن لله من رحمة مطلقة إذا قيـل أرحـم الراحمين فليس هناك أرحم منه أبدا في أي موقع أنـت ترحـم نفسـك الله في ذلك الموقع ارحم بك من نفسك وإلا لايكون أرحم الراحمين في ذلك الموقع ،في أي موقع ترجو أنت اللطف لنفسك فالله ألطف منك بنفسك .

لا يمكن أن ترحم نفسك ولو للحظة أكثر من رحمة الله بك ،لـذا يستحب أن يسجد الإنسان ويكرر في سجوده سبع مرات يا ارحم الراحمين ، عندمـا يتحدث القرآن عن الإلهيين يقول أنهم يقولون ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ يقولون الله لا يكتب علينا شيء ، الله يكتب لنا ،حتى البـلاء الـذي يبتلينا به لنا، اللام هنا لام المنفعة ،يعني لمنفعتنا ،لن يصيبنا شيء إلا ما كتـب الله لنا ،لأن كل شيء هو لك ،أي شيء يقدره ،أي حدث يحـدث في هـذا الكون ،أي شيء يمسك مـن قريـب أو بعيـد ،لـو كنـت متدرعـا بالجوشـن لرأيت أنه كتبه لك ،أن الله حبيب مـن تحبـب إليـه وقـرة عيـن مـن لاذ بـه وانقطع إليه ، هل من الممكن أن تحب الله أكثر مما يحبك ؟

هذا محال ،أنت المقيد أنت الفقـير ،أنـت الـذي حبـك بقـدر معرفتـك ،لأن الحب لايكون أكبر من المعرفة أو أكبر من الإدراك ،لكنه هـو الـذي لا حـد لمعرفته ولا حد للطفه ،هو الذي خلق الجنة والنار و نحـن خلقناهـا بأعمالنـا ،هو الذي أوجد اللذة والراحة ونحن خلقنا السيئات بأيدينـا ،نحـن أوجدنـا

جهنم بأيدينا ،وإلا الله تعالى لم يخلق جهنم للناس كما في الحديث القدسي [عبادي إنما خلقتكم لتربحوا علي ولم أخلقكم لأربح عليكم] .

هذه المعرفة درجة وحدٌ من التقوى ،بحيث لو كان للإنسان هذا الحد من المعرفة مقتضى هذه المعرفة بلا شك انقياد واستسلام لله تعالى ،بالإتيان بالطاعات على نحو الخدمة،وغير اللائق بالخدمة هو المحروم [لعلك عن خدمتك نحيتني] العارف يجعل كل حياته لخدمة الله سرمدا ،من تخدم ؟ لمن تعمل ؟

أقرب الأشياء لك أنفذ الأشياء منك ،أكثر الأشياء صامدا في نفسك لذلك هو الصمد ،هو الممتلئ المتوجه إليه ،عند ذلك يكون من الخفة وعدم الامتلاء بمعرفة الله أن ينشغل الإنسان بشيء لغير وجه الله لأن أي شيء مهما كان صغيراً ، مهما كان وقته محدودا وزمانه قليل لكنه إذا نسب إلى الله فهو مطلق .

هذا أول مقتضيات الإيمان ،هذه أول التعاليم التي نتعلمها عندما نؤمن بوجود الله أن الأعمال التي عليها ثواب الله لذتها غير محدودة وغير منتهية وغير منقضية ، حقيقة أن بعض اللذات مراتبها قليلة لكنها ممتدة ،لذا جاء في الروايات من كرر هذا الذكر فإن له هكذا من الثواب ،من مسح على رأس يتيم فله أجر على كل شعرة مسح عليها ،من سر مؤمن من ابتسم في وجه مؤمن له كذا ، مثل هذه الأعمال ربما مراتبها قليلة لكن ثوابها ممتد .

ربما المراتب ليست كثيرة لكنها سرمدية واللذة السرمدية هي التي لا تنتهي ولا تنقطع أبدا ،أي عاقل في مقابل هذه اللذة السرمدية لا يصمد لله ويتوجه بهذا العمل إلى الله الذي هو أصلا الصمد هو الذي يمكن أن يصمد ويتوجه إليه ، هو الصمد هو الممتلئ وأنت الفارغ ،هو ذو اليد الطولى هو باسط اليدين بالعطية .

من الطبيعي أن السلوك وطي الطريق لله ليس في حدود الحلال والحرام فقط التدرع بهذه المعرفة والتقوى وتسليح الاراده حتى يكون الإنسان مريـدا لله عندها يتحمل كل الآم الطريق مهمـا كـانت صعبـة ليسـت المسـألة مسـألة صلاة الليل فقط يقول أحد العرفاء الإيرانيين ما معناه [**إلهي كل شـوك يصيبـني في صحرائك لذيذ جدا ومريح لكن الشـوك الـذي في قلـبي ،إلهي إرأف بقلـبي فإن حبك كالطيور الوحشية بصعوبة تصطاد وتوضع في قفص ، وأشكل المشاكل حفظها في مكان معين لأنها لاقل حركة تطير وتفقد مكانها ،إلهي أنا أتعب جدا لكي أحصل على هذه الحال معك ولكن بانصراف قليل أفقد هذا الحب ،إلهي إذا كان قلبي ليس مكان يسـتقر فيـه هـذا الحـب ،أولأن طبيعـة حبـك مثـل الطيـور الوحشـية أصعـب الصعوبات مسكها ولأقل إنصراف عن وجهك تطير**].

لذا إذا وفق الله إنسانا لهذه المعرفة وتجوشن وتدرع بها أحاطت هذه المعرفة بالإنسان وعرف معنى الصمد ومعنى أرحم الراحمين ومعنـى ﴿ لئـن شـكرتم لأزيدنكم ﴾[٢١٥] ولكن لا يقول : لئن كفرتم لأعذبنكم بل يقول﴿ لئن كفـرتم إن عذابي لشديد ﴾ هناك فرق بين التعبـيرين الأول يقـول الشـكر لا أدعـه لأي أحد مطلقا وهذا على حد تعبير المناطقة قضيـة موجبـة كليـة كـل مـن يشكر الله يزيده نعمة ويزيده معرفة ،والآية الثانيـة قضيـة مهملـة لا يقـول أعذبكم بل يقول أن عذابي شديد ،طبيعة هذا العذاب شديد ليس كـل مـن يكفر يعذبه الله من المحتمل أن يسامح الله بعض الناس،لكـن في الواقـع مـن يكفر فهذا الجزاء موجود له ،ليس هناك الطف من هذا البيان في إهمال هذه القضية وطرح القضية الأولى .

---

[٢١٥] سورة ابراهيم – مكية – آية ٧

هل هناك من يستطيع الامتلاء بغير الله ،لذلك هو الصمد ﴿ قل هو الله أحد #الله الصمد ﴾ بمقدار أحديته وتوحيده هو صمد بنفس الدرجة والمقدار .

إذن أسماء الله تعالى هي الجوشن الذي يحيط بالإنسان ويواجه به كل ما تقع عليه عينه كل خير يراه ينسبه لاسماء الله ،وكل شر يدفعه عن الله ،و لايرى إلا ذو البهاء صاحب الجمال الاجمل ، الجمال المطلق [**اللهم إني اسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل**] لا ينسب الجميل إلا لله ،ومبادىء هذه الحالة ومنشأ هذا الشعور هو معرفة أسماء الله وبالتالي السعي للوصول إليها .

العامل الأخر هو معرفة آل البيت (ع) وهذا حديث مستقل بنفسه ،لا يسمح بحثنا بالحديث فيه.

الخلاصة :

١-اساس العرفان البحث في الشهود الواقعي والكشف الحقيقي عن أسماء الله والسير والسلوك إلى الله من خلال هذه الأسماء التي أقرها العرفاء وأقاموا البراهين عليها وعصارتها أيدها القرآن أن لم يكن على شكل آيات صريحة فإن عصارة هذه البحوث مبثوثة في القرآن .

٢- العارف يرى أن كل هذا العالم في حالة وجود جديد ،أي شيء في هذا العالم السيار المتحرك من مادة أو غير مادة دائما في حالة وجود جديد وارتباط بالله ،والعارف الذي أفقه فوق حد الطبيعه يرى الربط الحقيقي بين الاشياء وبين الله لا تضغط عليه الطبيعة ولا تضيق من أفقه ،فهو واسع

النظر يرى الأشياء خارج حدود هذه الدنيا التي على حد تعبير القرآن ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾[٢١٦] .

٣- العارف يرى الأشياء مبدئها من الله تعالى وصراطا وامتددا متعلقة بالله ومنتها ونهاية [**أزمة الامور بيدك ،صادرة عن قضائك ، ذات فاقة إلى عفوك ، قد مسني الضر ونالني الفقر وشملتني الخصاصة وأعرتني الحاجة ، وتوسلت بالذلة و علتني المسكنة ،وإلى أين يُذهب بي يا رب عنك وأنت أزمة الأمور كلها بيدك**] العارف يرى كل شيء له ناصية [**وما من دابة إلا ناصيتها بيد الله**] .

٤- ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾[٢١٧] هذا القانون نافذ ومستقيم لكل موجود وإن ناصية هذا الموجود إن لم تكن ناصية كاذبة خاطية فهي ملتفتة إلى هذا الربط والأنقياد والزمام الذي بيد الله إلا أن تكون الناصية منقطعة عن الله، تكوينا هي مرتبطة بالله ولكنها غير واعية لهذا الأرتباط فهي كاذبة بارتباطها بغير الله تعالى .

غير العارف ،غير الموحد دائما في ضيق الطبيعة لا يعرف مبادىء الأشياء ولا يعرف الهدف منها ولا يعرف منتهى هذه الأشياء ، وعندما يبحث عن أي شيء موجود يبحث عنه في حدود ذلك الموجود نفسه فقط ،في حدود الطبيعة ، في حدود تركيب هذا الجسم فقط ،أين مبداة، و إلى أين منتهاه ،ليست له هذه النظرة الواسعة لذلك هو في حالة ضغط نظري دائما ، أما العارف فله رؤية عرفانية ،والمتقي والمتضرع بأسماء الله له رؤيا عرفانية لكل شيء في هذا الكون،وعندما يسير لله تعالى فهو يسير بصحبة الله تعالى .

---

[٢١٦] سورة النساء – مدنية – اية ٧٧

[٢١٧] سورة هود –مكية – اية ٥٦

٥-الفرق بين العارفين في السلوك والسير هو نحو من التجلي ونحو من السير إلى أسماء الله ، البعض يسير في الأسماء الجمالية ، والبعض يسير في الأسماء الجلالية ، البعض يسير تحت أسم اللطيف ،الرحمن ،الرحيم ، الجميل ، الأسم الذي بدواً يأنس به ثم يصبح وصاله في هذا الأسم ،لأن نفس الإنسان كلما كَمُل كلما أستطاع أن يجمع وأن يسير في أسماء الله أكثر ،وإذا كان الإنسان يسير في أسماء الله الجلالية الجبار ،الجليل ،القهار ،فإن التلبس بهذه الأسماء يعني أتخاذ أثار هذه الأسماء ،يعني أن يبحث أن يكون خليفة لله قاضياً بالعدل قائماً بالقسط ،عدلاً في الحكم ،هذه كلها من أسماء الله تعالى ويتفاوت السير فيها بأختلافها على حسب ما للإنسان من أنس بهذه الأسماء .

طبعا ليس هناك فرق بين الذي يسير لله ويكدح سواء أكان عارفاً موحداً أو كان كافراً بوجود الله لأن الجميع يصل إلى الله وينتهي إليه ولكن الكافر يسير إلى جهنم وتحت ولاية الشيطان ، الله هو الذي أوجد الشيطان ،والشيطان أيضا يسير لله لكن تحت أسماء الله القهرية ،فهو كمن يؤخذ وهو مغمض العينين مسحوب اليدين يؤخذ ﴿ خذوه فغلوه ﴾[٢١٨] فاهدوهم إلى صراط الجحيم لا يعرف هذا الطريق الذي قطعه طول حياته هدفه الأصلي هو الحياة الطبيعية والخلق فهو يسير من الخلق في الخلق إلى الخلق بالخلق .

---

[٢١٨] سورة الحاقة - مكية - آية ٣٠

المحاضرة السادسة عشر

آدم وحواء

المرحلة الثانية بعد التعلق با لله تعالى هي ان ا لله جل وعلا إذا أحب شخصاً كساه وأعطاه وجعله مُظهرا لهذا الأسم الجمالي الذي سعى فيه ،فإن كان سعى لمحبوبه الذي هو ا لله سبحانه فإن ا لله يلقي عليه محبة منة ويجعل كل من رأى هذا الإنسان أو عاشره أو اقترب منه ﴿ إن الذين آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَالِحَاتِ سيَجْعَلُ لهم الرحمنُ وِدّاً ﴾[٢١٩] يجعل له حب ومودة ويجعل له ألفة والمؤمن لا يخلو من محبة أو ألفة أو رأفة ،لا هو رؤوف بالاخرين هذه درجة ، الدرجة التي نتحدث عنها أعلى من هذه الدرجة .

حديثنا عن الإنسان حين يصبح مظهرا لأسم ا لله المحبوب فيكون هو أيضا محبوبا للمؤمنين ،محبوباً لأولياء ا لله محبوباً لكل خلق ا لله تعالى ،في بداية الطريق يجعل ا لله الملائكة تضع اجنحتها تحت أقدام طلبة العلم ، أو يجعل الملائكة في خدمة المؤمنين ،لكن في مرحلة ثانية يجعل الملائكة عشاق للمؤمنين ،ويجعل المؤمنين عشاقاً لذلك الإنسان الذي هو مُظهر لأسم ا لله تعالى ، هو المحبوب .

---

[٢١٩] سورة مريم – مكية – اية ٩٦

في هذا الطريق إذا سارت المرأة وتكاملت وأصبحت مظهرا لأسماء الله تعالى عرفنا السر وراء محبة الرجل للمرأة وانجذاب قلوب الأنبياءوالأولياء للمرأة الكاملة .

١- سر محبوبية الأنبياءللمرأة:

ذات الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تُعرف ،ولكنه عز وجل جعل علامات وآيات تدل عليه وتدل إلى ذاته ،فكل شيء علامة على الله من حيثية معينة ومن جهة معينة ،وبامكان المرأة أن تكون علامة شاهدة على عطف الله ولطفه ومحبته وحنانه ،وهذا ما يتجلى بدرجات ،منها درجات الأكمل ،ومنها درجات الأدون ،ومن هذه الدرجات علاقة الزوجة بزوجها ،والبنت بابيها ،والأم بطفلها ، هذا كله آيات إلهية سوف نستدل عليها ،ولماذا الله يعدها آية .

لأن الله يعتبر حيثية المرأة من الحقوق الإلهية وليس من حق المرأة المحافظة عليها أو التخلي عنها لأنه :

١-الأنس بالمرأة آية إلهية ليس المقصود منها الأنس الحيواني ،الآية التي تتحدث عن بدء الخلق ﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيهَا ﴾[٢٢٠] من الذي يسكن للأخر ؟

خلقكم من نفس واحدة أي من حقيقة واحدة ،أي خلق آدم الذي هو المثال الأمثل من حقيقة وأصل واحد ومن هذه الحقيقة خلق زوجها أي حواء ،ليس المقصود بالزوج الرجل ،إنما يتحدث عن أصل خلق الإنسان ، ثم يقول ﴿ ليسكن إليها ﴾ ليس المقصود بالسكن إليها السكن الحيواني

---

[٢٢٠] سورة الاعراف -مكية - آية ١٨٩

الغريزي ،لأن الله لا يعد السكن الحيواني الغريزي آية ،لأنه يقول ﴿ ومن آياته أن خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسَكُم أَزْوَاجاً ﴾[٢٢١] يعني هذه آية لله .

هذا الإنسان الذي لا يستقر (آدم) وهو نبي وهو أول عارف بالله لا يستقر ولا يأنس إلا به وبذكره ،الذي علمه الله الأسماء كلها لآشك أنه لا يأنس إلى جانب غريزي أو جانب حيواني وإنما يأنس إلى جمال ولطف موجود في حواء أكثر مما هو موجود في آدم ،لذلك يسكن إليها ،الإمام الصادق (ع) في مقام شرح هذه الآية لزرارة يقول : أن هذا الأنس وهذه السكينة محبة إلهية ،والمحبة الإلهية لا تطلق على الغريزة الجنسية ،المحبة الإلهية دليل على أن هناك آية مودعة مخفية في حواء يسكن إليها آدم-.

وإذا ورد في الروايات أن المرأة يجب أن تكون جاذبة أو في مورد جذب ولطف للأخرين وبالأخص أهل بيتها أو ما هو أخص(زوجها) فإن المقصود من هذه الرواية أن تكون مظهرا لفعل الله الذي هو سبحانه الجاذب لمحبته .

الأصل الأصيل لعلاقة الرجل بالمرأة هو المحبة الإلهية ، لأن الرجل والمرأة يمكن أن يحبا الله بدرجة واحدة ،ولكن أن يكون شخص ما مُظهرا لمحبة الله غير أن يحب الإنسان الله ، أن يكون الإنسان مُظهرا لمحبة الله أن يتعلق به الأخرون لما هو متعلق بالله هذا مختلف .

هل جربتم أن تتعلقوا بعالم رباني خلوق، في كل أعماله رضا لكم ،هذا العالم لا أنه أحب الله فقط بل الله أعطاه وحباه وكساه محبة المؤمنين وهذا شيء أخر ، كل المؤمنين يحبون الله بدرجات متفاوته ،لكن أن يكون شخص ما موردا للعلاقة مع الأخرين جاذب فاعل وليس منفعل ،المحب لله

---

[٢٢١] سورة الروم -مكية- اية ٢١

منفعل من محبة الله ،لكن الفاعل للمحبة ذاك الذي كساه الله تعالى من آثار محبته ،وهناك أدلة كثيرة على ذلك منها ﴿ اتبعوني يحببكم الله ﴾[٢٢٢] تقول الرواية إذا أحب الله شخصاً لا يرسل إليه رسالة إنني أحبك ، بل إن آثار محبة الله تظهر على هذا الشخص فيحبه المؤمنون بدرجات متفاوتة ،بعض المؤمنين تظهر محبة الله لهم بإن يجعل الملائكة في خدمتهم ، والبعض يوفقهم ،والبعض الأخر يسهل لهم سبل الوصول إليه ،والبعض درجة محبته أن يجعله الله في مورد جذب المؤمنين لله تعالى ومن نوع هذه المحبة محبة المرأة الكاملة ،لأنها فاعل وجذب وليست في مقام أنفعال ،ليست المرأة في مقام محبة وإنما في مقام محبوب .

عن رسول الله (ص) [حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء] وعن الصادق (ع) [أكثر الخير في النساء] تحمل هذه الروايات على المعنى الذي ذكرناه ،لاشك أن الإمام عندما يقول أكثر الخير في النساء يقصد خيرية معينة ،وعندما يقول الرسول وهو الذي نهاه الله عن زهرة الحياة الدنيا ﴿ولا تَمُدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُنْيَا لنفتنهم فيه وَرِزْقُ رَبِكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[٢٢٣] اصلاً لا تمدن عينيك لهذه الرغبة الحيوانية ،ثم يقول (ص) حبب إلى من دنياكم أثنتين الطيب والنساء] لا شك لا يقصد تلك المحبة التي نهاه الله عنها ،بل يقصد أن هناك شيء يجذبني لله .

الموجود المتمكن من محبة الله وعرفانه يقع تحت محبته ،وكلما كُمل الإنسان كلما وقع تحت محبة هذا المحبوب ،وكلما رأى هذا الثوب التقوائي الإلهي ،فإن خير الزاد أولاً التقوى وخير اللباس التقوى .

---

[٢٢٢] سورة آلعمران - مدنية - آية ٣١

[٢٢٣] سورة طه - مكية - آية ١٣١

إذن عندنا ثلاث مراحل من التقوى :

١-أن يترك الإنسان المحرمات ويعمل الواجبات ويسعى للمستحبات .

٢-أن يعمل بحب وانقياد وتسليم بحيث يكون حبه هو الذي يستيقظ عليه من النوم وهو الذي ينام به بحيث يسكن حب الله سويداء قلبه ،عجينه روحه هو الصمد وليس شيء أخر ،فهو ممتلىء بالله تعالى .

٣- أن يكون هو محبوباً ومأمور بأن يظهر هذه المحبة ويسعى أن يظهر هذه الفاعلية حتى يجذب الأخرين لله تعالى وهذا يكون تجلياً لأسماء الله تعالى .

سئل أمير المؤمنين وفاطمة (ع) النبي محمد (ص) أيهما أحب إليه فقال : **فاطمة أحب إلي وأما أنت يا علي فعليّ أعز]** هناك فرق بين المحبة وأن يكون الواحد عزيز على رسول الله (ص)،عزيز يرى له العزة والقدرة والنفوذ فهو معجب بشخصيته ،ولكن حبيب هو النافذ تحت محبته ،يعني محبته مهيمنة عليه ،حبيب يعني روحه و شعاع قلبه منكسر تحت جوهر هذا الحبيب .

لذلك إذا أمرت المراة ابتداء بالتحبب في دارها فهي تأخذ المرأة إلى هذا المقام ولكن بشكل تدريجي ،لأن هذه المقامات لا يؤخذ لها الإنسان دفعة واحدة ،أولاً علم الله الإنسان ابتداء كيف يكون هو في مقام التنازل والإيثار والبذل ،وأي إنسان له ذرة من فطرة صافية ولا يخضع للإنسان المتواضع المتنازل المبادر للخير دائما ذو اللسان الطيب ،إذا قالت المراة لزوجها كلمة لطيفة أو سقت زوجها كأس ماء فكانما أعتمرت لله عز وجل ،إذا تربت المرأة على هذه العلوم والمعارف سيكون لهذه الاعمال ملكات ولها فوائد .

ولكن إذا لم تحسن المرأة وضع هذه الروايات في مواضعها و لم تحسن إدراك مضامينها سوف يكون هذا استخدام لها واستذلال ، ويكون هذا الحب وهذا الجمال لا يرضي الله تعالى حتى وإن نسب للمرأة نفسها إذا لم يكن

هذا الجمال والحب محكوماً بالشمة الإلهية والربانية ومنسوباً إلى الله ودليلنا على ذلك كما تقدم :

١- القرآن ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ وبينا أن أنس آدم بحواء ليس أنساً غريزياً .

٢- قول الرسول (ص) والإمام الصادق (ع) .

٣- دليل فقهي وهو :

في الفقه هناك كتاب العبادات وكتاب المعاملات ، كتاب العبادات يتناول الأعمال التي يؤتى بها على نحو التعبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها ، وكتاب المعاملات يتناول انواع العقود والبيع والشراء والمعاوضة والوديعة وغيرها ، وهناك كتاب النكاح الذي يختلف عن كتاب المعاملات في أنه ليس عقد معاوضة ،إنما هو عقد معاهدة وتعاهد وفيه شمة عبادية .

لا يشترط في العقود عادة النية الحسنة لأنها بيع وشراء فهذا الشرط غير منظور إليه لأن هذه أحكام توصيلية ،باستثناء عقد النكاح الذي يشترط فيه هذا الشرط لأنه ليس عقدا معاملاتياً صرفاً ،إنما فيه ريحة وروح العبادة ،لماذا ؟

مثلاً خيار الشرط أو شرط الخيار في العقود إما لازم أو غير لازم (جائز) :

العقد اللازم : أن المتابيعين لايصح فسخ العقد بينهما إلا بانواع الخيارات التي اشترطاها ضمن العقد أو لكون العقد جائز ،أو أن يشترطا أنه يجوز لأي منهما فسخ العقد متى أراد ،فمثلا عقد الوكالة يجوز للموكِل أن يسحب التوكيل من الوكيل في أي وقت يشاء ،أو أن يشترط المشتري أن يرد السلعة إذا وجد فيها عيباً ،أو كان في البيع غبن لأحد الطرفين ،وإلا فالعقد ثابت بين الطرفين لا يجوز فسخه ، ومع ذلك كل العقود اللازمة فيها شرط

يسمى شرط الخيار يسمح لأحد الطرفين بالتراجع عن العقد بحسب الشروط التي تمت بينهما ،إلا عقد النكاح ليس فيه مثل هذا الشرط ولا يجوز اشتراطه لأتمام العقد ،كل العقود من الممكن أن يفسخها أحد الطرفين أو يأتيان بحكم أجنبي ليفسخ العقد بينهما ،إلا عقد النكاح لا يجوز فيه ذلك ، لماذا ؟

١- أجمع الفقهاء على عدم جواز الفسخ فلا يصح للرجل أن يعقد على المرأة ويقول أعقد على فلانه وانزوجها بشرط أن افسخ الزواج إذا لم تعجبني ،و كذلك لا يصح للمرأة أن تشترط مثل هذا الشرط .

هناك حقوق للناس ،وهناك حقوق لله ، حقوق الله لا يحق للمتعاقدين التنازل عنها أو التصرف فيها ، حقوق الله تحفظ حيثية المرأة وحيثية المرأة ليست ملكاً لها ،حيثية المرأة ملك لله تعالى .

من أين أتت شمه العبادية لعقد النكاح ؟

جاءت من هنا ،لأن جمال المرأة وعطفها ليس لها ان تضعه في أي مكان شاءت وترفعه وتفسخه في أي مكان ،هذا حق الله ليس لها الخيار ولا لزوجها الخيار فيه ،عندما تشترط المرأة أو الرجل مثل هذا الخيار فإن في ذلك إذهاب لحيثية المرأة ،وهذا شأن إلهي ليس لأحد الحق فيه إلا الله .

لو تنازلت المرأة عن حيثيتها والعياذ بالله فإن للشارع أن يقيم الحد عليها ، لا لأنها أراقت حقها فقط بل لأنها أراقت حق الله تعالى ،وهناك فرق بين هذا العمل والسرقة مثلاً ، إذا سرق شخص ما مالاً من شخص أخر وأعتذر إليه بعد مده وارجع إليه المال وتنازل المسروق عن حقه لا يقطع الفقيه يد السارق ،لأن هذه حقوق بين الناس وبعضها ،ولكن ذلك الحق حق الله فلو تنازلت المرأة وزوجها أو أبوها عن هذا الحق والحيثية فشرعاً يجب أن يجلدوا

،لأنهم أخذوا حقاً كان من الواجب أن يوصل المرأة لله لو أتت به على نحو الطاعة والأنقياد لله واراقته وضيعته وهذا بمثابة الكذب على الله ورسوله .

هذا الجانب إذا أخذ وربي في أحضان الدين فسوف تتحول هذة العلاقة الزوجية إلى علاقة قدسية ،يمكن للمرأة عن طريقها الوصول للقرب من الله على المرأة أن لا تنظر إلى هذا الموضوع باعتبارة حق لزوجها او حق لأقربائها ،هذا حق الله ،هذا اللطف الذي وضعه الله فيها لايجوز لها أن تتلطف مع أي كان وفي أي مكان كان وفي أي مورد ،هذا تربية للمحبة حتى تكون مظهرا لمحبة الله ، هذا اللطف من المرأة ليس في مقابل الصداق الذي يعطيه الرجل لها لأن الله يقول ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾[٢٢٤] يعني عطية دون مقابل،هذا الصداق الذي يعطى للمرأة لا لأن المرأة تتنازل و تعطي الرجل شيء هو حق التبضع مثلاً في مقابل هذا الصداق .

حق التبضع حق لله تعالى لذا يقول ﴿ صدقاتهن نحلة ﴾ أي عطية وهبه ،عربون على رغبة الرجل وانجذابه لهذه المحبة وليس قيمة للتنازل عن هذه المحبة ،هذه المحبة واللطف لله ويجب أن تتربى في معرفة الله ولو احبت فلوجه الله ولو تنازلت فلله تعالى ،الإسلام يربى المرأة لكي تتكامل وتكون مظهرا لجاذبية أسماء الله تعالى .

قد يكون هناك أعتراض من البعض مفاده إذا كان الصداق عربون لرغبة الرجل في المرأة فلماذا تعيد المرأة الصداق للرجل إذا لم ترغب في الاستمرار معه و أنتم تدعون أن هذا الصداق هدية وعطية ؟

---

[٢٢٤] سورة النساء - مدنية - أية ٤

والجواب أن كونها نحله لا يعني أنها لاتعاد ، لو أراد الرجل أن يترك المرأة قبل أن يدخل بها فالمرأة نصف الصداق بلا شك ولا مقابل ، حق التبضع ليس في مقابله شيء ،لأن البضع من الطرفين كل منهما يعطي الأخر ،ليس من طرف واحد .

إذن لا حيثية المرأة للمرأة ولا حيثيتها للرجل وليست المراة خاضعة للرجل ، المرأة خاضعة لتعاليم الله تعالى ،وإنما هناك نسبة وانتساب لهذه المرأة ،وتقريبا عندما أقول لك هذه أمانة مودعة عندك ،أنت أولاً أسع في إدراكها ومعرفتها وضعها في مواضعها ثم أستفد منها ونمها وأعرف الله بشيء فيك ،بشيء في باطنك ، وهذه مرحلة تجلي أسماء الله الجمالية في المرأة .

نعم ربما في بعض المراتب العليا يجمع الإنسان أسماء الله الجمالية والجلالية كما هي في أمير المؤمنين وآل البيت (ع) ، في الوقت الذي كان آل البيت (ع) هم أقوى الناس في مواجهة أعتى الناس ،كانوا الطف الناس بالناس و أرأف الناس بالناس ،كانوا أرق الناس بالناس ،لذا كلما عرف الإنسان آل البيت أكثر كلما تعلق بهم وأحبهم اكثر [**من اراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم**] إذا كان الإنسان موحداً ويريد أن يعرف الله تعالى فقط في ساحتهم يعرف الله ،ونحن إذ ندعي أنه ليس هناك من يقوم مقامهم بأي وجه لأننا نعرف أنه ليس من أحد يأخذ من الله كما يأخذ آل البيت (ع)

نحن عندما نتألم لأهل البيت وللمصائب التي مرت عليهم نعرف أننا لا نتألم على أجساد وأناس عاديين ، نحن نتألم على أسماء الله تعالى ،على هذه الأجسام التي ما خضعت إلا لله ،هذه الابدان التي لم تمر عليها لحظة إلا وكانت في حالة سير لله تعالى .

نفس الروح تهب الجسم هذا الكمال ،الروح تجعل الجسم مقدس ،روح الحسين تجعل جسمه مقدس وله قداسه ،لأن الذي يريد أن يحب الله تعالى الأهم عنده من يُحب الله تعالى ،منذا يجذبه لله تعالى ،الأهم منذا يعرفنا بالله تعالى ، عندما لا نتنازل عنهم لأننا لا نتنازل عن التوحيد ،التنازل عن آل البيت أو على الأقل ضعف محبتهم ضعف في التوحيد ،كلما كان الإنسان موحداً أكثر رأى في آل البيت تجلى لله أكثر ، لذا الإمام الحسين عندما خرج برر سبب خروجه [**نريد أن نرد المعالم من دينك**] **دينك** له معالم ،والناس لا تنجذب لله إلا بالمعالم عندما نضع المعالم فنحن نجذب الناس لله تعالى .

عندما لايؤخذ حق أهل البيت (ع) من اعدائهم هؤلاء ليسوا مراجع عاديين حتى نقول يأتي مرجع أخر ويرمم هذا النقص ،هؤلاء عندما يؤخذ منهم الحق يقول الأمير (ع)[**صبرت وفي العين قذى ،وفي الحلق شجى ،أرى تراثي نهبا**] لأن هذا التراث هو فتح ابواب الجنان أمام عباد الله لأن أهل البيت (ع) عندما يتألمون على أخذ حقهم وعلى مظلوميتهم ،ليس بيتاً ولا مالاً ما أُخذ منهم ،وليست فدك أرض أخذت من الزهراء (ع) الأمر ليس كذلك ، أخذ حقهم يعني أغلاق ابواب الجنان أمام عباد الله .

ماذا يعني أن لايحب الناس آل البيت ،ماذا يبقى في الناس إذا هم لم يحبوا أهل البيت ،إذا كان من أعظم المآسي التي مرت على أهل البيت هي الاستهانة بأهل البيت ،والاستهانة بهم في الصميم هي الاستهانة بالله تعالى ،أي إنسان عنده ذرة إيمان وذرة توحيد لا يتحمل أن تكتب و تداس أسماء الله تعالى فكيف يتحمل المؤمن أن روحاً كروح الحسين (ع) الذي يقول [**إلهي اجذبني برحمتك حتى أصل إليك**] والذي يقول :[**إلهي ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك**] .

الإمام الصادق يقول أن ما سجل من مصائب أهل البيت في كربلاء لا يساوي عشر معشار ما جرى هناك ،كثير من المسائل أخفاها الإمام زين العابدين (ع)حفظاً لكرامة الحسين (ع) عندما حملوا أهل البيت على المحامل ،أول كلمة قالها زين العابدين لزينب :عمة لا تطلبي من أحد شيء أبدا ،وهو عليه السلام منذ خروجه من كربلاء حتى وصوله إلى الشام لم يتحدث مع أحد لأن الذلة ليست مقام أهل البيت (ع) ولا الطلب من غير الله تعالى من مفاهيمهم ،نحن لا نعرف كل ما حصل للحسين وأهل بيته (ع) ،وعندما يخرج صاحب الزمان سوف نعرف كيف أن القلوب تتفتت مما جرى عليهم ، الإمام الصادق (ع) لا يتحمل أن يسمع وأهل البيت لا يتحملون ان يسمعوا عما جرى للإمام .

بمقدار معرفة الله ،بمقدار محبة الله ، بمقدار التعلق با لله لا يتصور الإنسان أن هذا العلم الذي كان يملىء صدر الإمام الحسين محبة ونورانية ومعرفة بـا لله ،ليت شعري هذا الذي يُسجد لله على تربته ،هذا الذي تربته تخترق السماوات والحجب السبع ،تربة الحسين وليس صدره ،هذا الصدر المملوء عرفانا وطاعة لله ،الإمام في أخر لحظة من لحظات حياته يقول أكثر الرواة أنه طلب الماء في أخر لحظةسقط فيها وكان العطش فتت كبده ،فعندما يقول لهم أسقوني شربة ماء فهذه حجة يلقيها عليهم وهذا نداء الله تعالى يلقيه ويوصله إلى اسماعهم .

المحاضرة السابعة عشر

الشبهات وردودها

وصلنا في المحاضرات السابقة إلى مجموعة من النتائج منها :

١-أن الشرع لم يشترط للوصول إلى الكمال الذكورية ولا الانوثية مانعة من الكمال وأقمنا على ذلك ادلة من القرآن .

٢-أقمنا كذلك الأدلة التي يساعدها العرفان ويؤيدها القرآن والبرهان أن معيار الكمال الذي حض عليه القرآن لا الانوثية مانعة فيه ولا الذكورية شرط في تحققه .

٣- برهنا أنه لو افترضنا أن عقل الرجل أكبر من عقل المرأة ،لو تم هذا الكلام وهو غير تام وغير صحيح ،ولكن لو سلمنا أنه أكمل فإن العقل ليس هو القدرة على التشخيص وتحديد المطالب لكن العاقل غير الفطن هو الذي عنده القدرة على الدقة في فهم المقدمات ولكن لايعمل بما يفهم ،العاقل هو الذي يأتي بما قطع به وما انتهى إليه نظريا ويكون عمله مطابق لما يدعيه ،وبحثنا في هذه المطابقة بين قطع العقل النظري والعمل وذكرنا أنه كلما كان الإنسان ألطف وأرق كلما كان الحجاب بين العقل النظري والعقل العملي أخف.

٤- برهنا أنه كلما كان هناك تناسب وتوازي بين العقلين تكامل الإنسان فيكون عمله واقتداره عين علمه ومعرفته كما هو في الرسول والائمة (ع)

٥- كمال الإنسان هو في الوصول لله تعالى ،وللوصول إلى الله طرق مختلفة ،وليس الكل مجبور على أن يسلك طريقاً واحداً بإمكان الإنسان أن يختار الطريق الذي يناسبه والتوفيق معياره في سلوك الطريق الذي يتناسب والسالك ،وليس معنى ذلك أن المرأة لا تستطيع أن تسلك طريق الفكر والنظر ،وإنما لأن من ادعى أن الرجل أقدر في مجال الفكر والنظر فنحن نقول له أن الأدلة عندنا أقوى على أن طريق القلب والعرفان بالنسبة للمرأة أقوى وأشد وأسرع ولكن بشرط أن يصحب العرفان علم وتهذيب وتربية صالحة .

٦- تحدثنا عن معنى التقوى الشرعية وأنها ذات درجات ومراتب ومراحل ومادام الإنسان مكلفاً ومخاطباً وموجوداً في هذه الدنيا فهو مأمور بأن يقطع هذه المراحل ،وهي بلا حد وبلا نهاية حتى يصل الإنسان إلى المقام الذي يدعو إليه العرفاء والإلهين وهو أن يكون متجلياً بأسماء الله تعالى وليس فقط عارفاً بمعنى هذه الأسماء ،ومتدرعاً بهذه الصفات عن النظرة المنحرفة والرؤى الضيقة في حدود هذه الطبيعة وإنما علاوة على ذلك فهو بالحق ،بالله تعالى إذا كان يتحرك في ضمن الخلق والطبيعة ليس عنده إلا الله ،لا يأخذ إلا من الله ولا يعطي إلا لله ولا يعمل إلا لله ،ولا ينصرف وجهه عن الله في أي وقت ولا في أي لحظة ولا في أي مرتبة كان عليها هذا الإنسان .

الاهم في هذا الحديث :

أولا كيف يصل الإنسان إلى هذه المراتب ؟

ماهي الخطوات التي يجب أن يقطعها الإنسان حتى يصل إلى هذه المراتب التي هي واقعا كمال الإنسان ،في هذا البحث لأننا لسنا بصدد تقوية المدعى الذي ادعيناه وأن المرأة ليست بأقل من الرجل لذلك ليس مجال الحديث عن الطريق في هذا البحث .

لكن القرآن إذا أشار إلى طريق فالقرآن كتاب حياة ،القرآن ليس علماً نظرياً جافاً ،القرآن ليس كالفقه يعلمك الحلال والحرام ،القرآن يقول لك كيف تعمل حتى تستطيع أن تتلبس بهذه المواصفات وهذا ما أقمنا البرهان عليه ،وانتهينا إلى أنه كما أن الرجل ممكن أن يسلك طريقاً كالجهاد في سبيل الله ومن الممكن أن يكون خليفة لله من جهة معينة ،فخلافة الله تعني حاكمية كل أسماء الله ،وذكرنا أن الإنسان إذا كان مجاهدا ولكن لا يحب الله ولا يحبه الله فلا تزال هناك ثلمة يجب أن يتوازى ويتساوى ويعتدل فيه كلا الجناحين حتى يصل لله .

إلى هنا ثبت لدينا أنه ليس في الإسلام أي فضيلة معنوية يشترط فيها الذكورة أو الانوثة ،إقامة البرهان من جهة عقليه يحتاج إلى مقدمات منطقية رأينا أن نؤخرها لوقت أخر .

رأينا أن نناقش بعض الشبهات في الروايات التي يحدث تساؤل عند الناس عنها لأن الفائدة ستكون أوسع:

١-النظرية والواقع :

لو لاحظنا الواقع الذي نعيش فيه ورأينا واقع المرأة ومستواها وقارناه بواقع الرجل ومستواه سنلاحظ تفاوتا بينهما وهذا التفاوت الواقعي ليس سببه أن الإسلام اغلق هذه الأبواب في وجه المرأة و فتحها في وجه الرجل .

بحثنا أولاً كان عن المرأة في مقابل الرجل وليس في مقابل الزوج أو الأب ،هذا كله سيأتي في بحثنا القادم عن الأخلاق الأسرية ،الاختلاف الموجود بين واقع المرأة وواقع الرجل اجتماعيا موجود لايمكن أنكاره .

إذن ماذا أعطى الإسلام المرأة من مراتب أدعينا نحن أنه أعطاها ؟

اولا :

الواقع ليس دليلاً على صحة نظرية ما، الواقع مصاديق خارجية ، والمصاديق الخارجية أضيق دائرة من المدعى الذي ندعية ،نحن ندعي أن المرأة لو هيئت لها التربية الصالحة والعلم الصالح والمعرفة الواقعية ، لو أنها لم تحد بهذه الحدود الضيقة ، وهذا الأخذ من الإسلام الضيق جدا لكان وضع المرأة أفضل بكثير ، ولكن عندما لايتطابق الواقع مع النظرية التي ندعيها ، فهذا لايعني أن نظريتنا غير صحيحة ، نحن أثبتنا قرآنيا وبالبرهان أنه ليس هناك مانع للإنسان أن يكتمل بحيث يكون فوق الملائكة ، وبحيث يكون رفيقا للنبيين والصديقيين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، المرافقة ليست أسماً وشرفاً ووساماً يعطيه الله للإنسان ، إنما هي طبيعة حياة هذا الإنسان وسلوكه ، لذلك في الروايات (الرفيق قبل الطريق).

أولاً اختر نبياً أو إماماً أو خبيراً لاعمالك واربط أعمالك بهذا النبي أو الإمام ثم حاول أن تكون أعمالك تتناسب مع هذا النبي وهذا الإمام فالرفيق قبل الطريق ثم بعد ذلك اسلك طريقك في الحياة ،وإلا الإنسان إذا سلك طريقاً لا يعرف من أين يبداء وإلى أين ينتهي فهو قد قدم الطريق قبل معرفة أصحاب هذا الطريق و لم يكن من أصحاب الصراط السوي .

إذن الواقع ليس دليلا على أن النظرية ليست صحيحة ، هي صحيحة ١٠٠ /. والواقع ليس معيارا ومقياسا على صحتها خاصة إذا لم تتح الفرصة الكاملة على تطبيقها واختبارها.

٢- النساء ناقصات عقل ودين :

هناك رواية للإمير (ع) بعد أن رجع من حرب الجمل تقول [**النساء ناقصات عقل ودين**] فما معنى هذه الرواية وهي في ظاهرها تخالف ما ندعي ؟

مقدمة :

الروايات عن أهل البيت تتحدث مع الناس بمستوى الناس ،فمثلاً الحديث عن فلسفة الصوم في بعض الروايات تقول [**صوموا فإن في الصيام تذكير باحوال الفقراء والمحتاجين حتى يستشعر الألم الذي يعيشه الفقراء فالصوم يعطي الإنسان هذا الاحساس بالفقراء**] ، هذه الرواية تكلم أضعف المؤمنين إيمانا ،وإلا من اراد أن يفكر بالفقراء ولا يستطيع ان يفكر فيهم إلا إذا جاع هو وأحس بالالم هذا إنسان متبلد الشعور إلى حد أنه لا يشعربالاخرين إلا أن يعيش هو بنفسه هذه المأساة .

هناك رواية أخرى أعلى مرتبة من الرواية السابقة :[**صوموا فإن الصوم يبعدكم عن الغفلة عن يوم القيامة فإن في تذكر جوعه وعطشه تذكر جوع وعطش يوم القيامة**]هذه الرواية تتحدث مع المؤمنين الذين يعيشون في نصف الإيمان ،لأن ليس الغرض من الصيام في الواقع كما سننتهي له أن يشعر الإنسان بالفقراء ،هذه الرواية التي تريد أن ترفع عن الإنسان الغفلة فترة معينة بحيث يشتغل با لله وتذكر اليوم الأخر ،هذه تتحدث عن نباهة ويقظة وقتية فتقول حتى تعيش هذه اليقظة وتعيش حالات يوم القيامة جمع حتى تذكر ذلك الجوع والعطش الأشد .

هناك روايات أرقى من هذه إذا راجعتم العروة الوثقى أو كتاب الجواهر ونظرتم إلى فلسفة الصوم المستحب او القربى فإنها تقول : (**أن ادنى درجة يعيشها الصائم هو أنه يحشر مع الملائكة**) الرواية تريد أن تقول أن هناك أناس

يمتلكون علوَّ الهمة ، فلماذا يصرفون وقتهم الثمين في الطبخ والأكل؟ هذا الوقت يمكن ان يصرف في طاعة الله ، لذا وقت الغداء هو وقت الادعية في شهر رمضان .

نفس الوقت الذي ممكن أن تصرفه في قضاياك الخاصة الجزئية جدا ، يمكن أن تصرف هذا الوقت في ذكر الله تعالى، بحيث ما أن يصل منتصف شهر رمضان حتى تتبلد عندك حاسة الاحساس بالجوع ، بل ربما عندما تفطر لا تشعر بالرغبة في للطعام ، لأن هذا النحو من التفكير صرف هذه القوى الحيوانية وجمَّدها ، وبعد ذلك احيا القوى الإلهية ، وهذا هو غرض الصيام والفائدة منه ، وإلا الانتباه الوقتي المقطعي هذا لايكون لعبادة يجعل الله عليها كل هذا الثواب ،عندما يأمر الله بالصيام ، فإن له فلسفة وملاكاً وغرضاً من هذا ، واقل درجة يحصل عليها االصائم هي : أن يكون مع الملائكة الذين غذائهم التسبيح .

﴿ ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ﴾[٢٢٥] ليس المقصود به اكل الاموال بالباطل ،وإنما المقصود كل غصب ، لأن الاموال هي أظهر شيء في الغصب ،جاء بها كمثال عليهوإلا فالغصب أعمُ من غصب الأموال ، فمن الممكن أن تغتصب حيثية الإنسان بأن يكون يستحق إيمانياً معاملة أحسن من المعاملة التي أعامله بها مثلاً ولا أعامله بها ، هذه المعاملة هي نوعٌ من الغصب ، نعم أوضح مصاديق الغصب هي : الغصب المادي ، وإلا الغصب يكون في كل شيء ، حتى إننا اعتدنا من العلماء إذا نقل مطلباً وكان هذا المطلب من عالم معين ، فهو لا ينسى ان يذكر أن هذا المطلب المعين هو من

---

[٢٢٥] سورة البقرة - مدنية - أية ١٨٨

العالم الفلاني ، لأن عدم ذكر ذلك بخس للناس في اشيائهم ، هذا تطفيف في المكيال والميزان .

إذن التطفيف في المكيال والميزان أعم من الغصب المادي ، وإذا قالت الروايات أن أقل ما للصائم أن يحشر مع الملائكة ، فهي تريد أن تشير إلى إنشغال الإنسان باهتماماته التي لا يشارك فيها الحيوانات والنباتات ، وهي تمثل أحياءً للجانب الإنساني والإلهي في هذا الإنسان .

إذن عندما نريد أن نفهم ماذا تريد الرواية أن تقول يجب أن نرجع إلى لسان حال الرواية ، مثلا الرسول عندما يقول : (**اللهم بارك لنا في الخبز ، لولا الخبز لا صمنا ولا صلينا ولا أدينا فرائضنا**) هل يقصد الرسول (ص) أنه لولا الخبز لما صام ولا صلى ؟

قطعاً لا،ولكنه يريد أن يقول : أن اوسط الناس تؤثر في إيمانهم حالتهم المادية ، فإيمانهم مرتبط بوضعهم الاقتصادي ، فلولا الخبز وأن الله يرزقهم _المقصود بالخبز الحالة المعيشية _ لما قاموا بواجباتهم الشرعية .

الرسول (ص) لا يتحدث بلسان الكُمَّل ، الكُمَّل أصلاً الحاجة إلى الخبز مزاحمة لإيمانهم ، وإنما يتحدث (ص) مع طبقة معينة من الناس ، كثير من الروايات في الغالب تتحدث عن مستوى إيماني معين؛ فتتحدث بذلك اللسان الموافق لهذا المستوى ؛هذه الرواية لاتخاطب من عنده القدرة والإرادة والرغبة في أن يكتمل في صراط الله تعالى ، إنما تخاطب الذين لولا الخبز وأن الله يرزقهم ويعطيهم لما التفتوا إليه ، تخاطب الذين يجب أن تؤمن أولاً حاجاتهم الحيوانية حتى يلتفتوا لله ، لسان حال الرواية لا يُحمل على كل المؤمنين والأتقياء ، الكثير من الروايات لسان حالها هو هذا اللسان ،الحمل إنما يكون على مستوى الطبقة المتوسطة من الناس أو ما هو دون ذلك .

من المفروض أنّه كلما تقدمت الحياة الإيمانية كلما نضجت الأفكار الإيمانيـة والإسلامية أكثر ، لذلك في الروايات أن أقواماً تـأتي بعـد الرسـول (ص) لم يروا الرسول (ص) ولا الأئمـة (ع) مقامـاتهم في الجنـة أرفـع مـن مقامـات أصحاب الرسول (ص) وأصحاب أهل البيت (ع) ، لأن المفروض أن هـذه الأفكار قد نضجت أكثر نتيجة لزدياد وعي النـاس ومعرفتهـم ، ولأن ذلـك يستتبع أن يكون الإنسان اصبح أكثر تعاملاً مع المعنويات .

إن (الجُعل)[٢٢٦] الذي لم يعايش المعنويات ، والذي ليس له حيـاة معنويـة ، وتريد أن تعلمه الحكمة الإلهية ، تظلـم فيـه الحكمـة عندمـا تعلمـه إياهـا ، كأنك تقول له لغزا لا يستطيع حله وإدراكه ، فضلاً عـن أن يسـعى إلى أن يمتثل لهذه الحكمة وأن يقتنيها ، فنحن مثـلاً لا يحـقُّ لنـا أن نحاسـب أنفسـنا ونحن من هذا الجيل الذي انتشرت فيه العلوم المتقدمة ووسائل المعرفة ، ولـه هذه الموقعية المتميزة من الفكر والعلم ، كما نحاسب آبائنـا أو اجدادنـا قبـل خمسين سـنة مثـلاً ، أولئـك كـان إيمـانهم متناسـب مـع الحالـة الـتي كـانوا يعيشونها ، بل لعل إيمانهم افضل وأعلى بكثير من ظرفيتهم ووضعيتهم الـتي كانوا عليها .

ونحن لكي نفهم الرواية يجب أن نفهم كل الظروف والملابسات المحيطة بهـا ، ثم نحكم علـى الروايـة ومضامينهـا ، وجهـة الدلالـة في هـذه المضـامين ، والقواعد الكليـة والعامـة المستنبطة منهـا ، وهـذا مـا يبحـث عنـه في علـم الأصول : فدلالة الرواية في علم الاصول وفهمها مرتبط بفهم الجو والظرف الذي قيلت فيه الرواية ودلالة الفاظها على الاطلاق او التقييد وغير ذلك مـن الامور .

---

[٢٢٦] الجعل : حشرة صغيرة تعيش في التربة والمزارع تقاب التراب

نرجع إلى قول الإمام علي (ع) : (**النساء ناقصات عقل ودين**) هـذا القـول من الاميركان ضمن خطبة خطبها بعد رجوعه من حرب الجمل ، التي يعرف الجميع ملابساتها ، ونحن نعرف أن القرآن الكريم ركزّ وأصرّ على أن تمكث نساء النبي (ص) في بيوتهن : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾[٢٢٧] وفي هـذا إشارة إلى خطر سـوف يشـق الأمـة الإسلامية أبد الدهر من امرأة واحدة ، حيث فتح باب الفتنة بخروج تلك المرأة من ذلك اليوم و لم يغلق إلى الآن .

والمتناسب مع كلام الأمير بعد رجوعه من حرب الجمل أنه يقصد امرأة واحدة معينة ، ولكن لأنها مرتبطة برسول الله (ص) واحتراماً لمقامه ، فليس من الكمال أن يتكلم عنها بشكل مباشر ، ومثاله أنه إذا كان هناك عالم جليل مثلاً وأخطاء خادمه واردنا التنبيه على هـذا الخطاء نقول خدم هذه الأيام يخطئون ،لأننا نريد أن نحفظ مكانة هذا العالم ،وتصرف الأمير هذا تأدب منه (ع) عندما يتكلم عن هـذه المرأة بعد ما فعلت ولا يذكر أسمها ،[**يا حميراء سبك محرم**] فألف عين لأجل عين تُكرم .

في نفس هذه الخطبة يقول الأمير (ع) :[**كنتم جنود المرأة**] فهل يعني كل امرأة او امرأة معينة ؟

هذه قضية خارجية وليست قضية حقيقة ، ما معنى هذا ؟

بعض الروايات تتحدث عن الإنسان أبد الدهر فتسمى قضية حقيقة لأن كل إنسان وجد أو سوف يوجد سوف يشمله هـذا الحكم ،ولكن بعض الروايات وإن وردت بصيغة تبدو مطلقة ولكنها لا تشمل كل إنسان بل

---

[٢٢٧] سورة الاحزاب - مدنية -اية ٣٣

أشخاص بعينهم وتسمى هذه بالقضية الخارجية ،فهي تنظر إلى شخص معين بالخارج لا كل شخص .

عندما يقول الأمير يا جنود المرأة لا يقصد كل امرأة فالزهراء (ع) التي خرجت تطالب بحقها بعد وفاة الرسول (ص)لو كان لها جنود أو زينب (ع) لو بقي لها جنود هل لو كان هناك جنود لهما لكان هؤلاء الجنود في خدمة المرأة وشملهم هذا الذم من الامير (ع)؟

المسألة ليست اي امرأة ،المسألة مسألة امرأة خاصة هذه المرأة ذكّرها الله دائماً بمنزلة أمير المؤمنين وأهل بيته في آية التطهير ،التي تقع في سورة الأحزاب والتي تتحدث أولاً عنّ نساء النبي ثم بعد ذلك تأتي آية التطهير ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾

بعض العلماء يرى أن هناك فلسفة دقيقة في جعل أية التطهير في منتصف الآيات التي تتحدث عن زوجات الرسول ،البعض يقول أن أي إنسان إذا نزلت فيه آية سوف يقرأها باهتمام اكثر ،فكأنما أكثر آية سوف تستوقف نساء النبي هي الآيات التي تتحدث عنهم مباشرة لأنها تخصهم وحتى تكون آية التطهير مثل الصعقة لهم جُعلت في منتصف الحديث معهم ،حتى يلاحظوها باستمرار وحتى تستوقفهم كلما قرأن السورة ﴿ يا نِسَاءَ النبي لسْتُنَّ كأَحَدٍ مِنَ النساء إنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعُ الذِي في قَلْبِهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَولاً مَعْرُوفاً # وَقَرْنَ فِي بِيُوتكُنَّ ولاَ تَبرجْنَ تَبرُجَ الجَاهِلِيَةِ الأولى وأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءاتِينَ الزَكَاةَ وأَطِعْنَ اللهَ وَرسُوله إنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيذهِبَ عَنكُم الرِجْسَ أَهْلَ البيتِ وَيطهركم

تَطْهِيراً ﴾[٢٢٨] ثم ترجع الآيات بعد ذلك للحديث عن زوجات الرسول (ص) .

لماذا أنتصفت آية التطهير ؟

حتى تكون كالسهم الذي يقع في قلب زوجات الرسول أو في قلب هذه الزوجة التي سوف تخالف هذا الأمر والتي سوف تنكر هذا المقام ،لو وضعت هذه الآية في موضع أخر لما كان لها هذا الأثر ،أصلاً القرآن تعامل مع عائشة بهذا الأصل ،لا لأنها امرأة واحدة بل لأنها امرأة جرّت على الإسلام كل الفتن ،وعندما يقول الأمير كنتم جنود المرأة لا يقصد أن المرأة لا يمكن أن يكون لها حق و تخرج للمطالبة بحقها ومن يكون جندياً معها في طلبها هذا فهو مذموم ،ليس من هذه الجهة ،الزهراء كان لها حق وخرجت للمطالبة بحقها ،والأمير خرج معها عدة ليال يقود ركوبتها ويدور معها على بيوت الأنصار لتشرح قضيتها .

كل إنسان من حقه أن يدافع عن حقه وليست جندية المرأة مذمومة إلا إذا كانت جندية هذه المرأة قيادة إلى النار ،لو راجعنا التاريخ ورأينا أثار الحروب التي خاضها أمير المؤمنين (ع) لرأينا أن الخوارج قد انتهوا و لم يبق منهم أثر ،ولكن حرب الجمل لا تزال أثارها باقية إلى الآن وستبقى أبد الدهر .

بأي كلام يعبر الأمير عن هذا الوضع ،هل يقول هذا نتيجة أفعال زوجة الرسول ؟ كلا ،بل يقول هذا نتيجة قيادة هذه المرأة التي لها كل هذه الأهمية في العالم الإسلامي .

---

[٢٢٨] سورة الاحزاب -مدنية - آية ٣٣

الإحاطة بظروف هذه الرواية فيها إشارة أنه لا كل امرأة عندما تقود فقيادتها ليست صحيحة ،الآن في هذه النهضة الإسلامية الجديدة ،يقول الإمام الخميني: ما أعطته المرأة في هذه الثورةأكثر بكثير مما أعطاه الرجل ،بل أن أحد المقربين من الإمام يقول : إنني أشعر بالغبن عندما يتكلم الإمام عن المرأة لكثرة ما يمتدحها .

ونرى الآن كثير من النساء في مجلس الشورى وفي مواقع عليا في الدولة ،وهذا كله بأمر الفقهاء وتحت إشرافهم ونظرهم ، في قم فقط أعرف ثلاثين امرأة وصلت إلى مرحلة الاجتهاد خلال إحدى عشر عاما هؤلاء الاتي اعرفهن-وهؤلاء لسن فقط بدرجة علمية تفوق درجة كثير من الطلبة الرجال الذين بداءوا معهن في نفس الدرس ،ليس فقط في هذا المجال ،كل هذا ثمرة التربية الإسلامية التي تربت عليها المرأة في الخمسة عشر عاما الماضية .

إذن لو أعطيت المرأة المجال الصحيح هل تكون ناقصة عقل ؟

كلا لا تكون ناقصة عقل ،لأن نقص العقل هو أن يكون الإنسان طريقه طريق جهنم ،لا أن يكون طريقه لله تعالى ،إذن قول الأمير لا يقصد به أن هناك شيء ذاتي في المرأة لا يمكن أن ينفى وتتخلص منه فهي أصلاً لذلك ناقصة عقل ،نعم هناك الكثير من الناس ناقصي عقول ومنهم عائشة ومن ساعدها ،فكيف يعبر الإمام عنهم ، لم تكن عائشة جالسة في دارها ،لو كانت ناقصة عقل وجالسة في الدار لم ترفع قميص عثمان وتشعل به حربا على الإسلام ،لو كانت امرأة موازنة نفسها حتى الله لا يتحدث معها مباشرة،لو لاحظنا الآيات ،الله لم يكلم نساء النبي مباشرة ،بل طلب من الرسول (ص) أن يقول لهن ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾[٢٢٩] لكن إذا كسرن الحياء وخرجن بعد ذلك لا يحترمهن الله بل يخاطبهن بشكل مباشر ، الله لم يتحدث مع نساء النبي بشكل مباشر إلا بعد أن تظاهرا عليه ﴿ وإن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ #عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ ﴾[٢٣٠].

هل بعد كل ما ذكرناه سابقا ننكر كل هذا ونتمسك برواية واحدة قيلت عن نقصان عقل المرأة لها ظرف معين ووقت معين ومحاطة بكل هذه الشروط ؟

الشيخ جوادي متخصص في تفسير القرآن يحمل هذه الخطبة بالعكس ويعتبرها دلالة على عقل المرأة ،هذه المرأة التي استطاعت أن تقود كل أولئك الرجال بما فيهم طلحة والزبير ، طلحة الذي عندما يصلي تجلس الطيور على كتفه والزبير الذي كان من أهل البيت لولا أن ولد له عبد الله ،بسيف الزبير طالما ذب الكرب عن رسول الله (ص) هؤلاء تحركهم عائشة ،وتشق بهم طريقا أثر في الإسلام طول الدهر .

بأي وجه نتصوره أو نحتمله فهذه الرواية لا تحمل على كل امرأة مطلقا ،إنما تحمل على امرأة معينة ،وقطعا الروايات الواردة عن الأمير حلّ هذه الروايات أن لم يكن كلها تتكلم عن هذه المرأة أو على احسن تقدير عن تلك المرأة العربية التي ربيت بتلك التربية ،فهي في مقام التشجيع على التغيير من موقعية المرأة .

---

[٢٢٩] سورة الاحزاب – مدنية – آية ٥٩

[٢٣٠] سورة التحريم – مدنية – آية ٤

تعامل الإسلام الخاص مع المرأة:

من التربية الخاصة في الإسلام بالمرأة رواية تقول [**الأفضل للنساء أن يسبحن بأناملهن ذلك لأنهن مسئولات**] انظروا كيف تفلسف الرواية هذا المطلب ،الرواية تقول هذا الموجود اللطيف الذي مبكراً يعي ويدرك هذا يجب أن يكون موضع اهتمام مبكر وأن يتربى ويتعلم مبكراً، كل شيء مسئول في جسم الإنسان وعادة إذا ذكر الإنسان الله بالتسبيح بأطراف أنامله مكررا يا الله يا الله سيكون لهذا العمل أثر ستكون نفسه أكثر حضوراً .

جربوا في صلاة الليل أن تستغفروا بأطراف أناملكم ستجدون أن ذلك مؤثر جداً ،لو راجعنا كتب الفقه سنجد أنها تذكر طرقاً مستحبة لجلوس المرأة في الصلاة وركوعها وسجودها ،هذه تربية خاصة بالمرأة ، وفي كتب الفقه آداب خاصة لصلاة المرأة مما يبين انه لها نحو من العناية الخاصة ،كلما لطف الشيء كلما أُعطي عناية خاصة به ، هل تعامل طفلك الصغير الرقيق المؤدب كما تعامل طفلاً خشن الطباع ؟كل له طريقة معينة في الكلام معه والتعامل والأوامر ،هذا كله مؤثر في التربية ومؤثر في التهذيب لو التفتنا إلى ذلك .

الروايات التي تتحدث عن علاقة الأبناء بالأباء والتي تتحدث عن فلسفة العقوق وحرمته وفلسفة البر ووجوبه ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْه أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ** ﴾[٢٣١] هذا الإحسان بالأم لأنها حملته وهناً ،لأنها تحملت المسئولية ،إذن علة البر هي حمل الأم ورعايتها وتربيتها ،وعملها هذا هو علة البر بالأب الأب لا يعمل شيئاً إنجاب الطفل لا يكلفه شيئا ،بينما الأم تتحمل كل التكاليف .

[٢٣١] سورة لقمان - مكية - آية ١٤

الأب مأمور في الروايات بان يراقب فكره فلو فكر ولـو للحظـة واحـدة في الحرام فهناك خطر على أبنائه ،ولكن الأم تؤمر بـان تحـافظ علـى تفكيرهـا وخيالاتها طوال فترة الحمل و الإرضاع لأن كل هذا يؤثـر في تربيـة الطفـل ،يطلب من الأب أن يحـافظ علـى تفكـيره لدقـائق ،للحظـات يسـيطر علـى تفكـيره وخيالاتـه أو لأيـام لا يرتكـب مكـروه ،ولكـن عندمـا تـأمر المـرأة وتعطيها تكليفاً كيف تحافظ على تفكيرها لمدة عاميين طويلين؟

هذا الذي لا ينشا وعنده ملكة التقوى وملكة العفة والـورع وملكـة الطهـر أربعين يوما فكيف بالسنتين ،يعيش لا يفكـر إلا في عـالم الطهـر ،الروايـات كثيرة في هذا المضمون ،كيف أن على الأم ألا تفكر في الحـرام اوالأثـم ، لا تكذب ،لا تغش ،لا تغتاب لأنها ترضع ذلك الطفل ،هذا نـوع مـن العنايـة الخاصة والتربية الخاصة والتعامل الخاص .

هل نجعل كل هذه الروايات فداء لرواية واحدة قيلت في امرأة واحدة ؟ أي عاقل لا يقول بذلك ،الروايات الأخرى أصح سـندا وأقـوى متنـا وأدق مضمونا ،وأكثرها آيات قرآنية واضحـة الدلالـة ،نعـم ربمـا الواقـع يرينـا أن المرأة أدون ولكن الواقع ليس دليـلاً ، الواقـع يحتـاج إلى تغيـير مـن أولـه إلى أخره، الواقع ليس دليلاً على انه ذوق الإسلام وذوق القرآن .

لاحظنا في هذه المحاضرات مع ما فيها ربمـا مـن تقصـير وعـدم أيفـاء بجميـع المطـالب نتيجـة لكونهـا تلقـى علـى شـكل محـاضرات في جمـع مـن النسـاء المختلفات من حيث المستوى التعليمي مما منعنا من التوسع في البحـث كمـا ينبغي له - لاحظنا أي فرق شاسع بين القرآن وبين ما نحن عليه ،في أي أفق القرآن وفي أي حال نحن نعيش ، هل معنى ذلك أن ننكر كل هذه الحقـائق ونعتمد على رواية واحدة لا تحمل بأي وجه على الذوق القرآني ؟

(شاوروهن وخالفوهن ، فإنَّ الرشد في خلافهن) :

رواية أخرى يشتّمُ منها رائحة استنقاص للمرأة، ونردُّ على هذه الشبهة بالقول : أن الرواية المنقولة عن الإمام علي (ع) معلّلة ، فهي تشترط لمخالفة رأي المرأة أن يكون الرشد خلاف رأيها ، وليس معناها : أنه شاوروهنَّ وخالفوهنَّ فقط ، الأعم الأغلب من النساء كانت وإلى الآن اهتماماتهن مادية جزئية ضيقة ، وطبعاً كثيرٌ من الرجال ليسوا بأحسن حالاً منهن، ولكن المتعارف عليه أنَّ أغلب النساء هذه هي حدود تفكيرهن ، لم يمرّ في تاريخ المرأة أن تربَّت تربية إيمانية من أيام وأد البنات حتى هذه الأيام ، ولولا نهضة المصلحين العظام في الأمة من أمثال الإمام الراحل (قدس سره) ، وآراء وأفكار العلماء المحققين من أمثال الشيخ الجوادي لما فهمنا هذا ، قديماً كانت عندنا الزهراء (ع) ، والآن عندنا آلاف من التلميذات الذين تربُّوا في مدرسة الزهراء وزينب (عليهما السلام) ، وهذه الرواية لا تؤخذ كمقياس ، خاصة أنَّ الرواية معلّلة كما قلنا ، والحكم يدور مدار العلة وجوداً وعدماً ، فإذا وجدت العلة وجد الحكم ، وإذا لم توجد العلة لم يوجد الحكم ،وإذا كان هناك واحدة من النساء الرشد يتحقق في خلافها ، أمثال هذه تُشاور وتُخالف .

تم الكتاب بحمد الله

نسأل الله أن يغفر لنا ولكم وللأخت الفاضلة التي بذلت من وقتها أعطتنا عصارة فكرها وتحملت أسئلتنا بصدر رحب راجين من الله أن يحقق الكتاب الفائدة المرجوة منه ،وان يكون عند حسن ظنكم .

الفهرس